الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أحمد دراية. أدرار

كلية : العلوم الإسلامية والإجتماعية.

قسم : التاريخ.

الحيـاة الإجتماعية والثقافيـة بوارجـلان ونواحيها

خــلال القرنيـن (5-6هـ/11-12م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

إعداد الطالب :

حمامد محمد

إشراف :

أ . د : عبد الكريم بوصفصاف

أعضاء اللجنة المناقشة:

	الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
1	الطاهر ذراع	أستاذ تعليم عالي	رئيسا	أحمد دراية .أدرار
2	عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا	أحمد دراية .أدرار
3	محمـد حوتيـة	أستاذ تعليم عالي	عضوا مناقشا	أحمد دراية .أدرار
4	قـدادرة شايـب	أستاذ تعليم عالي	عضوا مناقشا	08 ماي 1945. قالمة

السنة الجامعية 1433-1434هـ /2012-2013م.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾

سورة المجادلة، الآية 11.

إهداء

...أمي وأبي رحمهما الله

إخوتي وأخواتي، زوجتي وابني

تلامذتي بثانوية هارون الرشيد ببشار

إلى كل من كان له فضل في انجاز هذا العمل.

حمامد محمد

كلمة شكر وتقدير

بعد إتمام فصول هذه الرسالة، أجدني ملزما من باب الاعتراف بالجميل أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الطيب لمن كان السبب في إخراج هذا الانجاز إلى حيز الوجود وأخص بالذكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور **عبد الكريم بوالصفصاف** حفظه الله، إذ تفضل بالموافقة على هذا العمل العلمي وتحمل أعباء الإشراف على هذا البحث ولم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته وعلى صبره علي، فله مني خالص الشكر وعظيم الامتنان.

ولا يفوتني أن أتوجه بخالص الثناء وجميل العرفان إلى كل من أسدى لي جميلا، وكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أومن بعيد، بالقليل أو الكثير في انجاز هذا العمل. فجزاهم الله خير الجزاء على حسن صنيعهم وأسعدهم في الدنيا والآخرة.

المقدمة

اشتهر العالم الإسلامي بكثرة مدنه التي حملت راية الحضارة والتقدم لشعوبها، وقد حظي الكثير من تلك المدن بدراسات مستفيضة وضحت معالمها وإنجازاتها.

وعلى الرغم من أن المغرب الإسلامي حافل بمدن جديرة بالبحث والدراسة، فإننا نجد أن منطقة وارجلان ونواحيها مسكوت عن بعض حواضرها وقراها وبالتالي فهي تحتاج إلى المزيد من البحث والتعمق. لأنها لم تحظ بدراسة علمية أكاديمية باستثناء بعض المقالات أو الدراسات النادرة.

1 - الدراسات السابقة:

ومن الباحثين الذين تناولوا بالدراسة وارجلان يمكن الإشارة إلى الدكتور حساني مختار وكتابه: "موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية" قدم فيه دراسة عن تاريخ بعض المدن الجزائرية لاسيما مدن الجنوب.

يضاف الى ذلك بعض المقالات حول تاريخ وارجلان منها مقال للأستاذ عمرو خليفة النامي بعنوان: "ملامح عن الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري." تناول هذا المقال جوانب ثقافية بارزة من تاريخ وارجلان كالإشارة إلى علماء وارجلان البارزين.

2- أسباب اختيار الموضوع:

يأتي اختياري لموضوع الحياة الاجتماعية والثقافية بوارجلان ونواحيها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (11و12م)، كونها تمثل مساهمة حضارية، لإبراز البعد الاجتماعي والثقافي للمنطقة.

اعتقادي أن موضوع البحث لازال حديثا، فهي محاولة مني لإظهار مكانة وارجلان ومساهمتها الحضارية في تاريخ المغرب الإسلامي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين. ففي الوقت الذي نجد فيه العديد من الأبحاث حول فترات تاريخية ومناطق أخرى، نجد أن منطقة وارجلان لم تحظ سوى بقدر قليل من الدراسات.

ضف إلى ذلك اهتمامي ورغبتي في مجال البحث بدراسة تاريخ المغرب الإسلامي خاصة فيما يتصل بالمغرب الأوسط في المجالين الاجتماعي والثقافي، لذا

وجدت في الموضوع المرغوب دراسته ما يلبي تلك الرغبة من جهة، والتطلع إلى المعرفة من جهة ثانية.

كما يعد البحث تجربة تربوية جديدة وفريدة بالنسبة إلي، حيث أطلع من خلالها على التراث الحضاري لمنطقة وارجلان ونواحيها وتسليط الضوء على المؤسسات الفكرية التي تشكل معالم ازدهار الحياة العلمية وتنظيم الأحوال الاجتماعية كمجلس العزابة على سبيل المثال.

إغفال الباحثين الجوانب الاجتماعية والثقافية خلال دراساتهم، والتركيز على الجوانب التاريخية،العسكرية والإدارية، بل غياب أطاريح أكاديمية كتبت عن الموضوع.

توجيه بعض الأساتذة ونصائحهم لي بأهمية الدراسة الاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب العربي خلال الفترة الاسلامية وما تزخر به من مآثر فكرية وحضارية.

3- أهداف البحث:

ويكمن الهدف من هذا الموضوع المتواضع في ابراز الحياة الاجتماعية والثقافية لوارجلان ونواحيها، والكشف عن جوانب أساسية من تاريخها ومجتمعها وواقعها الثقافي بشكل خاص من خلال ابراز:

أ. مكانة المنطقة كمركز اشعاع حضاري في بلاد المغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية 296هـ/909م.

ب.دور المنطقة في احتضان الحضارة الرستمية (المذهب الإباضي).

ج. نمط الحياة الاجتماعية بالمنطقة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين والعلاقات الاجتماعية والمذهبية.

د. واقـع الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها.

4- إطـار البحث:

أما عن تحديد فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين، فالفترة تشكل مرحلة ثراء وازدهار ثقافي بوارجلان من جهة وتغير البنية الاجتماعية بوفود عناصر عرقية جديدة بالمجتمع من جهة ثانية. ترتب عن ذلك تنوع عرقي وفكري، فبلغت وارجلان بذلك مراحل من النضج والتطور على الصعيدين الثقافي والاجتماعي.

5- إشكالية البحث:

إن الإشكالية الأساسية لهذا البحث تكمن في صعوبة تحديد المصطلح الجغرافي، ذلك أن هناك رؤى مختلفة بين الجغرافيين حول تسمية وارجلان. فهل وارجلان اسم لمدينة أم إقليم؟ بالإضافة إلى تركيبة المجتمع الوارجلاني وأبرز القبائل التي اتخذت وارجلان موطنا لها؟ وماهي طبيعة العلاقات التي جمعت فيما بينها؟ وما هو الدور الذي لعبته وارجلان اقتصاديا وحضاريا؟

6- المناهـج المتبعة:

ولمعالجة هذه الإشكالية سيتم الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي الذي يقوم على أساس جمع واستعراض المادة المعرفية حول منطقة وارجلان ثقافيا واجتماعيا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(11و12م).

كما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج النقدي المقارن كلما دعت الضرورة التاريخية لإدراك درجة التغير والتطور، دون إغفال المنهج التحليلي المعتمد في توزيع المادة الخبرية ودراستها.

7- خطـة البحـث:

لقد قمت بتقسيم الموضوع إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق والفهارس.

الفصل الأول: وقد خصصته للتسميات التي أطلقت على وارجلان تباعا كورقلان، وركلى، ورجلة وغيرها. وقد حاولت استقصاء آراء المؤرخين من خلال المصادر التاريخية القديمة والحديثة معا.

ثم تطرقت إلى نشأة وارجلان التاريخية، ساعيا إلى تحديد تاريخ تأسيسها ثم تناولت في قسم آخر جغرافية وارجلان، خصصته لدراسة البيئة الجغرافية لوارجلان ومختلف مظاهرها الطبيعية: مرتفعات، عرق، أودية... لما لذلك من إسهام في التمركز السكاني قديما وحديثا، وإبراز تفاعل الإنسان الوارجلاني مع بيئته وتذليل صعابها وتحقيق إنجازات حضارية هامة.

وفي الفصل ذاته أفردت عنصرا خاصا بالحياة السياسية من تاريخ وارجلان وأشرت إلى أن هذه المنطقة شكلت في مرحلة من مراحل تاريخها جزءا لا ينفصل عن كيان الدولة الرستمية، وهذا الارتباط السياسي تجلت مظاهره في احتضان وارجلان المذهب الإباضي وعلمائه ودعاته بعد سقوط الإمارة الرستمية في نهاية القرن الثالث الهجري.

وأوضحت المنهج الذي يسير شؤون الإباضية:سياسيا واجتماعيا، وفي الحالات المختلفة، ضعفا وقوة، والذي يطلق عليه الإباضية مصطلح "مسالك الدين" والذي ظهر خلال القرن الخامس الهجري(11م).

ثم تناولت بالدراسة المذاهب الدينية والاتجاهات الفكرية السائدة بوارجلان من فكر إباضي، معتزلي، مالكي وحنفي... ووقفت على مدى التسامح والتعايش فيما بين هذه المذاهب.

وفي آخر الفصل تحدثت عن الحياة الاقتصادية بوارجلان وبينت أن الاقتصاد الوارجلاني يرتكز في أغلبه على التجارة مع السودان لوجود الذهب هناك ثم أشرت إلى أنشطة أخرى كالفلاحة وتربية الماشية...

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحياة الثقافية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، فتحدثت أول الأمر عن نشأة حلقة الغرابة باعتبارها أهم إنجاز ثقافي خلال القرن الخامس الهجري(11م)، ثم عرض أسباب ومراحل نشأة حلقة الغرابة، مهامها وأهدافها.

ثم استعرضت في القسم الثاني مشايخ وعلماء وارجلان ونتاجهم الفكري خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين منهم: أبي عبد الله محمد بن بكر مؤسس حلقة الغرابة سنة 409هـ، أبي عمار عبد الكافي، وفيلسوف وارجلان أبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم السدراتي الوارجلاني، وأشرت إلى الحياة العلمية من مؤسسات ثقافية وطلبة علم ومعلمين، وطرق تدريس وواقع التأليف وكل ما له صلة بالحياة العلمية.

جاء الفصل الثالث كنتاج للتفاعلات السياسية، الاقتصادية والثقافية حيث انعكست على الحياة الاجتماعية من خلال المظاهر العمرانية فذكرت أهم مدن وقرى إقليم

وارجلان والتي فاقت المائة وخمس وعشرين بلدة حسب المصادر التاريخية منها مدينة آجلو، أريغ، تاجديت، تقرت وغيرها من القرى.

ثم درست الأسرة الوارجلانية، حيث قدمت نماذج عن هذه الأسر وعالجت واقع المرأة الوارجلانية ومدى مساهمتها في بناء المجتمع الوارجلاني باعتبارها الأم المربية، الراعية لزوجها والعالمة المصلحة.

وخصصت قسما لدراسة عناصر المجتمع الورجلاني التي تعددت وتنوعت، حيث تناولت بالدراسة العنصر البربري باعتباره العنصر البشري الأقدم بمنطقة المغرب عامة وبوارجلان خاصة، فحاولت التركيز على القبائل البربرية التي استقرت بوارجلان كقبيلة بني وركلا التي استمدت منها وارجلان اسمها.

ثم أشرت إلى العنصر العربي الوافد الجديد من خلال هجرات قبائل بني هلال وبني سليم أواسط المائة الخامسة للهجرة، وتأثير ذلك على مختلف مناحي حياة المجتمع الوارجلاني: سياسيا، اقتصاديا وثقافيا...هذا بالإضافة إلى عناصر قليلة العدد منها العنصر اليهودي.

وفي قسم آخر تناولت الدراسة فئات المجتمع الوارجلاني، إذ ينقسم المجتمع إلى فئتين أساسيتين هما:

١- فئة الأعيان: وتشمل مشايخ ووجوه البلد وكبار التجار...

٢- فئة العامة: وتشمل أصحاب الحرف، الفلاحين، العبيد...

وفي آخر الفصل خصصت الدراسة لبحث عادات وتقاليد المجتمع من احتفالات دينية والتعرض لأبرز الأزمات والآفات التي انتابت المجتمع خلال الفترة المدروسة.

8- صعوبات البحث:

أما عن الصعوبات التي واجهت الباحث، فقد تمثلت في نقص المادة العلمية عند المؤرخين والذين تناولوا الموضوع في غالب الأحيان بشكل عرضي أو عابر، وفي إطار الحديث عن مناطق وأحداث أخرى.

- ندرة المصادر التي تتكلم عن وارجلان في جميع الميادين: الاقتصادية الاجتماعية والثقافية.

- قلة مصادر البحث لاسيما المتعلقة منها بالمذاهب الدينية غير الإباضية كالمالكية، الحنفية وغيرها.

- رغم وفرة المصادر في الفترة الإسلامية إلا أن ما يفي منها بغرض البحث يبدو قليلا، وتناولها للجانب الاجتماعي لم يكن معمقا، بل أهمل نتيجة تركيز المؤلفين على الجوانب السياسية أكثر من غيرها، كما أن التنقل للبحث عنها واقتنائها كل ذلك يشكل صعوبة أمام مساعي الباحث.

- قلة المراجع خاصة الأجنبية منها التي تتناول المواضيع الاجتماعية والثقافية للمغرب العربي خلال الحقبة المدروسة.

9- عرض وتحليل المصادر والمراجع:

لاشك أن دراسة المصادر المعتمدة في البحث تقدم صورة واضحة للمعلومات الواردة فيه، وتظهر قيمتها وتعكس درجة دقتها.

ومن جملة المصادر التاريخية المستعملة في هذا البحث، يمكن ذكر كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لابن الصغير المالكي، قام بتحقيقه الدكتور محمد ناصر والدكتور بحاز إبراهيم. عاصر ابن الصغير أواخر الدولة الرستمية ودون كتابه حوالي 290هـ، اعتمد على الروايات الشفهية التي يسمعها من الإباضية عن الأحداث. وقد اعتمدت على هذا المصدر لعوامل عديدة، باعتباره عاصر الدولة الرستمية وكان شديد الاطلاع على ما كان يحدث بها، شديد الصلة بمن يعرف الدقيق من أخبارها. كما كان في الوقت نفسه من غير المنتمين إلى المذهب الإباضي السائد فيها. فزودني بمعلومات عن قبائل وارجلان التي كانت تنتجع أيام الربيع بمواشيها بأراضي تيهرت. وذكر المذاهب الفقهية التي كانت سائدة آنذاك ومعلومات تمس الجانب الاقتصادي.

كما اعتمدت على كتاب "سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت471هـ)، قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور إسماعيل العربي، ورغم أنه يغلب عليه الطابع المنقبي المتمثل في ذكر الكرامات والأخبار الأسطورية، إلا أنه

أفادني في نشأة المذهب الإباضي وانتشاره بالمغرب الإسلامي، وقدم أخبارا عن عبيد الله المهدي خاصة رحلته إلى سجلماسة ومعلومات جغرافية عن وارجلان ومدنها، حيث اهتم بجميع المناطق الإباضية قديما وأخص بالذكر أريغ، أسوف ووارجلان.

أما المصدر الثالث فيتمثل في كتاب "السير" لأبي الربيع الوسياني الذي ألف كتاب في منتصف القرن السادس الهجري ويعرف باسمه فيقال: سير الوسياني. قام بتحقيقه الأستاذ عمر بن لقمان بوعصبانة، يعد زمنيا همزة وصل بين أبي زكريا والدرجيني، فهو عالم من علماء القرن السادس الهجري، وهو كتاب من النوع القصصي التربوي. أفاد الفصل الثاني كثيرا حيث تطرق إلى علماء الإباضية ورجال المذهب الإباضي على الخصوص، وحلق العلم والتدريس ونظام الغرابة. فالكتاب مهم من حيث المواضيع الجغرافية والمعلومات والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية بالإضافة إلى اهتمامه بالمسائل الفقهية.

والمصدر الآخر الذي اعتمدته في هذه الدراسة هو "طبقات المشايخ بالمغرب" لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني من علماء القرن السابع الهجري (13م)، ألفه سنة650هـ، تأثر بنهج أبي زكريا في تأليفه، ويعد هذا الكتاب أهم مصدر اعتمد عليه البحث، بحيث لا يكاد فصل يخلو من معلوماته المفيدة والمتنوعة، حيث ذكر مناقب المشايخ والعلماء وطرق تحصيلهم على العلم لاسيما حلق الدراسة. كما تناول بالدراسة مسالك الدين والعزابة وأشار إلى العادات والتقاليد الوارجلانية، فكان لي مرجعا هاما.

كما استفادت الدراسة من كتاب " البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي ألفه حوالي 721هـ/1312م، قام بتحقيقه ج.س.كولان وليفي بروفنسال. فقد أفادني في الفصل الأول حينما تناول أحداث الهجوم الفاطمي على تاهرت، والفصل الثالث حينما تطرق إلى العناصر الهلالية ودخولها بلاد المغرب منتصف القرن الخامس الهجري. ويعد هذا الكتاب من أدق المصادر وأشملها لتاريخ المغرب.

ومن المصادر التاريخية أيضا كتاب المؤرخ الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم

من ذوي السلطان الأكبر." لاسيما المجلدين السادس والسابع، وقد أفادني هذا الكتاب في كونه مصدرا رئيسيا لتاريخ القبائل البربرية من حيث نسبهم وأصلهم ومناطق تواجدهم، عاداتهم وتقاليدهم، خاصة المتواجدة بمنطقة وارجلان. ومصدرا أساسيا لتاريخ القبائل الهلالية من بني هلال وبني سليم في بلاد المغرب، ضف إلى ذلك بعض الأحداث السياسية.

كما اعتمدت كذلك على مصـادر أخرى منها كتاب "السير" لأبي العباس أحمد ابن سعيد الشماخي (ت 928هـ). ويعد مصدرا شاملا وجامعا للمصادر التاريخية السابقة، وهو مهم للفترة المتأخرة من تاريخ الخوارج الإباضية بالمغرب. وميزة الشماخي أنه فقيه، عالم بأصول المذهب وفلسفته وتاريخ ظهوره في المغرب، عرف بنزعته المذهبية وحبه لمذهبه الإباضي، وقد أفاد الدراسة بمعلومات عن نشأة المذهب الإباضي وعلمائـه وطلبة العلم، وبعض الأزمات التي عرفها المجتمع من فتن وغير ذلك.

أمـا المصادر الجغـرافية فأبـرزها كتـاب "البلـدان" لابن واضح اليعقوبي (ت 284هـ)، يتحدث فيه عن أسفاره وزيارته للمغرب الإسلامي. قدم معلومات دقيقة عن طبيعة البلاد الزراعية، العمرانية، السكانية، اللغوية والمذهبية. فوصف الأنهار، الأراضي، المزروعات، المدن والمسالك المؤدية إليها، وحددها بالمراحل أي بالأيام. فكان مرجعا مفيدا من جوانب عدة.

ثم كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل النصيبي (ت 368هـ). عاصر الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وقد أفاد الدراسة في الحياة الاقتصادية حيث أتى بمعلومات دقيقة خدمت الفصل الأول كالإشارة إلى التجارة والمحاصيل الزراعية. وأحداث أخرى متعلقة بسكان المغرب ومدنه.

كما استند البحث على كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب." لأبي عبيد البكري (ت487هـ) وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك" اشتمل على معلومات وافرة ودقيقة ورغم أنه كان منصرفا إلى الجغرافيا إلا أنه يأتي بنبذة تاريخية، حيث أفادني هذا المصدر في وصف المدن خاصة وارجلان، إذ يقول عنها: "وارجلان سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى أغرم ان يكامن." اهتم أيضا بوصف الطرق التجارية والأسواق

والحركة التجارية والسلع الصادرة والواردة. فقد كان الكتاب دعامة لأغلب فصول البحث.

وآخر المصادر الجغرافية كتاب "معجم البلدان" لمؤلفه ياقوت الحموي (ت 626 هـ). أفاد البحث في فصله الأول لأنه أورد معلومات عن مدينة وارجلان واعتبرها مدينة كثيرة النخل والخيرات.

بالإضافة إلى مصادر أخرى لا تقل أهمية عما سبق مثل كتاب الإدريسي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" و"الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" للناصري.

كما اعتمدت على مراجع كثيرة ومتنوعة رغم قلة معلوماتها خاصة الاجتماعية منها، ومن جملة هذه المراجع كتاب "تاريخ المغرب العربي" لصاحبه سعد زغلول عبد الحميد وهو في أربعة أجزاء، يحتوي الكتاب على معلومات مفيدة حول إقليم وارجلان وسكان بلاد المغرب من بربر وعرب وأشار إلى حضارة مدينة سدراتة.

أما المرجع الثاني فهو للمؤلف رابح بونار بعنوان: "المغرب العربي تاريخه وثقافته." استقيت منه كما من المعلومات خدمت الفصل الثاني بشكل مميز.

وكتاب "موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي" لعثمان الكعاك تطرق فيه إلى مختلف الحقب من تاريخ الجزائر وعالج مختلف النواحي السياسية، الاجتماعية، الإدارية والثقافية. هذا بالإضافة إلى العديد من المراجع، أذكر من بينها على سبيل المثال كتاب "الدولة الرستمية 160-296هـ دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية." للدكتور بحاز إبراهيم وكتاب "تاريخ المغرب الاسلامي" لعبد العزيز سالم وكتاب " تاريخ المغرب الكبير" لمحمد علي دبوز وكتاب "الإباضية في موكب التاريخ" لعلي يحي معمر.

أما فيما يتعلق بالدوريات التي تطرقت لتاريخ وارجلان، فأبرزها مجلة الأصالة الصادرة عن مطبعة البعث بقسنطينة، حيث نشرت عدة دراسات ومقالات حول وارجلان وتاريخها، والأصل في تلك المقالات عبارة عن محاضرات ألقيت في ملتقى الفكر الإسلامي الحادي عشر المنعقد بوارجلان سنة 1977م. منها محاضرة للدكتورة وداد القاضي بعنوان: "ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية." ومقال للأستاذ محمد بلغراد

بعنوان: "الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة." ومحاضرة للأستاذ موسى لقبال بعنوان: "من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى." ومقال للدكتور إحسان عباس بعنوان "المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين" ومحاضرة للدكتور المستشرق سلفادور غوميت نوغاليس بعنـوان:"الرستميون قنطرة صلـة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية." والحقيقة أن هذه المحاضرات كانت عماد البحث في كثير من فصوله ومباحثه.

وقد قيل قديما: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق. فهذا الموضوع يبقى خطوة بسيطة وبحاجة إلى المزيد من البحث والتدقيق لسد النقائص والثغرات وابراز كنوز وارجلان الحضارية.

الفصل الأول

منطقة وارجلان: الموقع والتطور

الفصـل الأول

I)- منطقـة وارجـلان: الموقـع والتطـور

المبحث الأول: إشكـالية التسـمية.

المبحث الثاني: نشأة وارجلان التاريخية.

المبحث الثالث: الجغرافية الطبيعية لوارجلان.

المبحث الرابع: الحـياة السـياسـية.

المبحث الخامس: العلاقـات المـذهبيـة.

المبحث السادس: الحـياة الاقتصـاديـة:

1 -الـزراعـة.

2 -الرعي وتربية الماشية .

3 -التـجـارة.

المبحث الأول:

ا)– إشكـالية التسميـة:

تعد وارجلان من المدن الصحراوية القديمة في بلاد المغرب الإسلامي، بل اعتبرها دوماس(Daumas)[1]:«المدينة الأقدم في الصحراء.» وردت في المصادر التاريخية بأسماء مختلفة. فياقوت الحموي[2] عـرفها قائلا:« ورجلان بفتح أولـه وسكون ثانيه، وفتح الجيم وآخره نون: كورة* بين أفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر، كثيرة النخل والخيرات...واسم هذه الكورة فجوهة.»

ويتضح من خلال الوصف الذي أورده ياقوت الحموي، أن منطقة وارجلان كثيرة الاتساع، تمتد من جنوب الجزائر إلى الجنوب التونسي.

وقد وردت في معجم مصطلحات الإباضية باسم **"فجوهة"** وأطلقت عليها تسميات متقاربة من حيث النطق مثل: واركلا، وارقلا ووارجلان.إلا أن الاسمين اللذين اشتهرت بهما الآن هما: وارجلان وورقلة.[3]

أما الدرجيني[4] (عاش في القرن السابع الهجري) فقد كتبها بواو في أوله وألف في ثانيه:« ألا تخرج إلى بعض البلاد التي فيها أهل مذهبك مثل وارجلان وغيرها.»

بينما إبراهيم أعزام[5] يذكر أن وارجلان عرفت بأسماء عديدة:« وارجلان، واركلا، ورقلة ووارقلان. هذه الأسماء كلها واقعة على هذا الوطن قديما وحديثا. إلا أن الاسم المعروف به الآن وارجلان. وورقلة اسم لعاصمة بلاد كثيرة تحت نفوذها.»

---

(1) Daumas : le sahara Algérien, paris, 1845, p75.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 5، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د . ت)، ص 427.

* الكورة: اسم لكل صقع أي ناحية، تشتمل على عدة قرى و لها قصبة أي مدينة ينسب ذلك الصقع لها. ينظر سليمان بن عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ط3، تح: أحمد كروم وآخرون، دار البعث، 1423 هـ/2002م، ص 29.

(3) مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ج 2، ط 1، سلطنة عمان، 1429 هـ/2008 م ص 1045.

(4) الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تح: ابراهيم محمد طلاي، الجزائر، 1974م، ص 126.

(5) إبراهيم أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، مخ ، جمعية التراث، غرداية، الجزائر،ورقة 6.

وأضاف قائلا[1]:« وطن وارجلان من الأوطان القديمة كيف لا وهو من فاتح القرن الثاني وطن إسلامي علمي، أنبت كثيرا من فحول العلماء وأعاظم الرجال.»

ويرى سعد زغلول[2] أنها:« تكتب أيضا في شكل واركلا وفي شكل واركلى وفي شكل واركلان، التي ربما كانت نسبة إلى بني واركلا من قبائل البربر. والمفروض أن حرف الكاف في الكلمة ينطق كما تنطق الجيم المصرية.»

وذكرها البكري[3] وارجلان:« وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى أغرم أن يكامن» أي حصن العهود.

ونتساءل هنا: هل اسم وارجلان اقتصر على مدينة بعينها أم هو ذو مدلول واسع؟

يرى مسعود مزهودي[4] أنه:« لا يقصد بوارجلان اسم المدينة فقط، بل اسم المنطقة المحيطة بها، هذه المنطقة التي تحدها شرقا بلاد الزاب وغربا منطقة وادي ميزاب وجنوبا مدينة سدراتة وقراها، أما شمالا فلم نستطع تحديده نظرا لعدم وجود تجمعات سكنية تابعة لها.»

وقصارى القول فإن وارجلان كانت اسما لإقليم كبير، عرف بتسميات عديدة أبرزها وارجلان.

المبحث الثاني:

---

[1] ابراهيم أعزام: المصدر نفسه، مخ، ورقة 3.

[2] سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي،ج 1، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1995 م، ص 73.

[3] البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد، (د ، ت)، ص 182.

[4] مسعود مزهودي: تأسيس وارجلان وسدراتة من خلال الروايات التاريخية، مجلة سدراتة، الأيام الدراسية الأولى حول سدراتة، 23- 26 أفريل 1997م، ص 11.

ب)- نشأة وارجلان التاريخية:

لا تذكر المصادر التاريخية تاريخا محددا لتأسيس وارجلان، بل إن قلة اهتمام الباحثين بالمناطق الصحراوية قديما، ترك نقصا في المعلومات وشحا في المصادر.

يرى ترومليG.Trumellet)[1] أن:« ورقلة أقدم المدن الصحراوية.» وربما انفرد حسن الوزان[2] بالإشارة إلى دور النوميديين في تشييدها، إذ يقول:« وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر النيء ودور جميل، وحولها نخل كثير، ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. الصناع فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جدا، لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد لاسيما من قسنطينة وتونس، يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان.»

ولم يذكر ابن خلدون[3] تاريخ تأسيس وارجلان:« بنو وركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة من ولد فريني بن جانا، وأن إخوانهم يزمرتن ومنجصة ونمالته المعروفون لهذا العهد: منهم بنو وركلا، وكانت فئتهم قليلة، وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة، في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب بنوها قصورا متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرانها، فائتلفت وصارت مصراً.»

ويؤكد عبد القادر موهوبي[4] على:« أن وركلان قديمة النشأة وأول من تأسس بها هي مملكة النقوصة* ثم القصر القديم، أما من عمروها هم الغرامنتيون ثم المنحدرون من قبيلة زناتة.»

---

(1) G.Trumellet : les Français dans le desert, paris, 1863, p 9.

(2) حسن الوزان(المعروف بليون الإفريقي): وصف إفريقيا، ط 2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983 م، ص 136.

(3) ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 7، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1968م، ص 106.

(4) موهوبي عبد القادر : ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة، دار البصائر، الجزائر، 2011 م، ص 152.

* النقوصة: ظهرت هذه القرية في القرن الثاني للميلاد ويقصد بها المبعدون عن المنطقة، توجد على 6 مراحل جنوب شرق وارجلان في وسط الرمال. ينظر حاجي عبد الرحمان: ورقلة تاريخ وحضارة ، ج 1، الجزائر، 2010 م، ص128. وينظر أيضا DAUMAS : op.cit, pp 88-89

على أن حاجي عبد الرحمان [1] يشير إلى أن:« ورقلة من أقدم مدن إفريقيا والأكثر تعميرا وأن سكانها يعودون إلى أربعمائة ألف سنة قبل الميلاد حسب الحفريات والآثار، حيث عثر في محيطها على أدوات حجرية تعود إلى مليوني سنة تقريبا.»

وقد أكدت جينت أوماسيب (Ginette Aumassip)[2] ذلك قائلة:« قطن الإنسان ورجلان ونواحيها منذ العهد النيوليتكي، وترك فيها آلاته الحجرية التي استعملها في حياته اليومية.»

إن الآثار والحفريات المعاصرة وما أظهرته، تؤكد على أن وارجلان ضاربة بعروقها في التاريخ. يقول العدواني الطاهر[3]:« كانت الصحراء في أقل تقدير أحد وأقدم المواطن التي شهدت مولد الإنسان وطفولته تشهد على ذلك التركة الأثرية التي لا مثيل لها في التنوع والكثرة فالأدوات الحجرية التي تعج بها الصحراء، ابتداء من أولى الصناعات المتمثلة في الحصى المشظى إلى الأدوات الحجرية الدقيقة الصنع إلى صناعات الفخار والمعادن. كل هذه التركة الأثرية إنما تقوم شاهداً على عمران الصحراء عمرانا غير منقطع طوال كل العصور.»

ووفق الحفريات والآثار فقد وجدت أيضا العديد من النقود الرومانية في المنطقة، حيث ترى مادلين روفيلوا(Madleine Rouvillois Brigol)[4]:« أن وارجلان وجدت منذ العهد الروماني وأنها منطقة استقرار لشعب غني يعيش على ثمار النخيل.»

لكن ما يستخلص من هذا كله، أن مجد وارجلان تواصل حتى نهاية القرن الثامن الهجري (14 م) وهذا دليل على أهمية ومكانة وارجلان الحضارية ضمن حواضر الصحراء الإسلامية.

المبحث الثالث:

ج) – الجغرافية الطبيعية لوارجلان:

---

[1] حاجي عبد الرحمان : المرجع السابق، ج 3 ، 2011م، ص 5.

[2] Ginette Aumassip : Néolithique sans poterie de l'oued Mya, SNED, Alger, 1972, p 138.

[3] العدواني محمد الطاهر : الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م، ص ص 117-119.

[4] Madleine Rouvillois Brigol: le pays de ouargla , sahara Algérien, paris, 1975, p 9.

إن دراسة البيئة الجغرافية لوارجلان ضرورة حتمية، لأن البيئة تؤثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية تأثيرا مباشرا، فطبيعة وارجلان تمثل تضاريسيا ومناخيا أحد النماذج المناخية للمغرب الإسلامي، وهي على تنوعها ترجع في مجموعها إلى المناخ الصحراوي الذي يمتاز بالحرارة الشديدة والجفاف صيفا وبالبرودة وقلة التساقط شتاء.

فوارجلان كما يصفها شعباني صلاح الدين[1]:« إنما هي اسم لإقليم واسع ذي خصائص جغرافية وعمرانية وتاريخية ودينية.» فهي مواطن بني وركلا جنوب الزاب الذي يقول عنه حسن الوزان(ليون الإفريقي)[2] :« يكون الزاب إقليما يضم خمس مدن ويجيء بعد هذا الإقليم الواحات.»

وبنو وركلا لهم مصر مستبحر بعمرانه، يبعد عن بسكرة بثماني مراحل إلى الجنوب الغربي، كانوا قد بنوا قصورا متجاورة وقريبة من بعضها فالتصقت وأضحت مصراً واحداً عرف باسمهم.[3]

ويقدم حساني مختار[4] وصفا دقيقا لحدود وموقع وارجلان إذ يقول:« يحدها شرقا بلاد الزاب وغربا وادي ميزاب وجنوباً مدينة سدراتة والقرى التابعة لها.»

ويضيف سعد زغلول[5] أنه يحد شرق وارجلان: « بلاد ريغ وطولها نحو خمسة أيام وهي بلاد نخل ومنخفضات واسم قاعدتها تمارية.»

ويذكر توفيق المدني[1] أن:« القسم الجنوبي كله دائرة الواحات، ومركزه مدينة ورقلة "بني ورجلان" ويمتد تراب هذه الدائرة حتى السودان، وتمثل هذه الأرض مناطق رملية

(1) شعباني صلاح الدين: التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9-11 م)، رسالة ماجستير، الجزائر، 2003 م-2004م، ص 40.
(2) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 32.
(3) بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، أدوارها- مواطنها- أعيانها، ج 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007 م، ص 184.
(4) حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج 2، دار الحكمة، الجزائر، 2007 م، ص 178.
(5) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 75.

شاسعة تدعى الواحدة منها العرق.» ويضيف قائلا[2]:« تنبت تلك الواحات في وسط الصحراء كما ينبت الأمل في وسط اليأس، بينما المياه الدافقة تغذي أصولها، وهكذا تتكون غابات كثيفة فيها مئات الآلاف من النخيل الذي ينتج رطبا جنيا، وحول تلك الغابات النخلية وفيما بينها تجد الأشجار المثمرة والفواكه البديعة.»

أما من حيث تضاريس المنطقة فإن الصحراء بحمادتها ورقها وعرقها تغطي قسما كبيرا من سطح وارجلان. وفي نظر دوماس(Daumas)[3] :« تشكل الصحراء منطقة مستوية وشاسعة يقل بها السكان وأغلب مناطقها قاحلة وغير منتجة وتميزها الكثبان الرملية.»

ورغم ما يوصف به هذا الإقليم من أنه صحراء موحشة، إلا أن الأمر ليس كذلك فسعد زغلول[4] يرى:« أنا منابع المياه والواحات تنتشر في أرجائه وبعضها أمكن للقوافل أن تخترقه من أقصاه إلى أقصاه.»

هذا ويؤكد بعيو مصطفى [5] أهمية الصحراء فيقول:« لم تكن الصحراء الكبرى بجفافها الشديد عائقا، فقد كانت واحاتها محطات للراحة والتبادل ومراكز لنشر الثقافة الإسلامية وعن طريقها عرف الإسلام طريقه إلى السودان.»

كما يتشكل سطح وارجلان من مرتفعات كالجبال والكتل الهضبية إذ يتغير سطح الأرض وطبيعته بمحاذاة وادي مية، فتظهر كتل هضبية وتهب رياح شمالية غربية محملة بأتربة رملية مما يصعب المسير، حتى أن التنفس يصبح عسيراً.[1]

---

(1) توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009 م، ص 244.

(2) توفيق المدني: المرجع نفسه، ص 223.

(3) Daumas : Mœurs et coutumes de l'Algérie, tell, Kabylie, sahara, librairie de l'Hachette, paris, 1853, p 237.

(4) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 73.

(5) بعيو مصطفى عبد الله: دور الشمال الإفريقي في الحضارة والفكر الإسلاميين، مجلة الأصالة ، ع 24، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، أفريل 1975م، ص 210.

تشتهر المنطقة أيضا بأوديتها، فوارجلان هبة وادي مية* يذكر حاجي عبد الرحمان [2] أن:« المياه الناجمة من فيضان وادي مية، كانت تغمر واحة النخيل كلها.» فالخصب الذي رأته وارجلان وما جاورها كان مصدره مياه وادي مية والعيون الجارية ومنها خاصة "عين الصفا" التي تأتي مياهها من سدراتة. حيث يؤكد ذلك قول ابراهيم أعزام[3]: « ناهيك بعين تسمى واد الصفا في ناحية سدراتة، فيها ثلاث مصارف وآثـار عين الصفا باقية إلى عهدنا هذا.»

ويعـد واد اغرغار من أهـم الأودية الجزائرية الصحراوية.[4] ويحـدد إبراهيم أعزام[5] منبعه :« من بلاد التوارك وينتهي إلى وارجلان.»

هذا بالإضافة إلى وادي النسا ووادي ريغ. فقد ذكرت مادلين روفيلوا[6]:«أنهما ينتشران بإقليم وارجلان. » والذي يميز هذه الأودية اخضرارها واستقطابها للسكان، حيث يحيط بها الأجنة الكثيرة ذات النخيل المتنوعة الألوان وبجوانبها القرى.[7]

كما نجد المنخفضات، فإسماعيل العربي[1] يذكر أن:« هذه الصحراء كلها رمال، ولو أنها ليست جـرداء تماماً وهناك منخفضات واسعة. فهي إذاً جزء من المنخفض الصحراوي الكبير.»

---

(1) G. Trumellet : op. cit, p 266

* وادي مية: سمي بذلك لأنه يلتقي بمئة واد في طريقه، يتلقى الماء خلال فصل الشتاء فقط، يتميز بسريره الواسع لهذا يجف صيفا. ينظر Daumas : op.cit, p 73

(2) حاجي عبد الرحمان : المرجع السابق، ج 1، ص 79.

(3) إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 25.

(4) العدواني محمد الطاهر : المرجع السابق، ص 137.

(5) إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 13.

(6) Madleine Rouvillios Brigol : op.cit, p3.

(7) إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 24.

والمنطقة معروفة أيضا بكثرة سبخاتها وشطوطها وبحيراتها هذا ما يؤكد أبو زكريا يحي[2] قائلا:« وتوجهوا نحو وارجلان فلما وصلوا السبخة...» والسبخة هي في الأصل أراضي مالحة لا تصلح للزراعة عادة.

أما من حيث المناخ، فيسود وارجلان مناخ صحراوي حار وجاف، ودرجات الحرارة مرتفعة صيفا، حيث تتجاوز الإحدى والأربعين درجة في المتوسط وتنخفض في الشتاء ويذكر حاجي عبد الرحمان[3] أن:« المنطقة شهدت تقلبات مناخية عنيفة، ورياح عاتية أضرت بحيوانات المنطقة واختفت الكثير من نباتاتها، مما سبب موجة من الجفاف.» فأصبحت التربة فقيرة ومالحة وبذلك تقلصت مساحات الزراعة.

يتميز مناخ وارجلان بندرة الأمطار (49 مم) في المتوسط، وهي كغيرها من المناطق الصحراوية تفتقر للغطاء النباتي الطبيعي، ولكنها بالمقابل غنية ببساتين النخيل فهي واحة بديعة المناظر.

تبلغ درجة الحرارة 70 درجة في الرمال، أما في الشتاء فكل شيء يتجمد على حد تعبير توفيق المدني.[4]

يتأثر مناخ وارجلان بعوامل عديدة منها نوع واتجاه الرياح ودرجة الحرارة وطبيعة التضاريس من حيث الارتفاع والانخفاض، حيث تهب عواصف رملية موسمية بين شهري فبراير وأبريل، وتبلغ ذروتها في شهر مارس، وغالباً ما تسبب في خسائر فادحة تصيب الزرع والماشية، ويبدأ الجو في التحسن ابتداء من شهر سبتمبر، عندما يتغير اتجاه الرياح

لتصبح شمالية شرقية، تكون غالبا محملة بالرطوبة فيكثر العشب متى تلقت حظا ملائما من المطر.[1]

---

[1] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص ص 157-158.

[2] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/1997م، ص 186.

[3] حاجي عبد الرحمان : المرجع السابق، ج 1، ص 72.

[4] توفيق المدني: المرجع السابق، ص 222.

[1] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 158.

ويذكر لارجو (v. Largeau)[2] أن:« المنطقة تهب عليها ريح السموم من غيوم رملية حتى لا يمكن تمييز شيء، إذ تبلغ درجة الحرارة 43 درجة في الظل، ويعرف السموم بالريح الحارة والجافة وهي مشتقة من لفظ سم.» ويصف مناخها[3] بأنه:«معتدل شتاءً مثل باقي الصحاري، حار جداً صيفا.»

وإذا كان القزويني[4] يرى أن المناخ الصحراوي لا يساعد على النشاط:« لفرط الحرارة وأنها أرض محرقة لدوام الشمس إياها.» فإننا نقول أنه بمرور الزمن، بقي الإنسان هناك يبحث عن الماء والكلأ وينحسر انحسار الخصب والمطر، وانعدمت حركته أو كادت في المناطق الجافة ونشطت حيث المطر والآبار الجوفية والينابيع والأودية.

يستخلص مما سبق أن وارجلان الواقعة على حواف الصحراء هي بلدة شديدة الحر قليلة المطر وبهذا تطلب الأمر العمل على الإفادة من أنهارها قدر الإمكان.

المبحث الرابع:

د) - الحياة السياسية:

(2) Victor largeau : le pays de rirha, ouargla, paris, 1879, p 28.

(3) V.largeau : idem, p 114.

(4) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998م ،ص 9.

مما لا شك فيه أن وارجلان شكلت في مرحلة من مراحل تاريخها جزءًا لا ينفصل عن كيان الدولة الرستمية، وارتبط تاريخها بتاريخ تيهرت تطورا وضعفا، وهذا الارتباط تتجلى مظاهره في جوانب عديدة: فكرية، سياسية واقتصادية.

فقد عرفت وارجلان الفكر الخارجي منذ أوائل القرن الثاني للهجرة حيث يشير إلى ذلك مسعود مزهودي[1] في قوله:« ولما دخل أتباع المذهب الإباضي إفريقية استطاعوا نشره بسرعة رغم هزيمة أبي الخطاب* وكان من نتائج هذه الهزائم أن فر العديد منهم إلى مختلف المناطق البعيدة من مراكز الثورات كتاهرت ووارجلان اللتين أصبحتا من المراكز المهمة بعد ذلك.»

ويؤكد العروي عبد الله [2] ذلك قائلا: « كانت لحروب الفتح وللحملات المتوالية ضد الصفرية** والإباضية نتيجة مهمـة، وهي أنها أرغمت هؤلاء على التوغل إلى الصحراء».

ويرى سلفادور غوميث نوغاليس[3]أن:« البؤرة الأساسية للإباضية كانت المغرب وبتحديد أكثر في لحظة من تاريخه كان إقليم ورجلة.»

فالعلاقة بين تيهرت ووارجلان كانت وطيدة منذ الفتح الإسلامي للمغرب، حيث ترى مادلين روفيلوا[1] أن:« المنطقة خضعت للمذهب الاباضي وتذكر أنه عام 101 هـ/ 720 م كان قـدوم الاباضية إلى سدراتة وتوطدت العلاقات بين الدولة الرستمية بتيهرت وإقليم وارجلان.»

---

[1] مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 13.

* أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني (ت 144 هـ/761 م): يعد من حملة العلم إلى المغرب، خلصت له طرابلس وإفريقية وانتخب إماما سنة 140 هـ ، إلا أن هذه الإمامة لم تدم سوى أربع سنوات حيث قضي عليها من قبل العباسيين سنة 144 هـ بتاورغا. ينظر الشماخي، أبو العبـاس أحمد بن سعيد: كتاب السير، تح: محمد حسن، تونس ، 1995 م، ص 23 و ما بعدها.

[2] العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب، ط 1، بيروت، لبنان، 2007 م، ص 210.

** الصفرية: هؤلاء أتباع زياد بن الأصفر. ينظر أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي (ت 429 هـ) : الملل والنحل، تح: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986 م، ص 67.

[3] سلفادور غوميث نوغاليس:الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الاباضية، مجلة الأصالة ،ع 46-47، السنة 5، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جوان-جويلية 1977 م، ص 11.

– ولأدل على ذلك كله ما أورده الإدريسي[2] في وصف أهل وارجلان:« ومن مدينة المسيلة إلى ورقلان اثنا عشر مرحلة، وهي مدينة فيها قبائل مياسير... وهم وهبية إباضية نكار* خوارج في دين الإسلام.»

أما حدود الدولة الرستمية فيقول عنها توفيق المدني[3] ما يلي:« أصبحت الدولة البربرية الإسلامية أي الرستمية – باسطة سلطانها العادل في كل ربوع الجزائر ما عدا ناحية الزاب الأغلبية وناحية تلمسان الإدريسية.»

وأن هذه الحدود شملت الصحراء أيضا حيث يقول جودت عبد الكريم[4]:« وفي الجنوب فقد امتدت حدود الدولة الرستمية حتى شملت الصحراء بما في ذلك ورقلة (وارجلان).»

ويذكر سليمان داود[5] أنه كانت:« لهم مدارس وحلقات علم في جميع مملكتهم وبالأخص في البلدان الشهيرة مثل وارجلان وبلد أريغ...»

ويصف عبد العزيز سالم[1] طبيعة الدولة الرستمية فيقول:« كانت بالدولة الرستمية واحات خصبة في وسط الصحراء أهمها واحة وارجلان التي كانت تشتهر بنخيلها وزيوتـها.»

تمتعت وارجلان في ظل الحكم الرستمي بالاستقلال تارة، فقد جاء على لسان مسعود مزهودي[2] أن:« وارجلان وسدراتة كانتا مستقلتين وكل ما ربطهما بالدولة الرستمية من

---

(1) Madleine.R. Brigol : op.cit, p 11.

(2) الإدريسي الشريف : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتـاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبع ليدن، بريل، 1864م، ص ص120-121.

* النكار: جماعة انشقت عن الاباضية في المغرب الإسلامي زمن الإمامة الرستمية وسميت بذلك لإنكارها إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 171 هـ/ 787 م: وعرفت باليزيدية نسبة إلى زعيمها أبي قدامة يزيد ابن فندين اليفرني. ولها أسماء عديدة:الشغبية، النجوية والناكثة. ينظر: معجم مصطلحـات الاباضية، ج 2، ط 1، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م، ص 1027.

(3) توفيق المدني: المرجع السابق، ص 42.

(4) جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت) ص 58.

(5) سليمان داود بن يوسف: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، ملتقى وارجلان الحادي عشر للفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 06-15 فبراير 1977م، ص 86.

(1) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الإسلامي، الإسكندرية، مصر، 2008 م، ص 490.

علاقات هو اعترافهما بالتبعية الاسمية لها.» والولاء تارة أخرى،إذ يذكر مختار حساني[3] أن:« مدينة وارجلان خلال عهد الدولة الرستمية كانت علاقاتها بالدولة الرستمية تتميز بالولاء لهذه الدولة.»

ويلخص شعباني صلاح الدين [4] العلاقة بين تيهرت ووارجلان في قوله: « وقد كان نفوذ الدولة الرستمية بوارجلان نفوذا اسميا وذلك راجع إلى طبيعة النظام اللامركزي الذي تبنته الدولة الرستمية، ولم يكن أهل وارجلان يرجعون إلى الدولة الرستمية إلا فيما يتعلق بتعيين العمال.»

وبالإضافة إلى الروابط المذهبية، الجغرافية والسياسية فإن وارجلان شكلت أيضا مصدراً اقتصاديا هاما بالنسبة لتيهرت، إذ اعتبرت مادلين روفيلوا[4] أن: « ورقلة أيضا المركز الاقتصادي لهذه المنطقة الشاسعة الممتدة عبر وادي مية.»

ويقول سليمان داود[6] أن:« الدولة الرستمية اتخذت وارجلان قاعدة كبرى وهمزة وصل بين السودان وإفريقيا وأوروبا، وكان ذهب إفريقيا السوداء يجمع في وارجلان مع غيره من السلع ويصدر إلى بلدان المغرب وأوروبا وكذلك السلع التي تأتي من أوروبا والمغرب وتصدر إلى إفريقيا السوداء. ومن وارجلان انتشر الإسلام في مالي وغيره من

بلاد إفريقيا السوداء بواسطة التجار.» ويكفي تذكر أن حدود الدولة الرستمية تمتد إلى أن تشمل ورقلة جنوبا.[1]

ويعتبر عبد العزيز سالم[2] أن:« وارجلان كانت أكبر قواعد الدولة الرستمية للتجارة الجنوبية، ولذلك أثرى تجار هذه المدينة ثراءً فاحشاً بفضل ما كان يتدفق عليهم من أموال وينعكس هذا الثراء في سائر مدن الدولة الرستمية.»

---

[2] مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 17.
[3] مختار حساني :المرجع السابق، ص 179 .
[4] شعباني صلاح الدين :المرجع السابق، ص 40.
[5] Madleine.R. Brigol : op.cit, p1.
[6] سليمان داود بن يوسف: المرجع السابق، ص 89.
[1] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 230.
[2] عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 491.

وفي هذا الصدد يقول محمود أبو صوة [3]:« كان التجار الإباضيون يفضلون الإقامة في المدن التي تعتمد أساسا على التبادل التجاري.»

- مما سبق يتضح جليا أن العلاقة بين تيهرت ووارجلان كانت وطيدة بفعل القواسم المشتركة بينهما من فكر وجغرافيا وسياسة واقتصاد، وهو ما ذهب إليه موسى لقبال[4] إذ يرى:« ارتباط تاريخ وادي ريغ وصحراء بني وارجلان بتاريخ تيهرت الرستمية والفضل كما يقول - في وحدة المنطقة كلها إلى الإسلام.»

لاشك إن للدول أعماراً طبيعية من نمو وتطور وانحطاط كما للأشخاص، فقد تعرضت الدولة الرستمية ومن ثم وارجلان إلى اعتداء شيعي أواخر القرن الثالث الهجري أزالها من الوجود، فقد قضى الله على هذه الدولة بالانتهاء وحكم بخراب ملك هذه العائلة، كما قضى من قبلها ومن بعدها من ملوك وسلاطين وخلفاء[5] تصديقا لقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون.)* وقوله عز وجل: (تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعز من تشآء وتذل من تشآء.)**

وذكر سلفادور نوغاليس[1] أن: « الفاطميين قد تعرضوا لورجلة في محاولة للقضاء على أية فكرة لاتخاذها مركزا للاباضية.»

وكأني باحسان عباس[2] يرثي تاهرت فيقول: « فبينما تاهرت في أيام السلم جمهورية نموذجية، إذ بها في أيام الفتن مدينة شبه مهجورة.»

أسباب سقوط تاهرت:

وقد يتساءل المرء: ما تأثير سقوط تيهرت على وارجلان؟

---

[3] محمود أحمد أبو صوة: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، فاليتا، مالطا، 1977 م،ص 246.

[4] موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مجلة الأصالة، ع 41، السنة 6، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، محرم 1397 هـ/ جانفي 1977 م، ص 57.

[5] سليمان بن عبد الله الباروني: المرجع السابق، ص 385.

* سورة القصص: الآية 88.

** سورة آل عمران: الآية 26.

[1] سلفادور غوميث نوغاليس: المرجع السابق، ص 14.

[2] إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، ملتقى وارجلان الحادي عشر للفكر الإسلامي، مج 1، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 06-15 فبراير 1977م، ص 124.

إنه لجدير بالذكر عرض الأسباب التي أدت إلى زوال الدولة الرستمية، فقد بدأت أعراض الشيخوخة تدب في كيان هذه الدولة وذلك بعدما فسدت عصبيتها وتلاشت قوتها فافترق الأنصار وزالت الدعوة الصادقة وانعدم الدعاة الأكفاء.

ويجمل علي دبوز[3] هذه الأسباب في أربع:

« 1- الشيخوخة بطول الجد والكد والزمان.

2- الانغماس في الحضارة والنعيم.

3- الطابور الخامس الذي كان يهدمها من الداخل.

4- العدو الخارجي القوي الذي هاجمها.

أما الشيخوخة فإن الدولة الرستمية قد استوفت عمرها، إن عمرها 152 عاماً وهو عمر لم تبلغه إحدى الدول المعاصرة لها في المغرب إلا دولة بني مدرار. أما الترف والنعيم فإن الدولة الرستمية بلغت في الغنى والحضارة أعلى الدرجات فانغمست في الترف والملاذ فضعفت نفوسها وساءت أخلاق كثير من العائلة الرستمية حتى عدا اليقظان وأبناؤه وحزبهم على أبي الحاتم فقتلوه واستعدت دوسرا بنت أبي حاتم أبا عبد الله الشيعي على اليقظان.»

وقد أشار ابن الصغير[1] إلى حالة الترف والغنى والبذخ في عهد الإمام أفلح* إذ يقول:« كان قد ابتنى القصور واتخذ بابا من حديد، هذا وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات، وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والأفاق بأنواع التجارات وتنافس الناس في البنيان حتى أبنى القصور والضياع خارج المدينة وأجروا الأنهر.» بل إن جميع أراضي الإمارة الرستمية كانت نمت لديها ثروات وممتلكات.

---

[3] دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1383 هـ/ 1963 م ص ص 621-622.

[1] ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1406هـ/1986 م، ص 61.

* أفلح بن عبد الوهاب (208 -258 هـ) ثالث الأئمة الرستميين. ينظر الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 70 وما بعدها.

فكانت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت لما اكتسبت الأموال واتخذت العبيد والخيول قد نالها من الكبر ما نال أهل المدينة حتى خاف أفلح أن تجتمع الأيدي عليه فتزيل ملكه.[2] كيف لا " وحب الدنيا أساس كل نقصان"[3] فالذي يقتل الأمم ويبيدها إنما هو الإفراط في الغنى لا الفقر الذي يذكيها فتعمل فتصح، حيث ذكر ابن الصغير[4] أن:« البلد قد فسدت وفسد أهلها، واتخذوا المسكر أسواقا والغلمان أخدانا.»

ويضيف شعباني صلاح الدين [5] أن:« أهم عامل هو انحراف الاباضية عن مبادئها التي اكسبتها في بداية دولتها الاحترام والاستقرار لكن عندما تحول الحكم إلى نظام وراثي كثرت الفتن والثورات من القبائل.»

هذا ما ذهب إليه محمود السيد[6] إذ يقول:« قد خالف الإباضيون أنفسهم حين جعلوا الإمامة وراثية، وهذا يناقض أفكار النظام الوراثي للخلافة، ولذلك حدث انشقاق في صفوف الاباضية.»

ويرى توفيق المدني[1] أن:« تفاقم الخلافات المذهبية وظهور دعوة الشيعة وطغيانها قضت على هذه الدولة وأتلفتها.»

إن عدم اهتمام الدولة الرستمية بالجندية والجيش لحماية كيانها من أي غزو خارجي يشكل قطعا أحد الأسباب الأساسية التي عجلت بنهايتها واضمحلالها.

ففي حدود سنتي 908-909 م يرى "وليام ديديه" (Willems Didier)[2] أن:« الشيعة بقيادة أبي عبد الله الشيعي* قاموا بإزاحة الحكم الرستمي وتخريب تيهرت. فتفرقت العائلة الإباضية وفي محاولة للتوحد يلجأ الإباضية إلى واحة ورقلة.»

---

[2] ابن الصغير المالكي: المصدر نفسه، ص 63.

[3] الجيطالي، أبو طاهر إسماعيل بن موسى: قناطر الخيرات ، ط 1، غرداية، الجزائر، 1419 هـ/1998م ص 202.

[4] ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 116.

[5] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 37.

[6] محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2000 م، ص 34.

[1] توفيق المدني: المرجع السابق، ص 43.

ويذكر الدرجيني[3] أن:« عبد الله الشيعي اجتاز على تاهرت فكان منها ما كان من غدر بني اليقظان بالإمام يوسف بن محمد بن أفلح وشكا مَن بتاهرت ونظائرها من الشيعة والواصلية وغيرهم إلى الشيعي إمارة الفرس، وخرجت دوسرا بنت الإمام يوسف تشكو إلى الشيعي غدر بني يقظان بأبيها ووعدته أن يتزوجها إن هو أخذ لها ثأرَ أبيها.»

– ويبدو من كلام الدرجيني أن الفتن الداخلية وتعدد المذاهب الفكرية، كانت جوهر الأسباب التي أدت إلى إضعاف الدولة الرستمية. ويضيف الدرجيني[4] أن:« يعقوب ابن الإمام يوسف بن محمد بن أفلح – وابنة أخيه "دوسرا" خرجا في خفاء إلى جهة وارجلان حتى نزلاها وإنما خرج بها خوفا من أبي عبد الله الشيعي.»

ويذكر ابن عذارى المراكشي[1] أن:« أبا عبد الله سار حتى حل بمدينة تيهرت فدخلها بالأمان وقتل بها من الرستمية اليقظان وجماعة أهل بيته وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس بالقيروان.»

وتذكر المراجع أن عبد الله الشيعي دخل تيهرت شوال 296 هـ/909 م فانتهبها وانتهك حرمتها، وأجلى كثيرا من أهلها.

وهو ما ذهب إليه فرحات الدشراوي[2] إذ يقول أن:« أبا عبد الله الشيعي حينما مرَ على تاهرت، لم تبدِ أي مقاومة فأعطاها الأمان ولكنه أمر بقتل صاحبها وعدد كبير من أهل بيته.»

---

(2) Willems Didier : Recherches sur quelque grandes mosquées du Mzab et du sahel central, thèse 3eme cycle, paris, sorbonne, 1990-1991, p 23.

* عبد الله الشيعي: اسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء من أهل صنعاء وقيل من أهل الكوفة أخذ أسرار الدعوة عن ابن حوشب وأرسله إلى المغرب فقدم مكة أيام الحج واجتمع بجماعة من المغاربة من أهل كتامة. ينظر ابن أبي دينار، أبو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، ط 1، تونس، (د.ت)، ص 51.

(3) الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 94.

(4) الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص 94.

(1) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ط 3، تح: ج.س، كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983 م، ص 153.

ثم سار يعقوب بأصحابه متوجها إلى وارجلان فأقبل بمن معه من أهله حتى نزل وارجلان وذلك على عهد الشيخ أبي صالح جنون بن يمريان فتلقاه في جمع من أعيان وارجلان وأكابرهم فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه وعرضوا عليه أن يولـوه على أنفسهم فقال: لا يستتر الجمل بالغنم » فصار مثلاً.[3]

وبهذا أصبحت وارجلان العاصمة الثانية للإباضية بعد سقوط تيهرت، وملاذا آمنا للفارين فاحتضنت الوافدين الجدد الذين نزحوا من شمال الجزائر إلى وارجلان التي كانت تابعة للرستميين.[4]

من جهتها ترى ماريا خيسوس فيغيرا[5] أنه :« لا ينبغي أن ننسى أنه ههنا في سدراتة في واحة ورقلة قد قوبل بالترحيب الأمير الرستمي وأنصاره.»

إلا أن وارجلان ذاتها لم تسلم من بطش العبيديين، فقد ذكر سليمان داود بن يوسف[1] أن:« العبيديين أحرقوا المسجد الكبير للشيخ صالح بن يمريان.» بل وأحكموا الحصار عليها حيث وجه عبيد الله الفاطمي عسكراً عظيماً إلى وارجلان فلما سمع أهلها بإقبال العسكر تحصنوا بالكدية المعروفة بكدية كريمة* وهي كدية حصينة شاهقة بينها وبين وارجلان قدر

---

[2] فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365 هـ/ 909-975 م، ط 1، تر: حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص 177.

[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 105-106.

[4] أعوشت بكير بن سعيد : وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية: دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1991 م، ص 58.

[5] ماريا خيسوس فيغيرا: محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، ع 45، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، السنة 5، ماي 1975 م، ص 60.

[1] سليمان داود بن يوسف: المرجع السابق، ص 90.

* كدية كريمة: قلعة محصنة لها أسوار موجودة في هضبة مرتفعة شديدة الانحدار، ولهذا اكتفوا بحصارها لما وجدوه من صعوبة في اقتحامها. ينظر ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 50.

ستة أميال. فملأوا مواجل** بها ماء، وأخرجوا ما قدروا عليه وما أمكنهم، فلما وصلهم العسكر دمر الديار وحاصروهم في الكدية.[2]

فكان الدور الذي لعبته وارجلان هو تجسيم وتعبير عن عمق التأثير الفكري والحضاري للدولة الرستمية التي استمرت آثارها العلمية والفكرية قرونا متصلة بعد غيابها من الوجود السياسي تماما، فبعثت وارجلان ذلك الدور في صورة جديدة وأعطته دفعة قوية حفظت له نصاعته وحيويته.ومن وارجلان انبثق العمران والحركة العلمية في ديار بني مصعب، وذلك لما تتمتع به من الأمن النسبي وانعزال موقعها مع قوة أهلها واتساع العمران فيها، كل ذلك جعلها مكانا مثاليا للقيام بدور البديل المباشر لتاهرت.

فبعد سقوط الدولة الرستمية بتاهرت 296 هـ/909 م، إلى منتصف القرن السادس الهجري نجد الاباضية يجدون بحثا عن منهج ينتهجونه وقد سقطت دولتهم في تاهرت بعد ما كانت الحامي والراعي لكل المناطـق التي كانت تحكمهم وتعين عليها الولاة والقضاة وتستميت في الدفاع عنها.

فبات تنصيب الإمام الحاكم عند الاباضية واجبا لتطبيق أحكام الله في الأرض وإقامة الحدود، وهو حق لكل مسلم إذا توفرت فيه الديانة والدراية والهمة والشجاعة ، حيث يقول الدرجيني[1]:« لم ير زمان منذ قام هذا الدين إلا ولهم إمام، إما ظهور وإما دفاع وإما شراء.»

لذلك وضع الإباضية منهجا إسلاميا يسير حياتهم في حالات القوة والضعف، ويسمى هذا المنهج بمسالك الدين ويبدو أن مصطلح مسالك الدين ظهر خلال القرن الخامس الهجري.[2]

** المواجل: جمع مأجل، وهو في الأصل البركة العظيمة التي تستنقع فيها المياه. ينظر ياقوت الحموي :المصدر السابق، ص 39.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 95.

[1] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 298.

وهذا المسلك يعني المراحل التاريخية التي مرت بها أو تمر بها الحركة الاباضية عبر مسيرتها منذ القرن الأول الهجري.

ويجمع الإباضية على أن عدد مسالك الدين أربعة وهي: إمامة الظهور،الدفاع، الشراء والكتمان.

لكن الدرجيني[3] ذكر أن:« أبا بكر الزواغي كان يقول لسنا في دفاع ولا في ظهور ولا في كتمان ولا في شراء. ولكن زماننا سائب لتضييع الناس القيام بالحق، ولا يعني أن السائب وجه من الدين خامس.»

وقد جعل الإباضية لكل مرحلة من المراحل الأربعة شروطا وقواعد وأنظمة يجب على أتباعهم التقيد والالتزام بها.

1- مسلك الظهور:

يعرفه الدرجيني[1] بقوله:« تولية إمام عادل تستند إليه الأمور.» ويرى الوسياني[2] أن:« هذا المسلك كان في عهد الرسول (ص) بعد إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- وبعد هجرته عليه السلام إلى المدينة المنورة، حيث أسس دولته وربط الألوية وأقام الحدود وأظهره الله وأيده بنصره.»

---

[2] معجم مصطلحات الإباضية، ج 1، ص 489.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 183.
[1] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص 5.
[2] الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان : سير الوسياني، ج 1، ط 1، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، مسقط، عمان، 1430هـ/2009 م، ص 102.

ويقول عمرو خليفة النامي[3] أن:« علماء الإباضية يوردون خلافتي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- كمثلين على مرحلة الظهور في أوائل الإسلام.»

وقد عقدت إمامة الظهور بالمغرب الإسلامي أول مرة لأبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمح المعافري، حيث أشار إلى ذلك أبو زكريا يحي[4] في قوله:« ذكر بعض أصحابنا أنه لما قدم أبو الخطاب مع أصحابه من أرض الشام إلى طرابلس، اهتم بأمور المسلمين من له النظر منهم من المشايخ فاجتمع جماعة من المسلمين والناس في الكتمان فكانوا يجتمعون ويذكرون عقد الإمامة له.»

ويضيف الوسياني[5] أنه:« في هذا المسلك كانت الإمامة تقيم الحدود في تاهرت الرستمية ومناطقها.»

ومسلك الظهور هو أقوى الحالات الأربع، إذ يعد الإمامة الكبرى. ودليل الإباضية في ذلك قوله تعالى:(فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.)*

ويرى عوض خليفات[1] أنه:« إذ توفرت القدرة من حيث العدد والعدة يصبح إعلان الإمامة فرضا واجبا وعلى أتباع المذهب الإباضي في هذه الحالة أن ينتخبوا واحد كفوءاً من بينهم ومبايعته بالإمامة حيث يسمى إمام الظهور أو إمام البيعة.»

ويقوم إمام الظهور بكل المهام والواجبات التي يقوم بها الخليفة ، فقد تختلف بهم الأحوال في الظهور والكتمان ويجهلون التفرقة بين ما يجوز في الظهور والكتمان.[2]

---

[3] عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ط 1، تر: ميخائيل خوري وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 2001 م ، ص 277.

[4] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 37.

[5] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 102.

* سورة الصف: الآية 14.

[1] عوض خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، عمان ،1982 م، ص 110.

[2] الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف إبراهيم : الدليل و البرهان، ج 2، ط 2، تح: سالم بن حمد الحارثي، مسقط، سلطنة عمان، 1427 هـ/2006 م، ص 100.

وبهذا يكون مسلك الظهور قد زال بزوال الدولة الرستمية سنة 296 هـ / 909 م على يد الفاطميين الشيعـة.

2- مسـلك الكتمان:

حسب الدرجيني[3]:« ملازمة الأمر سراً بلا إمام.» ويسميه الوسياني[4]:«الإمامة الصغرى ويكون في حالته الضعف، إذ يتعذر الظهور؛ فكانت الحالة لا تستدعي إقامة الحدود، كما كان ذلك مع الرسول (ص) في مكة قبل الظهور مع من آمن به من المستضعفين فكانت الحكمة تحاشي الأعداء والمحافظة على أنفس المسلمين وعقيدتهم وأموالهم.» ويرى وليام ديديه (W.Didier)[5] أن:«حالة الكتمان تساعد على توفير شروط الجهاد.» ويعرف عمرو خليفة النامي[6] الكتمان بقوله:«إخفاء الشخص لمعتقداته، وفي هذه الحالة يحتفظ المؤمنون بمعتقداتهم سراً لتجنب القمع من أعدائهم، وهكذا تصبح السرية لزاما في مثل هذه الحالة، فقد بدأ الزعيمان الإباضيان جابر بن زيد وخليفته أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في مرحلـة الكتمان.» وقـد أورد ذلك ابن الصغير المالكي[7] في قولـه:«يعتبـر أبوعبيدة مسلم إمام كتمان بعد جابر بن زيد الأزدي.»

ومما تجدر الإشارة إليه ههنا أن كثيرا من الأحكام والحدود قد تعطل بسبب غياب إمام الظهور، الذي توكل إليه مهام إقامة الحدود الدنيوية، ويجوز في هذه المرحلة استعمال التقية الدينية والبقاء تحت حكم غيرهم.

3- مسلك الدفـاع:

حسب الدرجيني[1] أن:« يدهم أهل الكتمان بداهمة فيولوا عليهم من يدفع عنهم العدو.» ويمكن حسب الوسياني[2] أن:«يعقد أهل الحل والعقد لواء الدفاع لمن يرونه أهلاً لذلك، حينما

---

[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 5.
[4] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 103.
[5] Willems Didier : op.cit, p 15
[6] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 182.
[7] ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 28.
[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 5.
[2] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 105.

يداهمهم عدو أراد بهم سوءً، فإن شاءوا عقدوا له بيعة الظهور بعد انتصاراته وإن شاءوا عينوا غيره.»

ويصنف بحاز إبراهيم[3] مسلك الدفاع:« بين مرحلة الظهور والكتمان، فيجب على الإباضية أن يعلنوا حالة الدفاع عن أنفسهم ويعقدوا الإمامة لمن يعرف بالشجاعة والخبرة العسكرية إذا ما داهمهم عدو.»

ويعتبر علي يحي معمر[4] إمارة الدفاع عند الإباضية:« إمارة مؤقتة تقتضيها ظروف معينة لمجابهة أحداث واقعة أو متوقعة، فإذا زالت تلك الظروف زالت الإمارة وزال معها هذا التنظيم الاستثنائي.»

ويعد الوسياني[5]:« إمامة أبي حاتم الملزوزي* إمامة دفاع، حيث بويع سنة 145 للهجرة بطرابلس بعد القضاء على إمامة أبي الخطاب بن السمح المعافري.»

- ويدرج أبو زكريا يحي[1]:« أبا خزر يغلا بن زلتاف (ت 380 هـ) * ممن عقدت له ولاية الدفاع، وقد قام بإرسال أبي محمد إلى ناحية الزاب وأريغ ووارجلان يستفزهم ويستحشدهم ضد الفاطميين.» ولكنه هزم في معركة باغاي سنة 358 هـ.**

4 مسلك الشراء:

---

[3] بحاز إبراهيم بن بكير: الدولة الرستمية (160-296 هـ/777-909 م)، الجزائر،(د.ت)، ص 79.

[4] علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج2، تح: أحمد عمر أوبكه، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر،(د.ت)، ص 347.

[5] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 105-106.

* أبو حاتم الملزوزي يعقوب بن لبيد التجيبي الكندي (ت 155 هـ): أخذ العلم عن حملة العلم وهو في درجة الإمام أبي الخطاب مكانة وعلما، بويع بإمامة الدفاع سنة 145 هـ بطرابلس. ينظر بحاز إبراهيم وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج 4، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1420 هـ/1999 م، ص ص 996-997.

[1] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 143.

* أبو خزر يغلا بن زلتاف (ت 380 هـ): من كبار علماء الإباضية، برع في علم الكلام من أبناء الحامة بقسطيلية من بلاد الجريد بالجنوب التونسي، قاد ثورة ضد جور العبيديين وبويع إمام دفاع، قاتل المعز الفاطمي وتوجه إلى باغاي سنة 358 هـ ولكنه تعجل الأمر قبل وصول المدد من ريغ والزاب ووارجلان فأخفقت ثورته. ينظر: معجم أعلام الإباضية ج 4، ص ص 1001-1002.

** معركة باغاي: معركة هزم فيها أبو خزر يغلا بن زلتاف أمام جيوش المعز الفاطمي سنة 358 هـ ينظر أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص ص 142-144.

وهو حسب رأي عوض خليفات [2]:« مرحلة توجد عادة مع مرحلة الكتمان.» حيث يبيع ثلة من الغيورين على دينهم أنفسهم لله تبارك وتعالى حينما يكثر الفساد، وألا يقلوا عن أربعين شخصا، وألا يتأخروا عن أداء مهمتهم، لا يغدروا بالآمنين ولا يتعرضوا لهم.[3]

ومصطلح الشراة مستوحى من قوله تعالى:(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد.)*** وقوله عز وجل: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.)****

ويرى بحاز إبراهيم[4] أنه:« لا يجوز للشراة بعد أن خرجوا للجهاد الرجوع إلى منازلهم حتى ينقص عددهم عند ثلاثة رجال، كما لا يجوز لهم استعمال التقية ما داموا قد هبوا في سبيل الله .» فأوطانهم سيوفهم.[5]

وهذا العمل طوعي يقوم به الشراة دون إجبار أو ضغط من أحد، وإذا حزموا أمرهم على الثورة فإنهم يختارون من بينهم إماما يسمى إمام الشراة.

ومما هو جدير بالذكر أنه لم يتحقق بوارجلان إلا مسلك الدفاع والكتمان. فبعد سقوط إمامة الظهور بتاهرت عام 296 هـ دخلت أقاليم وارجلان مرحلة الكتمان، رغم محاولتها تجديد إمامة الظهور مع الإمام يعقوب بن أفلح، حينما حل فاراً من العبيديين. فقد رفض الأمر لأن المجتمع الوارجلاني كان في حالة ضعف وعدم قدرة على إقامة الإمامة ومقاومة السلطة الفاطمية. فخضعت وارجلان بعد ذلك لسلطة رؤساء القبائل، فلكل قبيلة شيخ يدير شؤونها.

- وتذكر المصادر التاريخية أن وارجلان عرفت خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (11 12 م) سلطة سياسية ممثلة في مجلس أطلق عليه اسمً أعيان وارجلان وأكابـرها. "

[2] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 112.
[3] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 104-105.
*** سورة البقرة: الآية 207.
**** سورة التوبة: الآية 111.
[4] بحاز إبراهيم بن بكير: المرجع السابق، ص 80.
[5] معجم مصطلحات الإباضية، ج 1، ص 552.

فقد أشـار إلى ذلك أبو زكريا يحي [1] قائلا:« وبلغنا عن الشيخ أبي عبد الله محمد ابن بكر(ت 440 هـ) حين زار أهل وارجلان ودخل على الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي* الذي ولاه أهل وارجلان أمورهم.»

ولعل أهم تنظيم سياسي عرفته وارجلان خلال القرن الخامس الهجري (11 م)، ذلك الذي استحدثه أبو عبد الله محمد بن بكر سنة 409 هـ، والذي أطلق عليه اسم « نظام العزابة.»** وهو نظام اجتماعي وسياسي، وضع له أسساً وقواعد تدير شؤون الناس وفق سلطة روحية وسياسية.وسيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني بشكل مفصل.

فبعد انقراض دولة بني رستم وهجرة بقية رعاياها إلى وارجلان ونواحيها ، رأى علماء الاباضية ورجالهم المفكرون أنه لا بد لحفظ جامعتهم من وضع نظام قار. وقد اختاروا من بين أشكال النظم شكلا يحاكي شكل الإمامة في حفظ الدين وصيانة الجمهورية ألا وهو نظام العزابة.[1]

أنشئ هذا النظام خلال القرن الخامس الهجري للاهتمام بشؤون الناس ولمهمات خاصة وخلال عهد الكتمان، تمارس هيئات العزابة السلطة الكاملة التي للإمام في حكم المجتمع الإباضي.

ويذكـر ترومليG.Trumellet[2] أن:« مجلس الجماعة يتشكل من اثني عشر عضوا.» وتضيف نعيمة بن كاري(Naima Benkari)[3] أن:« هذا المجلس يرأسه شيـخ منتخب، ومنهم القاضي وأمين المال وغيرهما...»

---

[1] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 177.

* أبو عبد الله محمد السدراتي (ق 5 هـ): كان شيخا ذا كرامات عديدة، قدمه أهل وارجلان حاكما عليهم وحكم بالقسط وقسم بالسوية، عرف بسفره للسودان للدعوة والتجارة. ينظر: معجم أعلام الاباضية، ج 3، ص ص 567-568.

** نظام العزابة: يطلق عليه هيئة العزابة ومجلس العزابة وهو هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند الاباضية. أنشأه أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي سنة 409 هـ في وادي ريغ، يقوم هذا المجلس بمهام عديدة. ينظر: معجم مصطلحات الاباضية، ج 2، ص 702.

[1] توفيق المدني: المرجع السابق، ص 152.

[2] G.Trumellet : op.cit, p 20.

[3] Naima Benkari : la formation des villes du M’zab, recture d’une architecture ibadite, these 3eme cycle, grenoble, 1996, p 24.

ويفصل هذا المجلس حسب محمد بلغراد[4] :« بين المتقاضين ومن أبى حكمهم أعلنوا البراءة منه فيقاطع حتى يرد الحق ويتوب.»

ويعرف إبراهيم أعزام[5] نظام الولاية والبراءة بقوله:« الولاية لمن يوفي بدين الله أيا كان والبراءة من مقترف الكبيرة سواء منهم أو من غيرهم.» ودليلهم في ذلك قوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.)* وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم.)** ويعرف أبو حفص عمرو بن جميع[6] الولاية بقوله:« أما الولاية في ذاتها فالود بالجنان والثناء باللسان.»

وفي هذا الصدد يقول الوسياني[1]: « نظام الولاية والبراءة هو الرادع وقوته تكمن في خوف العاصي من افتضاحه حين يعلن شيخ العزابة البراءة منه أمام الملأ في المسجد، كما أن توبته تكون أمام الملأ أيضا.»

وهؤلاء العصاة في تلك الحالة لا يؤاكلون ولا يتكلمون ويعرض عنهم حتى أقرب الناس إليهم وزوجته وأولاده و ذووه، (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه)* تابوا ورجعوا إلى الله وحسنت أحوالهم.

وبهذا يحرم المحكوم عليه بهذا الجرم من حقوقه المدنية وإذا مات قبل التوبة فإنهم لا يتولون غسله ولكن يحيلونه إلى بعض العوام. فيقصى الفرد من حلقة العزابة ويطلق على ذلك :« الخطة والهجران»، أي هجران الشخص نتيجة مخالفته للعرف داخل القرية، وكأن خطا فاصلا وضع بينه وبين باقي الناس. وهذا النظام الذي كان بديلا للسجن ظل مفعوله ساريا إلى أيامنا هذه.

المبحث الخامس:

---

[4] محمد بلغراد: الحركة الاباضية في تاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، ع 41، السنة 6، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، محرم 1397 هـ/جانفي 1977 م، ص 44.

[5] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 134.

* سورة التوبة: الآية 71.

** سورة الممتحنة: الآية 13.

[6] أبو حفص عمرو بن جميع: عقيدة التوحيد ، ط 3 ، تح: عمر بن أحمد بازين، الجزائر ، 1424هـ/2003 م ص 28.

[1] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 103.

* سورة التوبة: الآية 118.

هـ) - العلاقات المذهبية:

ساد وارجلان المذهب الإباضي منذ القرن الأول للهجرة، وقد تعايشت معه مذاهب دينية عديدة. ويشير إبراهيم أعزام[2] إلى أن وارجلان كانت تعيش حالة ازدهار علمي وفكري وأنها كانت مسرحاً لتعدد المذاهب الفقهية إذ يقول: « حالة وارجلان في غاية ما يرام ولا يبرم أمر عمومي إلا إذا وقع الاجتماع في إحدى المساجد الكبار، وكذلك الولائم والمأتم والزيارات يحضرها جميع الطبقات على اختلاف مذاهبها وطرقها ومشاربها لا فرق بينهم.»

وفي نفس السياق ذهب ابن الصغير المالكي[1] إلى ذكر ذلك التعايش المذهبي خلال فترة حكم الدولة الرستمية حينما يقول:« ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد الكوفيين.»

وإذا كان المذهب الإباضي هو السائد حينئذ، لم يمنع ذلك من وجود تسامح ديني مع بقية المذاهب الأخرى، حيث يذكر جودت عبد الكريم[2] أنه:« وجد الأحناف في الدولة الرستمية ويبدو أن عددهم كان وافراً، وهذا واضح من بنائهم مسجداً خاصا بهم وهو مسجد الكوفيين. وإطلاق هذا الاسم على مسجد من مساجد تيهرت يدل على أنهم كانوا جماعة مميزة في عاصمة الرستميين يميزهم مذهبهم الحنفي.»

تستدعي ضرورة السياق التاريخي أن نعقد نبذة تاريخية عن كيفية نشأة ودخول المذهب الإباضي للمغرب، ثم الأماكن التي استقر بها إذ يقول غالب عواجي[3]:« نسب الاباضية إلى

---

[2] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 139.

[1] ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 36.

[2] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 95.

[3] غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام، ج 1، ط 4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 1422هـ/ 2001 م، ص 245.

عبد الله بن إباض لشهرة مواقفه مع الحكام واسمه عبد الله بن يحي إباض المري بن عبيد، وينسب إلى تميم وهو تابعي عاصر معاوية وابن الزبير.»

ويذكر عمرو خليفة النامي[4] أنه:« انتقل من نجد موطن قبيلته إلى البصرة، ويبدو أنه لم يكن راضيا عن حكم معاوية وقد انتقد مخالفته للقرآن والسنة.»

وقد ذهب بعض العلماء الاباضية إلى تحديد الوقت الذي استعملت فيه تسمية الاباضية وأن ذلك كان في القرن الثالث الهجري، وقبلها كانوا يسمون أنفسهم "جماعة المسلمين" أو"أهل الدعوة" أو "أهل الاستقامة".[5]

ويطلق الدرجيني[1] اسم "أهل الحق" على أتباع المذهب الإباضي في قوله:«...إني قد رددت إلى مذهب الحق سبعين عالما من أهل الخلاف.»

ويرى بحاز إبراهيم[2] أن تأسيس المذهب يعود إلى:« جابر بن زيد الذي يعتبر عند الاباضية أصل المذهب ورأسه ويأتي عبد الله بن إباض في الدرجة الثانية.»

ولما توفي جابر بن زيد سنة 93 هـ، أصبح خليفته أبوعبيدة مسلم بن كريمة التميمي* زعيما للحركة بعد خروجه من سجن الحجاج عام 95 هـ، حيث أوجد مجتمعا اباضيا سريا، وخلق حكومة ثورية سرية في البصرة.[3]

ومبدأ الثورة على الإمام الجائر يؤكده ألفرد بل[4] إذ يقول:« اعتنق الاباضية آراء ثورية وديمقراطية ولهذا لم يكن إثما الخروج على المستبد الذي سلبهم أموالهم ونساءهم بل كانت الثورة عليه حقا بل وواجبا ».

---

[4] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص ص 43-44.
[5] غالب بن علي عواجي: المرجع السابق، ص 246.
[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 58.
[2] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص ص 74-75.
* أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت 145 هـ/ 762 م) : كبير تلامذة جابر، تعلم العلوم وعملها، ورتب رواية الأحاديث وأحكمها. ينظر الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 45 و ما بعدها. وينظر: معجم أعلام الاباضية، ج 4، ص 873 وما بعدها.
[3] عوض خليفات: المرجع السابق، ص ص 15-16.
[4] ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987 م، ص 146.

وأنشأ أبوعبيدة مدرسة سرية في سراديب أرضية لتعليم الدعاة وتدريبهم، ومن هذه المدرسة تخرج عدد كبير من الدعاة عرفوا في تاريخ الاباضية باسم "حملة العلم".[5]

وأول شخص تذكره المصادر الاباضية مقرونا اسمه بالدعوة المنظمة للمذهب الإباضي في المغرب هو سلمة بن سعد الحضرمي.**

وبعد وصوله المغرب استقر سلمة في جبل نفوسة في منطقة طرابلس، وأخذ يدعو لمذهبه بين قبائل هوارة البربرية.[1]

ويروى حسب الشماخي[2] أنه كان يقول:« وددت أن يظهر هذا الأمر يوما واحداً فما أبالي أن تضرب عنقي.»

واستطاع سلمة أن يقنع بعض الأشخاص ممن اعتنقوا المذهب بالذهاب إلى المشرق ليأخذوا العلم.

ففي عام 135 هـ اتجهت صوب البصرة أول بعثة علمية كمنظمة اختير رجالها من قبائل ومناطق مختلفة حتى يسهل عليهم بعد عودتهم الدعوة في مناطقهم وبين قبائلهم كان من بينهم عبد الرحمن بن رستم وانضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري.[3]

مكث هؤلاء الرجال في البصرة خمس سنوات يأخذون العلم ومبادئ الدعوة في المدرسة السرية التي أقامها أبو عبيدة مسلم، ثم عادوا إلى بلادهم ليبشروا بمذهبهم، وقاموا بتأسيس المدارس السرية على غرار مدرسة البصرة، تخرج على أيديهم عدد من الدعاة الاباضية

---

[5] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 16.

** سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني (حي عام 135 هـ /752 م): عالم عامل وداعية أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد وعن أبي عبيد مسلم بن أبي كريمة. هو أول من جاء من البصرة بمذهب الاباضية، ليدعو إليه في بلاد المغرب الإسلامي. ينظر: معجم أعلام الاباضية، ج 3 ، ص ص 391-392.

[1] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 17.

[2] الشماخي: المصدر السابق، ص 23.

[3] عوض خليفات: المرجع السابق، ص ص 17-18.

المغاربة. ثم أعلنوا إمامة الظهور عام 140 هـ و بايعوا أبا الخطاب عبد الأعلى ابن السمح المعافري إماما عليهم.[4]

وحسب الناصري[5] كان:« أبو الخطـاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من وجوه العرب، وكان على رأس الاباضية، زحـف من طرابلس على القيروان عام 141 هـ واستولى عليها، ثـم استخلف عليها عبد الرحمن بن رستم الفارسي ورجع هو إلى طرابلس.»

وبهذا دانت لأبي الخطاب معظم بلاد المغرب الأدنى لكن الاباضية ظلوا في صراع مع الولاة العباسيين طيلة خمس سنوات، وانتهى النزاع بمقتل الإمام المنتخب أبي الخطاب في معركة تاورغا عام 144 هـ على يد الوالي العباسي محمد بن الأشعث الخزاعي.[1]

إلا أن الاباضية ازدادوا تمسكا وإصراراً على الاستمرار في دعوتهم، فقاموا بثورات عنيفة ضد العباسيين واستطاعوا أن يؤسسوا الدولة الرستمية الاباضية في المغرب الأوسط.

ويمكن القول حسب الحريري[2] أن:« جهود الخوارج الاباضية هي المقدمات الحقيقية للبناء السياسي للمغرب الإسلامي، لأن الاباضية في سنة 160 هـ، تمكنوا من الانتقال بمذهبهم من مرحلـة الدعوة إلى مذهبهم إلى مرحلة التطبيق العملي لمبادئهم، حيث أسس عبد الرحمن بن رستم* زعيم الاباضية الدولة الرستمية في المغرب الأوسط.»

وبعد الاجتياح الفاطمي للدولة الرستمية سنة 296 هـ/909 م دخلت أقاليمها مرحلة الكتمان، ولم يكتف العبيديون بمضايقة الاباضية فحسب بل متابعة بقية المذاهب، حيث يذكر محمد صالح مرمول[3] أنه: « لم تكتف الخلافة الفاطمية بمضايقة علماء المالكية وقتلهم فقط

---

[4] عوض خليفات: المرجع نفسه، ص 18.

[5] الناصري،أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 م، ص 55.

[1] الشماخي: المصدر السابق، ص 34.

[2] الحريري محمد عيسى : الدولة الرستمية 160- 296 هـ، ط 3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408 هـ/1987 م، ص 7.

* عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى حكم (160هـ - 171 هـ): علم من أكبر أعلام الاباضية، ولد بالعراق في العقد الأول من القرن الثاني للهجرة، ويرجع في نسبه إلى أكاسرة ملوك الفرس فهم أجداده، اختير إماما لأول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط عرفت في التاريخ باسم الدولة الرستمية. ينظر: معجم أعلام الاباضية، ج 3، ص ص 515-518. وابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 28 وما بعدها.

[3] محمد صالح مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، الجزائر، 1983 م، ص 149.

بل صادرت حتى مكتباتهم ومؤلفاتهم وبذلك استعملت عدة وسائل لمحاربة المذهب المالكي بصفة خاصة وقطع جذوره من أساسها.»

وقد أشار إلى هذا التعدد المذهبي ابن أبي دينار[4] في قوله: « كانت بإفريقية مذاهب الصفرية والشيعة والاباضية والنكارية والمعتزلة ومن مذاهب أهل السنة الحنفية والمالكية.»

وكانت تجري بين هذه المذاهب المناظرات، يقول ابن الصغير[1]: «اجتمعت المعتزلة* والاباضية بنهر مية لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة.» ويقول[2] في موطن آخر:« وكانت مشايخ البلد من غير الاباضية منهم رجل يعرف بأبي مسعود وكان كوفيا فقيها بمذاهب الكوفيين.» ولعل أبرز مذاهب أهل الكوفة في هذه الفترة المذهب الحنفي، حيث أن الكوفة هي موطن أبي حنيفة النعمان (80-150 هـ) إمام المذهب الحنفي.

وحسب محمد علي دبوز[3] فإن:« المعتزلة فرق كثيرة منهم في المغرب فرقة الواصلية** وقد انتشر مذهبهم في شمال تيهرت من مدينة مستغانم إلى وهران وفي جنوبها في الصحراء.»

وابن الصغير الذي أحتل مكانة هامة ومتفردة بين المؤرخين تعده وداد القاضي[4] من غير المنتمين إلى المذهب الاباضي، وهو ما ذهب إليه ليفيتسكي(Tadeusz lewicki)[5] حينما يقول:« ابن الصغير مسلم غريب على المذهب الاباضي.»

---

[4] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 81.

[1] ابن الصغير المالكي: المصدر السابق ، ص ص 93-94.

* المعتزلة: مذهب من المذاهب الدينية والفلسفية في الإسلام. ينظر ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 93.

[2] ابن الصغير المالكي: المصدر نفسه، ص 105.

[3] دبوز محمد علي : المرجع السابق، ج 3، ص 480.

** الواصلية: تنسب إلى واصل بن عطاء، وهي فرقة من المعتزلة. ينظر محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج 3 ، ص 479 و ما بعدها.

[4] وداد القاضي: ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الاصالة، ع 45، السنة الخامسة، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1395 هـ/1975 م، ص 37.

[5] Tadeusz lewicki : Etat nord-africain de Tahert et ses relations avec le soudan occidental à la fin du VIII et au IX siècle, cahiers d'études africains, (vol 2), cahier 8 paris,1962, p 514.

بل أن وداد القاضي[6] تعتبره سني المذهب في قولها إن:« ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية سني المذهب، يدل على ذلك أن أحد الاباضية خاطبه مرة بقوله: من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراقيين...»

ويرى مسعود مزهودي[1] أن:« وارجلان حظيت بازدهار فكري وثقافي أكثر من غيرها من مواطن الاباضية بالمغرب الأوسط، ويعزو ذلك إلى كثرة تنقل العلماء والكثير من الزيارات وقدوم العديد من العلماء من مناطق عدة.»

وحسب جودت عبد الكريم[2] فقد انتشر المذهب المالكي:« عن طريق الحج والتجارة وعلماء مالكيين قدموا للإقامة بالمغرب الأوسط أو مروراً، وقد وجد العرب والجند القرويين وأنهم كانوا يشكلون نسبة كبيرة من السكان ولاشك أن أغلبهم كانوا ينتحلون المذهب المالكي ولم يكن العلماء المالكيون بمعزل عن العلماء الاباضيين، فقد درج الأخيرون على دعوة علماء أهل السنة للمناظرة في مسائل العقيدة والشريعة، ويبدو أن الجدل بينهم كان حاداً بسبب تقارب المذهبين.»

وهذه المناظرة كانت تحدث بين الفرق الاباضية نفسها حول مسائل الطعام والشراب في الأقاليم الصحراوية التي تمثل أوطان الاباضية.[3]

وعلى أية حالة فقد أفاد هذا التعدد المذهبي الناحية العلمية والدينية كثيراً، عندما تمخض عنه انبعاث حركة تأليفية أثرت المكتبات الإسلامية بالمغرب الإسلامي.

على أن الشيء الجدير بالتنبيه هنا هو أن المذهب الخارجي بفرعيه: الإباضي والصفري لم ينتشر حسب رأي يوسف بن أحمد حواله[4] بين كل القبائل البربرية:« فقد

---

[6] وداد القاضي: المرجع السابق، ص 37.

[1] مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 20.

[2] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 98.

[3] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 2، ص 402.

[4] يوسف بن أحمد حواله: الحياة العلمية في إفريقية، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450 هـ)، ج 2، ، ط 1، مكة، السعودية، 1421 هـ/2000 م، ص 41.

أحجمت بعض القبائل على التمذهب به. كما أن بعض القبائل البربرية التي كانت قد مالت إليه من قبل لم تستمر على خارجيتها فقد انسحبت منه.»

من جهة ثانية لا يمكن تجاهل الدور الحضاري لفلول بني هلال وسليم، العناصر العربية الوافدة إلى المغرب خلال القرن الخامس الهجري، فقد نقل هؤلاء الغزاة معهم عاداتهم وتقاليدهم، لغتهم ومذهبهم. ففي أواسط القرن الثاني عشر للميلاد كان عرب

بني هلال قد بسطوا نفوذهم الكامل على إفريقية، وتوغلوا في المغرب الأوسط.[1]

ويبرز جورج مارسيه[2] تأثير ذلك في قوله:« إن اجتياح هؤلاء العرب الرحل للبلاد التي غزوها،أدى إلى تحول للتاريخ وذلك في جميع المجالات السياسية،الاقتصادية والفكرية، في عودة المذهب السني لإفريقية المعادي للشيعيين الفاطميين.»

يضاف إلى ذلك عامل آخر وهو إلغاء مراسم الشيعة حينما أقدم المعز بن باديس سنة441 هـ/ 1049 م على مبايعة بني العباس.[3]

ونافلة القول إن الشمال الإفريقي عاد في القرن الخامس الهجري (11 م) إلى مذهب مالك، فينبغي أن يفهم من هذا أنه رجع إلى المبادئ التشريعية الدينية المستمدة من مذهب مالك بن أنس (المتوفى 795 م).[4]

---

[1] شارل اندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830 م، ج 2، ط 3. تر: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، أوت 1985 م، ص 168.

[2] جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: مصطفى أبو حنيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991م، ص 12.

[3] العروي عبد الله: المرجع السابق، ص 253.

[4] ألفرد بل: المرجع السابق، ص 114.

المبحث السادس:

و)- الحيـاة الاقتصاديـة:

1 -الزراعـة:

نشطت الزراعة بوارجلان لوفرة مياه الأودية: كوادي النساء،وادي مية ووادي أغرغار. بل كانت هذه الثروة مصدر حياة سكان الدولة الرستمية كما يقول اليعقوبي[1]:« وشرب أهل مدينة تاهرت من أنهار وعيون يأتي بعضها من الصحراء.»

فحيث الأمطار يمكن الزراعة أن تعطي نواتج، وهناك حيث تستعمل المياه الجوفية يمكن زراعة النخيل وبعض الأشجار ذوات الفاكهة وبعض الخضروات كما هو الشأن في واحات الصحراء.[2]

وبهذا استطاع سكان وارجلان إحياء موات الصحراء واستحدثوا حياة واسعة ذات إنتاج وفير، وكانوا في صراع دائم مع الطبيعـة لكنهم تمكنوا من إيجاد بيئة زراعية مناسبة لواقعهم.

حيث وصفها ياقوت الحموي[3] قائلا:« وارجلان: كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات.»

ويرى مختار حساني[4] أن:« اقتصاد وارجلان لم يكن مقتصرا على التجارة فقط، بل شمل الزراعة، فالنصوص التاريخية المتوفرة لدينا تشير إلى استغلال السكان للمياه الجوفية بالرغم من بعدها من سطح الأرض، فإنهم بذلوا جهوداً كبيرة للاستفادة منها. فقد اشتهرت وارجلان بزراعة النخيل والحمضيات والفواكه والخضر التي كانـت تزرع إلى جوار أشجار النخيل.»

---

(1) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح: البلـدان، مطبعة ليدن، بريل، 1860م، ص 149.
(2) ألفرد بل: المرجع السابق، ص 40.
(3) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 427.
(4) حساني مختار : المرجع السابق، ج 2، ص189.

وقد نتج عن عناية أهل وارجلان بالجانب الفلاحي أن تنوعت المنتوجات، يقول إسماعيل العربي[1]:« ولكن الواحة تتمتع أيضا بمورد الزراعة، فإن السكان عرفوا كيف يتفادون عواقب المناخ الجاف بحجز طبقات المياه الجوفية لأغراض الري، وأهم أشجار الفواكه في الواحة هي التين والرمان والمشمش والليمون والبرتقال، على أن المصدر الأساسي للثروة الزراعية في الواحة هو التمر الجاف والطري.»

وتتناسب زراعة النخيل مع المناخ الحار إذ يقول القزويني[2]:« وأما النبات فإن النخل والموز لا ينبتان إلا بالبلاد الحارة.»

يستخلص مما سبق أن الزراعة بوارجلان تحكمت فيها عوامل متعددة. إلا أن الوارجلاني استطاع بعرقه وجهده أن يتحدى الظروف الطبيعية القاسية وأن يجعل من مساحات جرداء بساتين خضراء وجنات غناء.

2 -الرعي وتربية الماشية:

تعد حرفة الرعي وتربية الماشية من أقدم الحرف التي عرفها الإنسان خاصة في المناطق الصحراوية، حيث يقل فصل الإنبات لقلة الأمطار فتنحسر مناطق الرعي وأماكن الكلأ، فيتحول الراعي إلى متجول في الصحراء للبحث عن مناطق الخصب.

ويبرز ألفرد بل[3] دور العامل الطبيعي وتأثيره على حياة الإنسان إذ يقول:« إن الجو هو الذي فرض هذا التوزيع لسكان الشمال الإفريقي منذ زمن بعيد، بين مستقرين زراع ونصف بدو (زراع ورعاة) وبدو.»

ففي فصل الربيع عندما يحجب الكلأ بعض أقسام تلك الأرض وتنبت به الأعشاب فإن رعاة الغنم الأعراب يصعدون إليه من الجنوب لرعي مواشيهم حتى إذا ما اقترب زمن الشتاء عادوا أدراجهم صحبة السائمة إلى الصحراء.[4]

---

(1) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص160.
(2) القزويني: المصدر السابق، ص 10.
(3) ألفرد بل: المرجع السابق، ص 41.

وقد ذكرت المصادر الاباضية انتقال الأفراد والقبائل إلى جهات عديدة قصد الرعي مثل ما ذكر ابن الصغير المالكي[1]:« أخبرني غير واحد من الاباضية وغيرهم، أن قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم، كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الربيع إلى مدينة تاهرت وأحوازها لما حولها من الكلأ.»

كما أشار إلى ذلك أبو زكريا يحي[2] في قوله:« كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر يشتي في أريغ ويربع في البراري عند بني مصعب وغيرهم.»

وذكر عبد الحميد حسين حمودة[3] أن:« الرعي كان النشاط الأساسي لسكان الصحراء وهو موردهم الأساسي والوحيد وكانت قطعان الغنم والجمال كثيرة، ينتقل وراءها البدو صيفا نحو الشمال ويعودون إلى الصحراء في فصل الشتاء عندما تكثر الأمطار.»

وبهذا تكون الصحراء جاذبة لقطعان الماشية،كلما كان التساقط وفيراً يقول دوماس[4]:« في تلك القفار بفضل تساقط أمطار الشتاء تنمو أعشاب خلال الخريف وتكون مرعى للرحل البدو.»

ويصف محمد علي دبوز[5] حياة الرحل قائلا:« أما الرحل من البربر فكانت لهم خيام من الشعر والوبر، وكانوا ينتجعون بمواشيهم مواقع الكلأ، وكانوا يصطافون في الأماكن الباردة في الشمال ويقضون الشتاء في الأماكن المعتدلة في الجنوب.»

ويضيف قائلا[6]:« ينسجون مع ثيابهم الصوفية خيامهم من الشعر والوبر والصوف، أما مزروعاتهم أيام بداوتهم قبل أن يتحضروا فهي الشعير والقمح والفول.»

---

[4] توفيق المدني: المرجع السابق، ص221.
[1] ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 47.
[2] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 175.
[3] حمودة عبد الحميد حسين : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2007 م، ص 338.
[4] Daumas : op.cit, p 239.
[5] دبوز محمد علي : المرجع السابق، ج 1، ص 42.
[6] دبوز محمد علي : المرجع نفسه، ج 1، ص 48.

وفيما يتعلق بتربية المواشي فيبدو أنها كانت منتعشة تبعاً لعاملين أساسيين: لطبيعة المنطقة في حد ذاتها، فقد كانت منتجعاً ترعى فيه قطعان الماشية. ولنشاط الحركة التجارية التي تستلزم العناية، خاصة بالإبل (سفن الصحراء) ووسيلة التجارة مع بلاد السودان وغيرها.

وتتمثل الثروة الحيوانية الوارجلانية في الغنم والجمال بصفة خاصة نظراً لحاجة الناس إلى صوفها وأوبارها ولحومها وألبانها وجلودها ولتأمين معاشهم وإكرام ضيوفهم، لقوله عز وجل: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون.)*

أما تربية المواشي فأهمها على الإطلاق تربية الجمال لاستعمالها في وسائل النقل بالنسبة للقوافل التجارية.[1] ويهتم الوارجلانيون إضافة إلى الجمال والغنم بتربية الخيول لدفع غارات اللصوص وعُدة للحرب.

3 -التجارة:

عرف المغرب الإسلامي نشاطا تجاريا هاماً حيث شملت معاملاته بلاد السودان** بشكل خاص، حيث أشار إلى ذلك العروي عبد الله [2] بقوله:« اتسع مغرب الصحراء حتى وصل بلاد السودان فصار مغرب التجارة الكبرى، تراقب مسالكها ومراحلها قبائل زناتة شمالاً وصنهاجة الملثمين جنوبا وتحول قسم من البدو الجمّالين إلى حراس وخُفار القوافل.»

* سورة النحل: الآية 6.

[1] حساني مختار : المرجع السابق، ص 190.

** بلاد السودان: هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتمي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط، أرضها منبت الذهب. ينظر القزويني: المصدر السابق، ص 24.

[2] العروي عبد الله : المرجع السابق، ص 214.

وحتى القرن السادس الهجري(12م) يبدو أن تجار الشمال الذين كانوا من مسلمي المغرب هم الوحيدون الذين سلكوا الطرق الصحراوية لبلوغ السودان.[1]

فكانت وارجلان إحدى المراكز التجارية الهامة ببلاد المغرب الأوسط فهي باب معدن التبر أو ميناء صحراوي تتجمع فيه بضاعتان ثمينتان من بضائع العصر: الذهب والرقيق.

وأن جميع القوافل التجارية القادمة من المراكز التجارية بالمغرب الأوسط والمتجهة نحو بلاد السودان أو العائدة منها تمر بوارجلان مما كان سببا في أرباح عظيمة جذبت إليها التجار. وصفها الإدريسي[2] قائلا:« ورقلان فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه باسم بلدهم.»

ويدل النص على أنه كان للوارجلانين عملة تُسَك بها بلدهم ويتعامل التجار بها فيما بينهم.

وقد ورثت وارجلان عن الدولة الرستمية المنهارة هذه المكانة حيث ذكر محمد الطمار[3] أن:« وارجلان بقيت سوق تجارة حتى بعد انقراض الدولة الرستمية حيث كانت القوافل تغشى السودان بسلعها المختلفة.»

ويقدم إسماعيل العربي[4] صورة صادقة على أهمية المنزلة التجارية التي حظيت بها وارجلان حيث يقول:« والثروة التي اشتهرت بها ورجلة عبر العصور مصدرها خصوصا الحركة التجارية وتجارة العبور التي أهلها لها موقعها الممتاز بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب عند ملتقى عدد من الطرق التي تنطلق منها وتمر بها بين سجلماسة وتمبكتو وغانة وتوات والجريد وغدامس.»

---

(1) دهينة عطا الله : العلاقات التجارية بين المغرب و السودان عبر الصحراء من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري ودور تلمسان في هذا الميدان، مجلة الاصالة، ع 26، السنة الرابعة ، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1395هـ/1975 م، ص 99.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص 121.

(3) محمد الطمار:الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 م، ص 97.

(4) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 159.

وأمام كثرة الذهب ورخصه في السودان الغربي وندرته بالمغرب الإسلامي جازف التجار وسط الصحراء المترامية الأطراف بما فيها من مسالك صعبة وحرارة قاسية وانعدام المياه، فكانت وارجلان أسرع إلى هذه التجارة المربحة وأهم قاعدة يكون منها الانطلاق حتى تخصص أهلها في قيادة القوافل التجارية فكان منهم الأدلاء وذوو الخبرة بالطرق الصحراوية في بلاد السودان.

تعاملت وارجلان مع ممالك السودان بشكل خاص: مثل غانة*، جاو وتادمكت التي قال عنها البكري[1]:« أشبه بلاد الدنيا بمكة، ومعنى تادمكت هيئة مكة، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب، وأهل تادمكت بربر مسلمون ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة.» ووصف[2] مدينة أودغست:« بأنها بلد قائم العمارة وهي مدينة كبيرة فيها أسواق وأشجار الحناء.»

وأشار حسن الوزان[3] إلى مدينة أكدز حيث كانت لها علاقات تجارية مع وارجلان حيث قال:« بوركلة صناع كثيرون وسكانها أغنياء جداً لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز منهم عدد كبير من التجـار الأجانب الغرباء عن البلد، يحملـون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان.»

أما علاقتها مع ونقارة فيقول الإدريسي[4]:« وبلاد ونقارة هذه هي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة. باع الناس ما حصل بأيديهم من التبر وتاجر بعضهم بعضا واشترى أكثر أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى.»

* غانة: مدينتان على ضفتي البحر الحلو، وهي أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا. ينظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 5.

[1] البكري :المصدر السابق، ص 181.

[2] البكري: المصدر نفسه، ص 168.

[3] حسن الوزان (ليون الإفريقي): المصدر السابق، ص 136.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص 5.

أهم المسالك التجارية:

سلك التجار الوارجلانيون مسالك عديدة للوصول إلى بلاد السودان وأول الطرق التجارية تمر عبر سجلماسة وأودغست بينما المراحل الأخرى تبدأ من واحة وارجلان والمدينة التجارية تادمكت الواقعة شمال "جاو":

أ) طريق وارجلان- سجلماسة-أودغست وغانة:

يقول تادوز ليفتسكي[1]:« سجلماسة تعد نقطة انطلاق باتجاه الصحراء الغربية فالسودان الغربي بلاد التبر».

ويصف ابن حوقل[2] مدينة سجلماسة بقوله:« مدينة حسنة جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل... وأهلها قوم سراة مياسير.» ويحدد موسى لقبال[3] تاريخ تأسيسها سنة 140 هـ.

ويعتبر ابن حوقل[4] أودغست وغانة من أثرى المناطق حيث يقول:« وملك أودغست هذا يخالط ملك غانة. وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدخرة من التبر.»

وفي نظر آن ماري (Anne Marie)[5] فإن:« طريق وارجلان سجلماسة كان نشيطا منذ القرن الرابع الهجري (10 م)، وهو يمتد نحو الجنوب الغربي مروراً بواحات قورارة والعرق الغربي إلى تسابيت ثم الساورة للوصول إلى سجلماسة.»

ب)- طريق وارجلان-تادمكت-جاو:

(1) Tadeusz lewicki: op.cit, p 527.

(2) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، ط 2، ليدن، بريل، 1938 م، ص 91.

(3) موسى لقبال: تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2002 م ، ص 202.

(4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 101.

(5) Anne Marie: contribution à l'étude de la vie sociale et économique de la communauté ibadite du M'zab Algérie, paris, février 1980, p p 77-78.

هذا الطريق يؤكده الدرجيني[1] حينما أشار إلى أن:« أبا صالح الياجراني جلب من إبله أبعرة إلى وارجلان للبيع، فاشترى وارجلاني منها بعيراً، فلما أراد أن ينقده الثمن قال له: ادفع ثمن جملك في تادمكت.»

ويعد الطريق الرابط بين وارجلان وتادمكت الطريق الأقدم والمباشر في ربط المغرب وبلاد السودان.[2]

وحسب جودت عبد الكريم[3] فإن:« هذا الطريق ينطلق من ورقلة مرورا بمنطقة أدرار أفوقاس وصولا إلى تادمكت.»

أما عن المسافة فيذكر البكري[4] أنه:« إذا أردت من تادمكت إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوماً إلى وارجلان.»

أهم السلع المتبادلة:

أ)- الصادرات الوارجلانية:

1 -الملح:

يعد الملح مادة تجارية هامة خلال العصور الوسطى ونظرا لحاجة السودان إلى هذه المادة، فقد كان سعرها مرتفعا، فكان التجار يبادلونه بوزن أو وزنين من الذهب أو أكثر على حسب كثرة التجار وقلتهم، هذا ما ذهب إليه ابن حوقل[5] حينما يقول:« وربما بلغ حمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار.»

ويرى جودت عبد الكريم[6] أن:« حمل الجمل ما بين 125 و150 كلغ يعود بكمية من الذهب تتراوح بين 760 و1140 غ ذهب.»

ويؤكد محمود السيد[1] أن:« أهم واردات السودان الملح. يقومون باستيراده من الشمال.» وتقوم غانة بدورها في توزيعه على مناطق الجنوب فإذا كان الملح يمثل هذه الأهمية، كان حرص الاباضيين على توثيق صلاتهم بسجلماسة عملا مدروسا.

---

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 195.
[2] Anne Marie: op.cit, p 79.
[3] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 265.
[4] البكري: المصدر السابق، ص 182.
[5] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 101.
[6] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 273.
[1] محمود السيد: تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (د. ت) ، ص 49.

2 -التمـر:

كان يشكل أحد السلع الزراعية الهامة في عملية التبادل بين وارجلان وبلاد السودان، إذ يقول الإدريسي[2]:« وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب، يجلبه إليهم أهل ورقلان الصحراء.»

وذكر آدم متـز[3] ذلك في قوله:« كانت القوافل التي تسير من شمال إفريقيا إلى بلاد السودان مجتازة الصحراء تحمل التمر في الغالب...»

3 -القمـح :

كما صدرت وارجلان القمح إلى السودان خاصة بلاد زغاوة، يقول الإدريسي[4]:« وأكثر ما يزرعه أهل زغاوة الذرة، وربما جلبت الحنطة إليهم من بلاد ورقلان وغيرها.»

هذا بالإضافة إلى مواد أخرى مثـل الملابس الصوفية والقطنية والحريرية والعطور[5] وأواني نحاسية وخشب منقوش مرصع بالعاج ومصنوعات حديدية كالأسلحة والأقفال[6] والمصابيح الزيتية[7] وغيرها.

ب)- الـواردات الوارجلانية:

كانت قوافل التجار تعود محملة بسلع السودان من بينها:

1 -الذهـب:

يذكر القزويني[1] أن:« معدن الذهب لا يتكون إلا في البراري الرملية والجبال الرخوة.»

---

[2] الإدريسي: المصدر السابق، ص3.

[3] آدم متـز: الحضارة الإسـلامية في القرن الرابع الهجري، ج 2، تر: محمـد عبد الهـادي أبو ريدة، تونـس، 1405هـ/ 1986 م ، ص 728.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص 35.

[5] محمود أحمد أبو صوة: المرجع السابق، ص 42.

[6] محمد الطمار: المرجع السابق، ص 97.

[7] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 275.

[1] القزويني: المصدر السابق، ص 10.

واعتبر الإدريسي[2] أن:« بلاد ونقارة هذه هي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة.»

والتجار يستصحبون الأدلاء والسماسرة من غانة ويتجهون إلى بلاد التبر، ولهم خط لا يتجاوزه أحد منهم، فإذا وصلوا إليه ضربوا طبولاً تسمع على بعد ليعلم السود بوصولهم وتتم عملية التبادل التجاري.

ويرى حسن إبراهيم حسن[3] أن:« تجارة الذهب كانت تلعب دوراً هاماً في اقتصاديات العصور الوسطى، فكانت تصدر إلى بلاد المغرب وإلى غربي أوروبا.»

2 -العبيد:

يشكل العبيد سلعة هامة إلى جانب الذهب، حظيت باهتمام تجار الشمال، ويرى وليام ديديه[4] أن:« أول محاولة من التجار الخوارج هي جلب العبيد وليس بغرض تجارة الذهب.»

فالقوافل القادمة من بلاد السودان كانت تستجلب منها العبيد وجلود الحيوانات التي تحتاجها أسواق المغرب والأندلس.[5]

وذكر حمودة عبد الحميد حسين [1] أن:« الاباضيين كانوا يجلبون من بلاد السودان بعض الأحجار الثمينة والشب وريش النعام وأهم سلعتين هما: الذهب والرقيق.» وتعد بلاد لملم مصدرا للعبيد الذين كانوا يصلون عبر طريق كوكو وورقلة.[2]

واعتبر حساني مختار [3] وارجلان :« مستودعا للعبيد يوجهون منها إلى سائر البلاد وإلى الخارج.» هذا بالإضافة إلى منتوجات أخرى كالجلود، العاج، فول السودان والبخور الأسود.[4]

---

[2] الإدريسي: المصدر السابق، ص 5.
[3] حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في إفريقية، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964 م، ص 98.
[4] Willems Didier : op.cit, p 45.
[5] محمود أحمد أبو صوة: المرجع السابق، ص 248.
[1] حمودة عبد الحميد حسين : المرجع السابق، ص 342.
[2] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 269.
[3] حساني مختار : المرجع السابق، ص 201.
[4] حساني مختار : المرجع نفسه، ص ص 201-202.

لقد ساهم تجار المغرب الإسلامي بشكل عام وتجار وارجلان بشكل خاص في نشر الإسلام ببلاد السودان، يقول زبادية عبد القادر[5]:« ولعل الأثر الأكثر أهمية في اعتناق السودانيين للإسلام، كان قد حصل كنتيجة لإسلام المغاربة، فقد كان هؤلاء على اتصال منذ القديم بغرب إفريقيا.

ولما ازدادت تلك الصلة قوة عن طريق التجارة خلال العصور الوسطى، كان من أثرها إقبال أمراء وسلاطين السودان على اعتناق الإسلام، وكان رعاياهم يتبعونهم بصورة تلقائية تقريبا.»

حيث يؤكد ذلك الدرجيني[6] حينما يقول:« إن علي بن يخلف سافر إلى دواخل غانة سنة 575 هـ فانتهى إلى مدينة مالي، فأكرمه ملكها غاية الإكرام وكان هذا الملك مشركاً وتحته مملكة عظيمة كل أهلها مشركون وتحته اثنا عشر معدنا منها الذهب التبر، فقربه لحسن خلقه وخلقه وكثرة عبادته. وحل بالمملكة قحط فقال له الملك: ألا تدعو إلهك الذي تعبد أن يسقينا، فقال له علي: لا يسعني ذلك وأنتم تكفرون به وتعصونه، فإن آمنتم فعلت ذلك فقال له الملك: علمني الإسلام حتى أتابعك عليه. فعلمه الشهادة والطهارة، وقال له: إن أنا

صليت فافعل ما تراني أفعل وإذا دعوت فقل: آمين. فباتا ليلتهما في عبادة وضراعة إلى الله عز وجل، فلما كان بعد صلاة الصبح أنشأ الله سبحانه سحابة دامت سبعا غير مقلعة تسيح ليلا ونهاراً. فلما رأى الملك صنع الله دعا جميع بيته إلى الإسلام فأجابوه، ثم دعا أهل المدينة فقالوا: نحن عبيدك فأجابوا. ثم حكم بأن المدينة لا يدخلها إلا من آمن بالله وبرسوله.»

تلك إذا كانت الرسالة الحضارية التي قدمها دعاة وتجار المغرب الإسلامي للبشرية جمعاء.

---

[5] زبادية عبد القادر : ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن 16 م، مجلة الأصالة، ع 53، السنة السابعة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، محرم 1398 هـ/جانفي 1978 م، ص 9.

[6] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص ص 340-341.

الفصل الثاني

الحياة الثقافية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

الفصل الثاني

II) - الحياة الثقافية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(11 و12م):

المبحث الأول: نشـأة حلقـة العزابـة.

المبحث الثاني: أعضاء حلقة العزابة ووظائفهم.

المبحث الثالث: آداب أعضاء حلقة العزابة.

المبحث الرابع: لبــاس العزابـة.

المبحث الخامس: مهام مجلس العزابة.

المبحث السادس: ميزانية حلقة العزابة.

المبحث السابع: العلـم والعلمـاء.

المبحث الثامن: الحياة العلمية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

المبحث الأول:

1 -نشـأة حلقـة العزابـة:

يمكن تقسيم المجتمعات البشرية إلى صنفين: صنف حاكم وصنف محكوم، والإسلام عبر عن ذلك بالراعي والرعية لقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.)

لم يخرج المجتمع الوارجلاني عن هذه القاعدة، فحينما دخل مرحلة الكتمان انتظم في نظام أطلق عليه: "حلقة العزابة".

أ) - تعريف الحلقـة:

التعريف اللغوي:

الحلقـة حسب ابن منظور[1]:« كل شيء استدار بحلقـة الحديد والفضة والذهب كذلك هو في الناس، والجمع حلاق على الغالـب وحلق على النادر كهضبة وهضب. قال الأصمعي: حلقة من الناس ومن حديد.

الحلـق بكسر الحاء وفتح اللام: جمع الحلقة مثل قصعة وقصع، وهي الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيرها وتحلق القوم: جلسوا حلقة حلقة.

حلق القمر وتحلق: صار حوله دارة وحلق الطائر إذا ارتفع في الهواء واستدار.الحلق الخاتم من الفضة بغير فص، والحلق بالكسر، خاتم الملك.»

تعريف الحلقة اصطلاحا:

يقول الدرجيني[2]:« الحلقة اسم لجماعة تشمل على الشيخ يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم في الدين، بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم، يحصل البعض وإن أعياه الكل، (فإن لم يصبها وابل فطل)* فكأنهم محلقون ولو أنهم مفترقون.»

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (ت 711هـ): لسان العرب، ج 2، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م، ص ص 139-140.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص4.

* سورة البقرة:الآية 265.

ويعرف شعباني صلاح الدين[1] الحلقة بقوله:« هو اجتماع أشخاص أو طلبة على شكل دائرة حول أستاذ في مجلس ديني عند الإباضية متكون من اثني عشر عزابا (ناسك، فقيه) دون أن يتركوا ثغرة بينهم لأن الثغرات تفرح الشيطان وتفسح له المجال للدخول.»

وهكذا نلاحظ بأن نظام العزابة بدأ لغايات تعليمية توجيهية يهدف منه تكوين التلاميذ الذين كانوا يجلسون إلى شيخهم في شكل حلقة دائرية ومنها أخذ اسم الحلقة.[2]

والملاحظ أن هذه الحلقة تطورت مع تطور الظروف والعوامل الداخلية والخارجية تطورا كبيرا، فتوسعت لترعى الفرد في المجتمع الإباضي في جميع مناحي حياته الدينية الاجتماعية، الثقافية، السياسية والاقتصادية في كامل المواطن التي يقطنها الإباضية.

ب)- تعريف العزابـة:

الدلالة اللغوية: يقول ابن منظور[3] :« عزب: رجل عزب ومعزابة لا أهل له، ونظيره: مطرابة، مطواعة، مجذامة ومقدامة.

وامرأة عزبة وعزب: لا زوج لها.

قال الشاعر في صفة امرأة:

إذا العزب الهوجاء بالعطر نافحت بدت شمس دجن طلة ما تعطر.

والعزاب: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء وقد عزب يعزب عزوبة فهو عازب وجمعه عزاب والاسم العزبة.

والعزب اسم للجمع كخادم وخدم ورائح وروح.

والمعزابة: الرجل يعزب بماشيته عن الناس في المرعى.

والعازب من الكلأ: البعيد المطلب.

وعزب عني فلان، يعزب ويعزب عزوبًا: غاب وبَعُد.

وعزبت الإبل: أبعدت في المرعى لا تروح.»

---

[1] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 95.

[2] ناصر محمد : حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، الجزائر، 1410 هـ/1989م، ص 10.

[3] ابن منظور: المصدر السابق، ج 4، ص 324.

وقد وردت في القرآن بمعنى الذهاب في قوله تعالى: (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.)*

يقول ابن كثير[1]:« لا يعزب عنه: لا يغيب عنه، أي الجميع مندرج تحت علمه، فلا يخفى عليه شيء.»

الدلالة الاصطلاحية:

حسب الدرجيني[2]:« العزابة وأحدهم عزابي، هذه اللفظة استعملتها لقباً لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، فإن حصل جميع هذه الصفات سمي عزابيا، وإن حافظ على السير والعمل بها فقط سمي به وإن حصل العلم دون السير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسم بهذا الاسم. وأعلم أن لهذا الصنف سيما انفردوا بها، وأحوالا عرفوا بها لا يتفضل عليهم فيها سواهم وذلك في تسميتهم وخطابهم ومؤاكلتهم ولباسهم وأوقات نومهم وقيامهم وأورادهم وصيامهم وعبادتهم وعندهم في ذلك قوانين يعتادونها، وحدود لا يعتدونها وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه، فاستعبر لمن بعد عن الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة، وأول من استعمل هذا اللقب في أيام عبد الله محمد بن بكر لما أسس الحلقة ورتب قوانينها.»

ويضيف قائلا[3]:« فبقي رسما يقتدى به أن جعل للعزابي الذي نظمه هذا الاسم في سلك المتدينين واعتزل عن دناءة الأجلاف الدنيويين، علامات ليعرفوا بسيماهم ويتميزوا عن سواهم.»

* سورة سبأ: الآية 3.

[1] ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن، ج 6 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419 هـ/1998 م، ص 437.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 3-4.

[3] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص 172.

ويعرف ناصر محمد[1] العزابة بقوله:« والعزابة جمع عزاب بفتح العين مأخوذ من عزب عن أهله انفرد عنهم وربما جاءت من كلمة العزوبة أي ترك الزواج.»

كما يقصد بها خدمة الإسلام والمصلحة العامة والبعد النسبي عن زينة الحياة لاسيما التفاني وراء المادة ثم الإلزام الكلي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2]

يستخلص مما سبق أن المعنى إجمالا يدور حول الزهد في الدنيا وملذاتها ومفاتنها والإقبال على الآخرة.

ج)- أسباب نشأة حلقة العزابة:

1- الأسباب السياسية:

يذكر علي يحي معمر[3] أن:« جميع شؤون الإباضية بعد انقراض الدولة الرستمية ولاسيما في العصور الوسيطة من أوائل القرن الخامس الهجري فما بعد، إنما كانت تقوم على مجلس العزابة...»

فنظام العزابة ارتبط منذ نشأته بعدة ظروف وأحداث تاريخية كبرى أثرت بشكل مباشر في الفكر الإباضي الذي تفاعل معها في اتجاه جديد تمثل في حفظ الجماعة الإباضية من التمزق ومذهبهم من الاندثار ومن جملة هذه الأحداث:

أ)- انقراض الدولة الرستمية سنة 296 هـ على يد الفاطميين، فاضطر بقية رعاياها إلى الهجرة نحو الجنوب وبالتحديد إلى وارجلان ونواحيها وأمام ملاحقة الأعداء رأى علماء الإباضية وأصحاب الرأي فيهم أن يصيغوا نظاما يحفظ جامعتهم من التمزق ويبقي مذهبهم صامدا أمام محاولات التذويب والإغارة. فابتدعوا هذا النظام البديع الذي يخلف الإمامة ويتلاءم مع ما هم فيه من ملاحقة واضطهاد.[4]

---

[1] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 11.
[2] أعوشت بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص 102.
[3] علي يحي معمر: المرجع السابق، ص 556.
[4] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 5.

ب)- القضاء على ثورة أبي يزيد الإباضي النكاري* المشهور (بصاحب الحمار) من طرف الفاطميين سنة 338 هـ/969 م، وتعد هذه الثورة محاولة جادة من طرف النكار لتأسيس دولة مسيرة من قبل جماعة العزابة النكار المكون من اثني عشر عضوا، مما جعل البعض يعتقد أن أبا يزيد هو المؤسس الحقيقي لحلقة العزابة.[1]

ج)- انهزام الإباضية في معركة باغاي ضد المعز لدين الله سنة 359 هـ/969 م وتعتبر هذه الثورة آخر محاولة يقوم بها الإباضية للعودة إلى مسلك الظهور وبعدها ركنت الإباضية إلى الكتمان، كما قام مشايخهم باتخاذ مجموعة من الإجراءات الوقائية، فأمروا أتباع المذهب بالتوجه إلى المناطق النائية الصحراوية كوارجلان حتى يكونوا بعيدين عن مناطق نفوذ الشيعة الفاطميين، بينما تفرغ المشايخ للتفكير في إيجاد حل يضمن لهم العيش في إطار المبادئ الإباضية مع المحافظة على الكيان الإباضي من الذوبان والانقراض.[2]

2- أسباب فكرية (مذهبية): وهي أسباب لها علاقة مباشرة بالمذهب وسلوكيات المجتمع الإباضي، فقد ظهر المذهب في بدايته بالسرية، حيث اعتمد مشايخه على تخريج الدعاة مثل الدور الذي قام به أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حيث تخرج دعاة مقتدرون تتلمذوا على يد مؤسسي المذهب، فأبدعوا وأضافوا أنساقا ومبادئ إلى الفكر الإباضي، اعتبرت حلولا لمعضلات واجهها المذهب في مرحلة التأسيس أو تطورا هاما ساعد في بلورة مسالك الدين والتكيف مع مختلف الظروف، فتحولت مع مرور الزمن إلى قوالب فكرية.

رغبة الجماعة الإباضية في الحفاظ على مذهبهم الذي تعرض لملاحقة العبيديين، وتفرق المعتنقين للمذهب لتفشي الجهل وتشتت العلماء والمشايخ. فألح الجماعة الإباضية على أبي عبد الله أن يعقد لهم الحلقة بعد أن توسموا فيه الكفاءة العلمية والمقدرة التنظيمية لذلك.[3]

* أبو يزيد بن كيداد مخلد الإباضي: من بني وركوا اخوة مرنجيصة وكلهم من بطون بني يفرن، خالط النكارية فمال إلى مذاهبهم وأخذ عنهم، ثار على الفاطميين إلا أن ثورته قضي عليها سنة 338 هـ. ينظر ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص 26 وما بعدها.

[1] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 96.

[2] شعباني صلاح الدين: المرجع نفسه، ص 97.

[3] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 6.

اعتقاد الإباضية أن الدولتين الأغلبية والفاطمية لا تتبعان أحكام الإسلام ولا تعملان بها وبالتالي فإن الأسباب الدينية تشكل أحد العوامل الدافعة لمشايخ الإباضية إلى التفكير في وضع هذا النظام الذي يعتبر بمثابة إمامة صغرى، هذا النظام الذي يحفظون به أحكام الله في مواطنـهم ويسيرون به الأمة في الوجهـة الصالحة دون أن يلتجئوا إلى إعلان دولة جديدة أو يتعلقوا بدولة ظالمة مستبدة.[1]

حالة الضعف التي وصلت إليها التجمعات الإباضية خلال القرن الرابع الهجري، بسبب الجهل بقواعد المذهب، يصور الدرجيني[2] حالة المجتمع الإباضي على لسان العالم أبي نوح سعيد بن زنغيل حيث يقول: « وأما أبو نوح سعيد بن زنغيل رحمه الله، فإنه لما فـر من أبي تميم ولحق ببلاد وارجلان ومعه أهله ومن يختص به... ومكث أبو نوح في وارجلان على هذا الحال زمانا حتى أمن ما كان يخاف، فدعاه حب الوطن إلى توديع خير ألف، ولما استفزه الاشتياق وتحقق منه العزم على الفراق قال له الشيخ صالح جنون بن يمريان: أقـم وأقاسمك في جميع ما أملك . وكان أبو صالح ذا مال كثير في وارجلان، فصمم أبو نوح على ما عزم عليه، فرجع إلى إفريقية فوجد البلاد قد تغيرت والصدور قد تنكرت، فندم على فراق وارجلان، ولامه أصحابه، حيث لا ينفع الندم، ولا يفيد اللوم، فإنه قد كان قصد في رجوعه إصلاح ما يخشى فساده، فوجد الفساد قد عم بلاده.»

يتضح من هذه الرواية حالة الضعف التي وصلت إليها التجمعات الإباضية خاصة في القرن الرابع الهجري بسبب الجهل وقلة المشايخ، حتى اضطر عالم كأبي نوح وقد تقدم به السن للقيام برحلات لإحياء الضمائر، يقول الدرجيني[3]:« فلما وصل أبو نوح مع المعيز ابن فضالة المارغني إلى سوف، جعل أبو نوح يئـن ويشتكي ألـم السفر حتى كان مـن قوله: ليس في بدني عظم إلا وهو واجد ألماً.»

---

[1] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص98.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 145-147.
[3] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص 158.

ونتيجة لاستمرار الملاحقات والمتابعات والمحن على المذهب الإباضي وبروز مظاهر التعرم التي طبعت المجتمع الإباضي خلال القرن الرابع الهجري بسبب النشاط الثوري، واستنفاذ المذهب طاقته المحركة إلا وهي المشايخ والعلماء إما بالموت الطبيعي أو المتابعات والقتل وفي ظل هذه الظروف، اقتنع المشايخ باستحالة نجاح أي هدف، فعمدوا إلى إنشاء حلقة العزابة لحماية مجتمعهم ومذهبهم.

د)- مراحل نشأة حلقة العزابة:

المرحلة الأولى:

وهي المرحلة التي تميز فيها النشاط الإباضي بانعقاد مجالس سرية، عرفت بمجالس الشيوخ، يقول الوسياني[1]:« كان للمشايخ الدور القيادي في تسيير الأمة فحتى لو حكمهم حكم أجنبي عنهم قائم بذاته، تجد أثره ضعيفا ولا تجد خضوعهم الكلي إلا لمشايخهم في ذلك الوقت.»

وتعود جذور هذه المرحلة إلى طور الكتمان الأول بالبصرة، فبالإضافة إلى مجالس الشيوخ، ظهرت المجالس العامة وهي مفتوحة لجميع أتباع الحركة وهي إطار لتجميع الأتباع وتوجيههم بشكل غير مباشر واستقطاب المتعاطفين مع الحركة، وهناك أيضا مجالس الطلبة، حيث تعقد في سراديب ويحضرها الطلبة متنكرين في ملابس نسائية أو تجار وعمال.[2]

وبعد سقوط الدولة الرستمية 296 هـ/909 م بالمغرب الأوسط، دخل الإباضية في مسلك الكتمان وأصبحت وارجلان وسدراتة تدار من طرف مجلس الأعيان حتى القرن الخامس الهجري (11م).

ففي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10م) واصل أبو نوح جهود شيخيه أبي قاسم وأبي خزر فكانت له حلقة في وارجلان وإفريقية، لكن جهوده لم تستمر مثل سابقيه بسبب تغير أهل المذهب وقلة المساعدة خاصة بعد وفاة الشيخ صالح جنون بن يمريان

بوارجلان[1] وهو ما جعله يهجر تلك الأوطان.

---

[1] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 104.
[2] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص100.
[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 155.

وفي هذه المرحلة أسس أبو زكريا فصيل بن أبي مسور* حلقة تجمع السير السابقة، بعد أن أتم المسجد الذي بناه أبوه وعرفت حلقته بالسيرة المسورية نسبة إليه.[2]

المرحلـة الثانيـة:

لما تقدم سن أبي زكريا فصيل حال ذلك دون إتمام مشروعه، ففكر في إسناد المهمة لشخصية علمية بارزة، تفرس فيها القدرة على إتمام هذا العمل.

يقول الدرجيني[3]: « وسبب ذلك ومبدأه – أي تأسيس الحلقة – أن الشيخ أبا زكريا وجه ولديه زكريا ويونس وابن أخيه أبا بكر بن يحي وغيرهم من أقاربه في جماعة من الطلبة وقال لهم: اطلبوا أبا عبد الله محمد بن بكر، فحيثما وجدتموه فلازموه واقرأوا عليه، وحيثما كان فكونوا معه ولو في شغل دنياه، فخرجوا متوجهين إلى الجهة التي يرجون أن يجدوا بها أبا عبد الله وهم في ذلك لا يعملون له مستقرا فلما وصلوا تقيوس وافق وصولهم إليها قدومه من القيروان وقد حصل ما كان يفتقر إليه من علم اللسان وهو يروم المسير إلى الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا بتاجديت ليزيد عليه من علوم الفروع.

فلما ألف الله شملهم بأبي عبد الله أعلموه بما جاءوا في طلبه وما وصاهم عليه الشيخ أبو زكريا، ورغبوا إليه في أن يجلس ويرتب لهم الحلقة، فامتنع كل الامتناع ومكثوا أياما يراودونه على ذلك ويلحون عليه في الطلب، فعطف عليهم، إلا أن إجابته كانت على شرط أن لا يسألوه عن مسألة ولا يجيبهم عنها حتى تمض أربعة أشهر.»

يصف ناصر محمد[1] هذه المرحلة بقوله:« وهي المرحلة التي جاءت بهذا النظام المحكم الذي وضعه الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر في بداية القرن الخامس الهجري، إذ أصبحت الحلقة ذات نظام علمي ديني محكم له شروط وتقاليد صارمة لا يلتحق بها إلا من عرفت فيه الاستقامة والامتثال لتلك الشروط.»

* أبو زكريا فصيل بن أبي مسور (ت بين 420-440هـ): ولد بنفوسة، من أبرز علماء جربة، تلقى العلم عن أبيه وعن الشيخ أبي خرز يغلا بن زلتاف، تخرج على يديه تلاميذ نجباء أبرزهم العلامة أبي عبد الله محمد ابن بكر، الذي اختاره لتجسيد نظام العزابة. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج 4، ص 734 وما بعدها.

[2] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 104.

[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 169-171.

[1] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 46.

تتلمذ عبد الله محمد بن بكر في حلقة أبي القاسم وأبي خزر وحلقة أبي نوح سعيد ابن زنغيل وحلقة أبي زكريا فصيل مما سمح له بالإطلاع بشكل مباشر على سير الحلقات الثلاث التي تعتبر الأهم منذ سقوط الدولة الرستمية. وبعد استشارة واسعة لشيوخ الإباضية أسس حلقته في مسجد المنية ثم انتقل مع أصحابه إلى بلاد ريغ بعد أن شاورهم وقال لهم : إن ها هنا ناسا رقاق القلوب أرجو أن ينتجع فيهم الإسلام، ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخير أهلا.[2]

وفي هذه المرحلة من تاريخ نظام العزابة (القرن الخامس الهجري) كانت مجالس العزابة تتخذ لها مقرا سريا بعيدا عن المدينة وذلك حفاظا على سرية قراراتها وخوفا من بطش مخالفيهم، وغالبا ما كان العزابة يستقرون في كهف أو غار سري يجتمعون فيه ويتخذون فيه قراراتهم ويعلمون فيه تلاميذهم ودعاتهم كما فعل الشيخ أبو عبد الله محمد ابن بكر في العقد الأول من القرن الخامس الهجري.[3]

حيث يذكر الدرجيني[4]:« ... وبدأوا في تهيئة غار يجتمع فيه التلامذة يأوون إليه ويحلقون فيه وتكون فيه دراستهم وانفرادهم ليتسنى عزمهم واجتهادهم وفي تسيير ما يصلح شأن الحلقة، ثم انتقل أبو عبد الله إلى تينيسلي فرتب بها الحلقة وشيد من كريم البنيان ما يتشبه بها العزابة ويتشبهون به الآن. فهذا سبب قعود الحلقة المباركة وكان انتقال الشيخ أبي عبد الله إلى ريغ سنة تسع وأربعمائة فلذلك يسمى الغار الأول المذكور التسعي نسبة إلى هذه السنة.»

وكان نظام حلقة أبي عبد الله حلقة علم متنقلة فهي حينا في وادي أريغ وحينا في وارجلان، وكانت مجالس مذاكرة وعلم واستفتاء وعبادة، وقد عرف عن أبي عبد الله أنه كان كثير التجوال ينتقل من بلد إلى آخر نشرا للعلم حتى لقب بميزته هذه بالسائح لكثرة سياحته.[1]

[2] الدرجيني: المرجع السابق، ج 1، ص171.
[3] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 32.
[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 171-172.
[1] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 7.

ساهم أبو عبد الله محمد بن بكر في تأسيس نظام تربوي تعليمي يهدف إلى تكوين النخب والصفوة في المجتمع، فكانت سيرته بحق نقطة التقاء لسير من سبقوه، وظلت كذلك إلى أن التحم النظام بالمسجد.

كانت الحلقة تعقد بعيدا عن العمران وأحيانا في الغيران وفي الأماكن السرية، لكن ابتداء من القرن الخامس الهجري أصبحت تعقد في المسجد وأصبح المسجد مقر الحلقة التي من حولها يدور المجتمع الإباضي، فتتم العلاقات بين الأفراد والجماعات.[2]

ولم يستعمل المسجد لهذا الغرض إلا في النصف الأول من القرن 6 هـ، عندما بلغت حلقة العزابة درجة من التطور، جعلت أشياخها يطمئنون إلى وجودهم في المدن الإباضية ويعتقد بعض الباحثين أن أول من اتخذ المسجد مقرا لحلقة العزابة هو أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى* الذي نظم حلقة في بلدة تقرت في الجنوب الشرقي من الجزائر في النصف الأول من القرن السادس الهجري ومنذ ذاك الوقت أصبح المسجد المقر الرسمي المعلن لمجلس العزابة.

وفي هذه الحالة فإن العزابة يتخذون لهم مبنى خاصا بهم ملاصقا للمسجد وله باب إلى المسجد يدخل منه أعضاء العزابة للصلاة في المسجد أو لإعلان قرار أو إصدار أمر إلى الناس لتنفيذه وفي هذا المبنى يعقد مجلس العزابة اجتماعاته التي لا يحضرها أحد من غير أعضائه وتكون قراراته سرية لا يعلنون منها إلا ما يجب على الناس الالتزام به وتطبيقه.[1]

وفي هذه المرحلة أصبحت فيها حلقة العزابة أكثر اهتماما بشؤون البلدة ونظام الجماعة لا يقتصر على العبادة والفقه وحدها وإنما تجاوزتهما إلى مناحي الحياة كلها.

المبحث الثاني:

---

[2] حساني مختار: المرجع السابق، ج 2، ص 198.

* أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى: من علماء الطبقة العاشرة (450-500 هـ)، عالم من مشايخ أريغ بنواحي وارجلان، كان عالما تقيا، كان المؤسس الأول لحلقة العزابة بمسجد أريغ، حيث أحكم عقودها وأوثقها. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج 3، ص 514.

[1] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 32.

2 -أعضـاء حلقة العزابة ووظائفـهم:

يقـول الدرجيني[2]:« وأهل الحلقة صنفان: آمر ومأمور. فالآمر إثنان: شيخ الحلقة أو مستنابه والعريف. والمأمور ثلاثة: طلـبة القرآن، طلبة فنون العلـم والأدب والعاجزون، ولجميعهم أوقات لما يختص به كل وقت منها.»

أ)– شيـخ الحلقـة:

يأتي حسب أسماوي صالح [3] في قمة التركيب الهيكلي للحلقة:« مسؤول يتولى رئاستها، فأمر تولية الجماعة مسؤولية شرعية، وقد جعل مؤسس نظام العزابة بيد الآمـر وهو الشيخ.»

ويعتبره أعوشت بكير[4]:« أقدرهم على حل المشاكل الاجتماعية وهو الذي يتولى الإرشاد والتوجيه.»

أما عن شروط اختيار شيخ الحلقة: فمنها الكفاءة والعلم وأن يكون ذكيا، ذا شخصية قوية، حاذقا، كيسا، عاقلا، عادلا، مهيبا، صبورا، واسع الصدر، نزيها، أقدر العزابة على الإدارة، مخلصا ورعا، نصوحا وعاملا، وهو الموجه الرئيسي للحلقة والمجتمع، فهو المفتي والقاضي وباختصار يكون شيخ الحلقة أعلم القوم في شؤون الدين والدنيا.[1]

ويتم اختيار شيخ الحلقة بعد مشاورات بين أعضاء العزابة فيما بينهم، فينظرون أولا فيمن تتوفر فيه الشروط المطلوبة ليتحمل مسؤولية تسيير الحلقة بكفاءة ومقدرة، فإذا ما وقفوا على من هو أهل لها، اتفقوا فيما بينهم على من يجمعون عليه رأيهم، فيعرضون عليه الأمر ويعلمونه أنه فاز باختيارهم ليولوه مشيخة الحلقة.

مهـام شيخ الحلقـة:

---

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 173.

[3] أسماوي صالح بن عمر: نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1406-1407 هـ/1986-1987 م، ص 58.

[4] أعوشت بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص 105.

[1] أسماوي صالح: المرجع السابق، ص 59.

يضطلع شيخ الحلقة بمهام كثيرة ومسؤوليات متعددة منها:

1 -يمثل الشيخ جميع السلطات إلا انه لا يمارس النفوذ المطلق ولا يستبد برأيه، بحيث لا يبرم أمرا ولا يبت في قضية إلا بعد استشارة أهل الحل والعقد، وبعدها يتخذ القرار وينفذه أو يأمر من يتولاه أو ينيب عن نفسه أحد أعضاء هيئة العزابة.[2]

2 -يتولى التدريس والجلوس لطلبة العلم، ويدرس الهيئة الدينية في بلده فهم تلاميذه، فجميع العزابة يعتبرون تلاميذ شيخ الحلقة ويقيم دروس الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني.

يقول الدرجيني[3]:« فالشيخ يتعلق به أشياء منها الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه الدرس ومنها الجلوس بأثر الختمات للجواب على الأسئلة في أي فن كان، ويذاكر التلاميذ فيما حصلوه قبل ذلك، فيستفيدون ويستفيد من حضر.»

ويضيف الوسياني[4]:« ومنها أن يجمعهم يوم الجمع وذلك في يوم الاثنين أو الخميس فيعظ ويذكر ويحذر ويورد أمثالا حكيمة وحكايات زهدية وينظر في أمورهم والتفقد والرعاية لهم.»

3 -يتولى الإشراف على كل شؤون البلدة.

4 -يقوم الشيخ بنفسه بتولية عرفاء الأوقات.

يقول الدرجيني[1]:« ومنها أن إليه تولية عرفاء الأوقات والإذن فيما يشترى أو يباع ويدخر من الأقوات ومنها الإذن ما يفتح إليه من رزق مما يدخل عليهم أو مما هو من اغتلالات الأوقاف ومتى يقسم وعلى من يقسم ومنها الحكم بين المختلفين والمختصمين من التلاميذ، فيأخذ المظلوم من الظالم وينصف المحسن من المسئ.»

5 -يتولى تنظيم جلسات حلقة العزابة ورئاستها وافتتاحها وإدارة أعمالها، وتستدير الحلقة أمام الشيخ، ويفتتح الاجتماع بتوحيد الله تعالى بقوله: (لا إله إلا الله.) ويكررها ثلاث مرات.[2]

---

[2] أسماوي صالح: المرجع نفسه، ص ص60-61.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 173-174.
[4] الوسياني: المصدر السابق، ج 2، ص 661.
[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 175.
[2] أسماوي صالح: المرجع السابق، ص ص 63-64.

6 -يقوم بمهام القاضي، فيشرف بنفسه على كل ما يخص الخصومات والمشاكل بين الناس وله القول الفصل فيها، ويستمر شيخ الحلقة في منصبه مدى الحياة.

ب)– المستشارون:

من ضمن صنف الآمر " شيخ الحلقة أومستنابه" ويقصد بذلك نواب شيخ الحلقة أو مستشارو شيخ الحلقة ويأتي هذا الصنف في المرتبة الثانية بعد الشيخ وهم أعوانه وعمدته وهم القدامى في الحلقة أومن السابقين دخولا إليها، ويكون الحل والعقد بأيديهم كما يعبر عنهم أيضا بالمجلس الخاص وعددهم أربعة.[3]

ومن شروط اختيارهم: أن يكونوا من أهل العلم والصلاح والتقوى والأدب والورع وأن يكونوا من أهل الحافظين لأمور الدنيا والآخرة، وأن لا ينشغلوا بشؤونهم الخاصة.[4]

يمثل هؤلاء الأعوان مع شيخ العزابة مجلسا خاصا، ينزل بمنزلة الإمام فيما يخص التصرف في كل شؤون المجتمع الإباضي، فمكانتهم مرموقة في الحلقة، ولهم نفوذ في تسييرها وكلمتهم مسموعة بين أعضائها وإليهم يعود ترشيح العضو واختياره أو عزل من ظهر فيه ما يستوجب ذلك، وتعتبر آراؤهم ملزمة بمجلس العزابة ويكون أحد هؤلاء الأعوان نائبا للشيخ إذا مرض أو تعذر قيامه بواجباته لأي سبب من الأسباب.[1]

ج) – الإمام:

يتداول الشيخ مع الهيئة الاستشارية للعزابة أمر اختيار من تتوفر فيه الشروط المطلوبة شرعا في إمامة الصلاة ليؤم المسلمين في المسجد في كل الأوقات المنصوص عليها شرعا.

ويذكر عوض خليفات[2] شروط اختياره فيقول:« يشترط فيه أن يكون حافظا للقرآن الكريم، يجيد التلاوة، عالما بأحوال الصلاة وفرائضها وسننها وما يتعلق بها من وضوء

---

[3] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 35.
[4] أسماوي صالح: المرجع السابق، ص ص67-68.
[1] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 35.
[2] عوض خليفات: المرجع نفسه، ص 36.

وطهارة، ويجب أن يكون الإمام مشهورا بورعه ونزاهته، ويقوم الإمام أيضا بتحرير عقود الزواج.»

د) – المـؤذن:

يختاره شيخ الحلقة من أعوانه ويشترط فيه أن يكون أمينا، تقيا، عارفا بأوقات الصلاة بدقـة غير كسول ولا خامل، يؤدي واجبـه دون تـردد أو ملل في حرارة الشمس اللافحة أو في زمهرير الأيام الباردة، يقوم بوظيفة الآذان كما يقوم أحيانا بتحرير عقود الزواج إذا تعذر قيام الإمام بهذا الواجب.[3]

هـ) - وكيلا الأوقـاف:

يعين الشيخ بالاتفاق مع مستشاريه وكيلين على الحبس والأوقاف وكل ما يرتبط بجمالية المسجد والحلقة أو ميزانيتها أو ما يرتبط بأوقـاف المقابر فهمـا يسعيان إلى جلب المنفعة وصيانة أوقاف المسجد وبالتالي دفع كل ما يضر بمصالح المسجد.[4]

ومن شروط اختيارهمـا ما يلي:

1 -أن يكونا قليلي المال.

2 -أن يكونا قليلي الأولاد، وذلك حتى لا تلهيهما الثروة والأولاد عن واجباتهما.[1]

وبهذا يشرف الوكيلان إشرافا تاما ودقيقـا على ميزانية العزابة والطلبة والمسجد وصيانة الأوقاف العقارية والعينية والاعتناء بها وتسميتها مثل البساتين وغيرها.

و) – العـرفاء:

العرفاء أصناف حسب ترتيب أبي عبد الله محمد بن بكر، وهم حسب وظائفهم يعينهم شيخ العزابة في مجالاتهم. يقول الدرجيني[2]:« والعريف اثنان: منفرد وغير منفرد. فالمنفرد اثنان: عريف أوقـات الختمات والنوم وعريف أوقـات الطعام. وغير المنفـرد: العـريف أو العرفاء وهـم من حملة القـرآن يكون منهم من يكتـب عليه طلبة القـرآن ألواحهم ويصححونها

---

[3] أسماوي صالح: المرجع السابق، ص 69.
[4] أعوشت بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص 105.
[1] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 37.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 173.

ويحفظونها، فهؤلاء لا يحصيهم عدد، والعريف على أوقات الدراسة ربما كان واحدا وربما أكثر فهو على قدر الاحتياج إليه ونحو ذلك.»

يصنف العريف ضمن الصنف الآمر، لما له من دور مهم من خلال الإشراف على التعليم وتنظيمه ورعايته بل إدارته، ومباشرة تدريس التلاميذ وتعليم العلوم المختلفة ورعاية مصالحهم حتى خارج الدراسة، مما يتبين أن مهمتهم لا تنحصر في التدريس فحسب، بل تشمل التوجيه والتربية والإعداد للمستقبل.

وعن مهام العرفاء يقول الدرجيني[3]:« والعريف المكلف بالختمات وأوقات النوم يتعلق به إرتصاد حزب الغداة في المجلس الذي يكون تعقبه المذاكرة... فإذا كان الضحى نادى بنوم الهاجرة فينامون، فإذا ناموا وتكلم أحد أو تحرك بحيث يؤذي النائمين فالخطة... ثم إذا كان عند غروب الشمس وبعد صلاة المغرب نادى بالختمة... ثم إذا صلوا العشاء وقرأوا ما يسر الله وحان وقت النوم نادى بالدعاء، وهي ختمة ليست بأكيدة، فيدعون دعاء خفيفا، فإذا

دعوا فالمستحب الذي وضعه الشيخ أبو عبد الله أن يكون بيد أفصحهم كتابا... والعريف المتوكل بأوقات الطعام يرتب جلوسهم... والعرفاء من حملة القرآن ترتبط بكل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح، طلبة القرآن يملي عليهم ويصحح ألواحهم ويأخذهم بالحفظ عن ظهر.»

ز) – الغسالون:

عددهم خمسة أشخاص[1] ويبرز أعوشت بكير[2] مهامهم فيقول:« هم الأشخاص الذين يقومون بغسل الموتى ومراقبة وصاياهم.»

- فهؤلاء المشرفون الاجتماعيون يتكلفون بغسل الميت وتكفينه، فيشيعون جنازته من مكان وفاته إلى المقبرة يتقدمهم شيخ العزابة وراء النعش المحمول على الأكتاف وبقية العزابة وراءه

---

[3] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص ص 175 178.
[1] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 37.
[2] أعوشت بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص 105.

ثم الطلبة ثم الأعيان يتقدمهم أقارب الميت ثم عامة الناس بكل خشوع وهدوء بحيث لا يرتفع إلا صوت شيخ العزابة وإمام المسجد يردد: لا إله إلا الله، سبحان الحي الذي لا يموت.

ويراعى هؤلاء الأعضاء التقوى والورع والأمانة ومعرفة مبادئ الفقه والسنن في تجهيز الموتى ورعاية حقوق الميت، وما يجب أن يقوم به الغسالون وترتيبات ذلك كله.[3]

ح) – المجلس الديني للنساء:

يقول عوض خليفات[4]: « يبدو أن الإباضية في شمال إفريقيا قد أدركوا دور النساء في خدمة مذهبهم أثناء مرحلة الكتمان بعد سقوط الدولة الرستمية من خلال مشاركة المرأة الإباضية في تنظيم الحلقة، ويبدو أن أبا عبد الله محمد بن بكر المؤسس الحقيقي لنظام الحلقة قد استفاد من النساء في تحقيق هدفه.» لذلك تم تأسيس مجلس ديني خاص بالنساء لإدارة شؤونهن.

يذكر ناصر محمد[1] أنه:« ظهر مع تأسيس نظام حلقات العزابة ولا يعرف تاريخ مضبوط لذلك، وأبرز أعضائه الغاسلات لأنهن يقمن بغسل الأموات من النساء والأطفال، فمنهن يتكون المجلس الديني للنساء، ويكون عددهن في الأغلب اثنتي عشرة امرأة، إلا أنه يزيد وينقص حسب المهام المنوطة بهذا المجلس.»

ويعد أعوشت بكير بن سعيد[2] هذا المجلس:« مجلساً مكملا لمجلس العزابة يهتم بمعالجة القضايا الدينية والاجتماعية والأخلاقية المتعلقة بحياة العنصر النسوي. وظيفة هذا المجلس:

أ- نشر الفضيلة الأخلاقية من خلال حلقات الدرس والوعظ والتوجيه الإسلامي الخاص.

ب- الإشراف على حفلات الأعراس والمهور.

ج- محاربة الآفات الاجتماعية والبدع الفاسدة.

د- الإشراف على غسل الأموات من النساء والأولاد الصغار.»

---

[3] أسماوي صالح: المرجع السابق، ص 75.

[4] عوض خليفات: المرجع السابق، ص ص 50-51.

[1] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 44.

[2] أعوشت بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص ص109-110.

المبحث الثالث:

3 -آداب أعضاء حلقة العزابة:

تحدثت المصادر الإباضية القديمة عن صفات وأخلاق العزابي، آمراً كان أم مأموراً، ومنها ما ذكره الوسياني[3] في قوله:« ومن آدابهم مجانبة الريب وأهله والسفه والمزاج واجتناب مجالس الأسواق ومشابهة النساء ومخالطة الأطفال ومداعبة الفجار ومفاكهة الاماء. فمجالس المسلم أربعة: مجلس الذكر والعلم أو المسجد يصلي فيه ويدعو أو في جنانه خادما ضيعته أو في داره مجانبا للمآثم متنزها عن المطامع. فالمرء إذا جلس في مجالس الصالحين حرمت عليه مجالس الطالحين.»

أن ينقطع إلى عمله وأن لا يكثر من الاختلاط مع عامة الناس وأهل الدنيا، وأن يكون لطيفا متواضعا. يقول الدرجيني[4]:« وأن لا يتكبر على متواضع ولا يتواضع لمتكبر ولا يخالط أهل الدنيا ولا يجالسهم إلا إن دعت ضرورة لا يوجد معها بد.»

ومن أفعالهم يذكر الوسياني[1]: « شدة العزم والتشمير والجد والمواظبة على الخير والقرآن والعلم والدرس والتلاوة أناء الليل والنهار.»

فالعزابي يجتهد في طلب العلوم الدينية الإباضية ويجد في تحصيلها ويبيع نفسه إيمانا واحتسابا لله، وذلك عن طريق تكريس نفسه لخدمة دينه وأصحاب مذهبه وعدم قراءة كتب أهل الخلاف والنهي عنها بل يعاقب بالخطة والهجران.[2]

ومن آدابهم الحث على الصبر والشكر،الحلم وقلة الكلام وقلة الالتفات ورمي البصر إلى الأقدام والسكون في الهدوء وترك الإسهاب والهذيان ، الهجر والغيبة، النميمة والشحناء والإنصات بعضهم لبعض في المجلس وغيره، وترك التنازع والتمادي فيه والغل والغش والحقد والكذب والقول بغير علم وسوء الظن والتهاجر والتدابر والتحاسد وكثرة الطعام والترقب له، وكثرة سؤال الناس وطلب الحوائج إليهم وتعظيم أهل الدنيا والصبر على الأذى وسوء المعيشة في سبيل الله.[3]

---

[3] الوسياني: المصدر السابق، ج 2، ص 664.
[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 183.
[1] الوسياني: المصدر السابق، ج 2، ص 665.
[2] الوسياني: المصدر نفسه، ج 2، ص 720.
[3] الوسياني: المصدر نفسه، ج 2، ص 666.

ويورد الدرجيني[4] بعض آداب الأكل فيقول: « ... وذلك أن الطعام لا يخلو أن يكون في موضع مألفهم أو خارجا، فما كان خارجا لا يخلو أن يكون في محل عزابي أو في محل دنيوي، وجعل الشعار بينهم من القول "حسان" أي حسنوا آدابكم وأخلاقكم... ثم يأكلون أكلا معتدلا، فمن أكل أكل نهم أو أكل ذي كبر، عيب عليه في ذلك الموضع ونهى وقبح وحذر أن يعود، فإن عاد فالخطة.» ومن أخلاقهم أيضا نوم القائلة.[5]

ومن أخلاقهم وآدابهم يذكر الوسياني[1] أيضا: « التزاور بعضهم لبعض بالخلق الكثير والجم الغفير والعيادة للمرضى والحفاوة بهم ويأتونهم بما يشتهون والحديث في ذلك مرغب عندهم، قال الرسول(صلى الله عليه وسلم):(عيادة المرضى يوم بيومين أفضل العبادات وأحقها.) ويوصون مرضاهم بالتوبة ويلقنونهم الشهادة والوصية وترك القنوط والصدقة عن ذلك.

ويضيف أيضا[2]:« ومن آدابهم التعازي لأهل الميت والاجتماع على صلاة الميت، يقرأون القرآن في داره ثلاثة أيام أو في المسجد ويذكرون مناقب الميت وأهل الفضل.»

المبحث الرابع:

4 -لباس العزابة:

يقول عوض خليفات[3]:« وتبعا للتعاليم التي وضعها مؤسس العزابة في العقد الأول من القرن الخامس الهجري فعلى العزابي أن يتزيا بزي خاص، ويكون مظهره العام مميزا عمن سواه ... ويجب أن تكون ثيابه معمولة من الصوف الخالص، ويحبذ العزابة أن يكون اللباس خشنا غير ناعم اعتقادا منهم بوجوب الابتعاد عن زخرف الدنيا ورغدها.

---

[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 176-177.
[5] الوسياني: المصدر السابق، ج 2، ص 661.
[1] الوسياني: المصدر نفسه، ج 2، ص 679.
[2] الوسياني: المصدر نفسه، ج 2، ص 677.
[3] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 41.

وأن يتقيد بالزي الرسمي أينما وجد خارج بيته، ولا يحق له التساهل في هذا الأمر مهما كانت الظروف، فاللباس الرسمي والمظهر الخارجي الخاص بأعضاء العزابة تعتبر من التقاليد الإلزامية التي توجب البراءة ممن لا يتقيد بها أو يتساهل بشأنها.»

ومن أهم ما أكد عليه أبو عبد الله هو لباس البياض وحلق شعر الرأس. يقول الدرجيني[4]:« فمنها أنه أول ما يتجرد من طريقة أهل الدنيا بحلق شعر رأسه ثم لا يتركه يطول أبدا ومنها أن لا يلبس ثوبا مصبوغا إلا البياض، ثم إذا اقتصر على عباءة أو ملحفة لم يشنه ذلك ولم يعبه بل ذلك به أليق، وإن لبس ذلك على قميص كان أكمل ما لم يكن مبتدئا.» ومن سير العزابة أيضا النقاء والتطهير للثياب.[5]

إن التزام العزابة بهذا النوع من الألبسة يحمل معاني كثيرة، فيتميز العزابي عن غيره بهندامه وزيه وسمته ومراقبته لنفسه، فيميل إلى الزهد، ويعيش في بساطة وتفان بعيدا عن الخيلاء والرياء والكبر.

المبحث الخامس:

5 -مهام مجلس العزابة: إن مجلس العزابة هو أعلى سلطة في المكان الذي يوجد فيه، يمثل سلطة الإمام ويقوم مقامه في جميع مهامه وواجباته باستثناء إقامة الحدود التي يعطلها الإباضية في طور الكتمان.

أ) - المهام السياسية:

يشير ناصر محمد[1] إلى الدور السياسي لمجلس العزابة فيقول:« بما أن العزابة يمثلون نخبة المجتمع وقادته فإنهم كانوا بحكم هذه المسؤولية يتحملون تبعات الدفاع عن المجتمع ضد التدخلات وقاموا بهذا الدور الخطير في كل المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة فكانوا حارس المجتمع في حالات السلم والحرب والأمن والفتن والاستقرار والاضطراب.»

---

[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، 173.
[5] الوسياني: المصدر السابق، ج 2، ص 680.
[1] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 37.

كما يقوم مجلس العزابة بتنظيم العلاقات بين الإباضية في المدينة والإباضية في المناطق الأخرى، ومجلس العزابة في المدينة هو الذي يعلن حالة الحرب أو الجهاد وهو الذي يقود أتباعه في المعارك وبذلك يقوم بمهمة إمام الدفاع.[2]

ب) - المهـام الاجتماعية:

يهدف مجلس العزابة حسب عوض خليفات[3] إلى:« المحافظة على وحدة أتباع المذهب وصيانة تراثهم، ولا يتأتى ذلك إلا بخلق مجتمع تسوده المحبة والإخاء والتعاون. يتدخل هذا المجلس في مختلف أوجه الحياة وفي كل المجالات التي تكفل قيام مجتمع متماسك متضامن في كل الظروف.»

فهم يشرفون على الأفراح والأتراح وجميع المناسبات والتظاهرات التي يعيشها المجتمع الإباضي، حيث يرأسوا حفلات أعراسهم ويقومون على شؤون الأيتام والأرامل وضمان كفالتهم، ويشرفون على غسل الأموات والصلاة عليهم ودفنهم ومواساة ذويهم وتنفيذ وصاياهم وتقسيم تركاتهم.

وخلال هذه المناسبات تلقى الخطب والمواعظ التي تذكر الناس بضرورة المحافظة على وحدتهم وصيانة مجتمعهم من الفساد والتفكك.

ومن أهم النظم الاجتماعية التي ضمنت التماسك والتآزر للمجتمع الإباضي في إطار الشريعة الإسلامية ما يطلق عليه نظام الولاية والبراءة.[1]

كما يقوم أعضاء المجلس بجمع الزكاة من الأغنياء وتوزيعها توزيعا عادلا على مستحقيها بطريقة تكفل لهم الحياة الاجتماعية الكريمة.

ج)- المهـام الدينيـة:

يمثل مجلس العزابة سلطة الإمام ويقوم مقامه في جميع مهامه وواجباته باستثناء إقامة الحدود.[2]

وأول هذه المهام: الوظائف الدينية للمسجد والجوامع وكل ما يتعلق بها من وظائف

---

[2] عوض خليفات: المرجع السابق، ص ص 43-44.
[3] عوض خليفات: المرجع نفسه، ص 44.
[1] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 28.
[2] ناصر محمد: المرجع نفسه، ص 17.

دينية مثل المفتي، الإمام والمؤذن وناظر الأوقاف ومؤدب الصبيان وغسلة الأموات، تعيين القضاة في المدينة والتثبت من إقامة العدل والمساواة بين أتباع المذهب الإباضي، تأليف الكتب المتعلقة بالعلوم الدينية من تفسير وحديث فقه وفتوى وغيرها.[3]

ويحرس مجلس العزابة على وظيفة الوعظ والإرشاد بالمواظبة المستمرة في كل وقت وفصل، وينتقي له أكفأ أعضاء الحلقة تجربة وأقواهم شخصية وأغزرهم علما وأفصحهم لسانا.

وتترك هذه الدروس التي يلقيها المشايخ في المساجد أثرا كبيرا في سلوك الناس وتعاملهم مع بعضهم البعض وتعمق نظرتهم إلى الحياة في جميع مناحيها.

د)- المهام التربوية:

أنشأت مجالس العزابة في المناطق الإباضية خاصة بوارجلان نظاما فريدا للتعليم يصفه عوض خليفات[1] بأنه:« يتسم بالصرامة والدقة واعتبرت التربية والتعليم من أهم الأمور التي تحفظ الدعوة الإباضية وتساعد على انتشارها.»

حيث تكونت هيئة إدارية للتدريس مشكلة من الشيخ والعرفاء منهم: عريف تعليم القرآن، عريف تنظيم أوقات الدراسة ،عريف الختمات وعريف الطعام.

- وبهذا أدرك علماء المذهب وشيوخه أن التربية هي أهم الوسائل التي تنشئ الأجيال المسلمة عقيدة وعملا وهي من الطرق التبليغية التي تضمن الاستمرارية للمجتمع المحمدي مذهبا وسلوكا، غير أن الملاحظ أن هذه النظم التربوية قد تطورت على النحو الذي طوره أبو عمار عبد الكافي في القرن السادس الهجري.[2]

هـ) المهام الاقتصادية:

يشرف أعضاء حلقة العزابة على الجانب الاقتصادي من حياة المجتمع الإباضي، حيث تتدخل الحلقة في تنظيم بعض الشؤون ذات الطابع الاقتصادي كمراقبة البيع والشراء في

[3] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 43.
[1] عوض خليفات: المرجع نفسه، ص 56.
[2] ناصر محمد: المرجع السابق، ص 31.

الأسواق ومحاربة الانحراف في التعامل التجاري مثل الغش والتطفيف والاحتكار وكل الظواهر التي نهت عنها الشريعة الإسلامية.[3]

ومن العزابة من يقوم بمهمة المحاسب، حيث يلجأ إليه التجار ليقوم بعملية الجرد للتقويم السنوي ثقة منهم في ورعه وخبرته. ويحافظ أعضاء العزابة على أموال وممتلكات أتباعهم عن طريق توظيف حراس من الإباضيين العوام غير المتعلمين مقابل أجور يتبرع بها الأغنياء أو تدفع من خزينة العزابة.[4]

كما يشرف أعضاء العزابة على تصريف مياه السيول حسب ما تقتضيه الواحات والاهتمام باقتصاد البساتين وواحة النخيل لدى الإباضية، وقد ألفت في هذا المجال كتب فريدة من أبرزها كتاب " أصول الأرضين " الذي ألفه ابن مؤسس حلقة العزابة " أبو العباس أحمد ابن بكر " في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

وكان عضو العزابة يقوم في كثير من الأحيان بإلقاء الوعظ حول الأعمال التجارية، يحض فيها التجار على الصدق والأمانة وعدم أكل الحرام وعدم التعامل بالربا.

المبحث السادس:

6 -ميزانية حلقة العزابة:

يمكن تقسيم موارد بيت حلقة العزابة إلى قسمين: موارد ثابتة وموارد غير ثابتة.

أما الموارد الثابتة فتشمل الحبوس والأوقاف الخاصة بالمسجد، كحبس الضياع والواحات والبساتين وجعلها وقفا للمسجد.

يذكر عوض خليفات[1] أن:« شيخ العزابة كان يعين اثنين من أعضاء العزابة للإشراف عليها والعمل على تنميتها وتطويرها باستمرار.»

وتعد الزكاة من المصادر الثابتة لبيت مال العزابة، خاصة أن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة.

---

[3] ناصر محمد: المرجع نفسه، ص 33.

[4] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 45.

[1] عوض خليفات: المرجع نفسه، ص 83.

أما الموارد غير الثابتة فهي متنوعة منها ما يقوم به بعض أغنياء الإباضية رغبة وتقربا إلى الله كالتكفل بنفقات الطلبة. ذكر الدرجيني[2] أن:« أبا عبد الله محمد بن سليمان كانت له حلقة عظيمة، يعلمهم ويطعمهم ويكسيهم من ماله، وكان إذا أقبل الشتاء اشترى لهم أكسية جديدة فيها دفء، فإذا أقبل الصيف اشترى لهم أكسية خفيفة برسم الصيف، ويدخر الأخرى للشتاء وربما باعها بالثمن الذي اشتراها به ويخرج لهم كل شهر ما يقيم طعامهم.»

وكان الأغنياء يتسابقون لمثل هذه الأمور حتى أن بعضهم كان يكرس جل ماله للصرف على أعضاء الحلقة والطلبة. يقول الدرجيني[1] أن:« أبا سليمان أيوب بن إسماعيل كان كثير الإبرار لتلامذته، وكانت له داران بوارجلان متقابلتان، يفصل بينهما طريق وفوق الطريق ساباط واصل بين الدارين من علو، فإحدى الدارين دار سكناه والأخرى مطلقة للتلامذ والأضياف، فما كان في دار سكناه من تحف وضيافة يتحف بها تلامذته أو يكرم بها أضيافه، كان طريقها إليهم من علا السابات.»

وفي نفس السياق يقول الوسياني[2]: « ومن آجلو أيضا بعث أبو الربيع إلى وغلانة أربعة دنانير لشراء الغنم للعزاب.»

ومن الموارد الأخرى الهدايا التي كان يأتي بها الأغنياء للطلبة وللمسجد وكان بعضها مواد عينية، فما هو طازج يوزع على الطلبة والفقراء وأعضاء الحلقة، وما يمكن دوامه كالزيت والتمر دون أن يتلف فإنهم يحفظونه في مستودعات خاصة تدعى المطامير.[3]

وقد يتقدم التجار وأصحاب الأموال بتبرعات إلى حلقة العزابة وقد عرف الإباضية بالتجارة، حيث كانوا يجوبون معظم أنحاء بلاد المغرب الإسلامي والسودان.

وبهذه الموارد ندرك قدرة مجالس العزابة على القيام بوظائفها المتعددة بكفاءة واقتدار.

المبحث السابع:

7 -العلـم والعلمـاء:

(2) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 240.
(1) الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 283.
(2) الوسياني: المصدر السابق، ج 2، ص 596.
(3) عوض خليفات: المرجع السابق، ص 84.

أ) - أشهر علماء وارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين:

1 -أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي: (345-440 هـ/956-1049 م)[4] نفوسي الأصل من فرسطاء بجبل نفوسة بليبيا.[5]

يصفه تادوز ليفتسكي[1] في قولـه:« هو مصلح وعالم إباضي مشهور من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وهو راو لبعض الروايات المتعلقة بالشيوخ الإباضيين من إفريقيا الشمالية المذكورة المسماة سير المشايخ.»

مدحه الدرجيني[2] قائلا:« الطود الذي تضاءلت دونه الأطواد، والبحر الذي لا تقاس به الثماد، بيت أهل المذهب والمشهور بالبركات والمعتمد عليه فيما أصل للحركات والسكنات، أسس قواعد السيرة وله في كل فن تآليف كثيرة وأكثرها الحجج والبرهان لأنه كان فيها ركن من الأركان، وحفظ عنه في الأخلاق حكم قد خلدت في بطـون الأوراق وله الدعوات التي ترتجى وتتقى عواقبها، وهي باقية لذريته يتوارثها بدورها وكواكبها.»

تعلمـه: أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه فرسطاء، ثم تنقل بين عدة مدن للاستزادة من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه: القيروان، جربة والحامة. ففي الأولى نهل من معين اللغة العربية وفي الثانية ارتوى من علوم الشريعة عند الشيخ أبي زكريا فصيل بن أبي مسور بالجامع الكبير وفي الحامة عند شيخه أبي نوح سعيد بن زنغيل.[3]

سافر بعدها إلى قسطيلية بحثا عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء ليأخذ عنه الفقـه والفروع، إلا أن وفدا من جربة اضطروه إلى التحول من مرحلة التعلـم إلى مرحلة التعليم

---

[4] معجم أعلام الإباضية، ج 4، ص 772.

[5] عمرو خليفة النامي: ملامح عن الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري، ملتقى وارجلان الحادي عشر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 06-15 فبراير 1977 م، ص 105.

[1] تادوز ليفتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقية الشمالية، ط 1، تر: ماهر جرار و ريما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة 2000 م، ص 60.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 197.

[3] معجم أعلام الإباضية ، ج 4، ص 773.

وتأسيس حلقة العزابـة. يذكر خليفة النامي[4] أنه :« بعد دراسة عميقة مستوعبة لأحوال مختلف الديار التي تنقل فيها، وبناء أيضا على أمر شيخه وتوصيته لبعض تلاميذه استقر رأيه على الانتقال إلـى مغراوة ريغ (وغلانة) وقال: هاهنا ناس رقـاق القلوب أرجو أن ينتجع فيهم الإسلام ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخيـر أهلا. وقد قعد للتدريس في أريغ سنة 409 هـ، ثم انتقل إلى ايسلي (بليدة اعمر) وأسس بها الحلقة.»

يقول تادوز ليفتسكي[1] أنه:« أصبح علما بارزا، واعتبره الإباضيون إماما لم يكن واسع المعرفة فحسب، بل شارك كذلك عمليا في حياة المجتمع الإباضي الذي كان رئيسه الروحي والسياسي في وادي ريغ ووارجلان ومزاب.»

مصـدر رزقـه:

اعتمد عبد الله على نفسه في توفير مصدر قوته، فلم يشغله العمل العلمي والاجتماعي عن السعي لكسب الرزق بكد يمينه، فقد اتخذ لنفسه غنما وماشية يتنقل بها بين عدة مناطق، متتبعا مصدر الكلأ مثل نفوسة ووادي سوف ووادي أريغ ووادي ميزاب كما كان يملك ضيعات كثيرة.[2]

تأسيس حلقة العزابة:

يقول عمرو خليفة النامي[3] :« يمثل أبو عبد الله حلقة وصل بين مرحلتين من مراحل الحياة العلمية والسياسية في المجتمعات الإباضية بالمغرب.

فإذا كانت جهود من قبله قد اتجهت إلى محاولات سياسية وعسكرية لإعادة بناء الدولة الإباضية وترسيخها على أنقاض الدولة الرستمية كما حاول أبو يزيد مخلد بن كيداد وبعده أبو خزر يغلا بن زلتاف ورفيقـه وتلميذه أبو نوح سعيد بن زنغيل، فإن أبا عبد الله محمد ابن بكر قد انصرف بجهوده كلية إلى بناء حركة علمية تربوية منظمة تنظيما دقيقا للمحافظة على استمرارية البناء الاجتماعي والديني والعلمي للمجتمعات الإباضية، حين خبر ما انتهت إليه تلك المحاولات السياسية قبله من إنهاك للأمة وتبديد لطاقاتها.»

---

[4] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 105.
[1] تادوز ليفتسكي: المرجع السابق، ص 60.
[2] معجم أعلام الإباضية، ج 4، ص 773.
[3] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 104.

– فقد تميز أبو عبد الله بتأسيسه لنظام هو الآية بين النظم الاجتماعية القديمة والحديثة "نظام حلقة العزابة"، حيث شرع في تطبيق مبادئ هذا النظام في أول حلقة له بغار في " تين يسلي" وهي بلدة أعمر بالقرب من مدينة تقرت جنوب شرق الجزائر حاليا – وذلك سنة 409 هـ / 1018 م، وإلى هذا التاريخ نسب هذا الغار وسمي بـ " الغار التسعي".[4]

لم يحصر أبو عبد الله هدفه في مجرد التعليم الديني النظري فحسب، وإنما سعى إلى غرس مبادئ الإسلام في طلبته على أنه منهج حياة، لا فصل فيه بين العلم والعمل ولا بين النص والواقع، ولذلك كان الشيخ كثير السفر مع طلبته في المغرب الإسلامي، من نفوسة شرقا إلى وادي ميزاب غربا يتعلمون ويعلمون الناس أمر دينهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. نذكر من بين المناطق التي استقر فيها بحلقته: تين يسلي، قسطيلية طرابلس، لماية، جربة، وادي أريغ، وغلانة، وارجلان وبادية بني مصعب. ولهذا عرف الشيخ عند العامة بـ " سيدي محمد السايح."[1]

أسلوبـه في الإصـلاح:

اتبع الشيخ أسلوب الأسفار والتنقلات، التي يتعرض فيها الطلبة للشدائد والمحن ويبلون البلاء الحسن ليعرف الغث من السمين ويوجه كلا إلى ما يصلح له: فمنهم من يصلح للقيادة الدينية ومنهم من يخصص للتعليم ومنهم من لا يصلح إلا لنفسه.

كما كان الشيخ يعتمد على أسلوب فريد للإقناع والحجة بالاستعانة بالأمثال الواقعية للإفهام والتغيير، حفظت كتب السير كثيرا منها، يذكر الشماخي[2] بعض أقواله وحكمه فيقول: « أهل زماننا كالسبخة إذا ابتلت أزلقت وإن جفت خدشت. وقوله: قطيعة الرحم كقطع عضو من الجسد لا يخاط ولا يناط ولا يربط.

وأوصى بعض تلامذته عند وداعه: إن وجدت من تقدم في الأمور فاتبعه وإلا فإن وجدت ممن تتعاون معه " فتعاونوا على البر والتقوى" وإلا فإن وجدت من يقتدي بك فكن إماما، وإلا فألزم الطريق وحدك وجانب الناس.»

---

[4] معجم أعلام الإباضية، ج 4، ص 744.
[1] معجم أعلام الإباضية، ج 4، ص 744.
[2] الشماخي: المصدر السابق، ص ص 359-366.

وذكر الدرجيني[3] أن: « سائلا سأله: ما تقول في حلال قد خالطه الحرام أيؤكل منه؟ قال: ما ترى في جحر دخله جربوع ودخلته حية كلاهما بمرأى منك. أتدخل فيه يدك طلبا للجربوع؟ قال: لا أفعل مخافة الحية. قال: وكذلك ما سألت عنه.»

تآليفه:

أول من ذكر من كتاب السير بأن لأبي عبد الله تآليف هو أبو زكريا يحي بن أبي بكر أكثرها في الحجج والبرهان لأنه كان فيها ركن الأركان، غير أن المصادر لم تذكر ولو عنوانا واحدا من كتبه والناظر في التراث الإباضي من كتب السير والفقه والعقيدة، يجدها تعج بآرائه وحكمه، وإنما جمع له تلامذته فتاويه وحكمه وأخذها عنهم المؤلفون لتعرف فيما بعد بتآليف أبي عبد الله.[1]

وذكر عمرو خليفة النامي [2] أن: « أبا عبد الله ألف في العقائد كتابا نفيسا جليل الفائدة في جزأين سماه: التحف المخزونة والجواهر المصونة.»

صفاته وأخلاقه:

أطنبت المصادر في ذكر مناقب أبي عبد الله وصفاته الخلقية ولا بأس أن نورده نموذجا لشهادة الدرجيني[3] فيه حيث يقول:« وكان أبو الربيع إذا شبه الشيوخ وضرب بهم المثل قال: إنما مثل أبي عبد الله كما قال الله تعالى: (هذا نذير من النذر الأولى)* ومن تواضعه ما ذكر يحي بن جعفر قال: كنا في حلقة أبي عبد الله نقرأ عليه فكان العزابة أرادوا كنس الغار فكنس معهم الشيخ أبو عبد الله وجعل يرفع معنا الكناس على عاتقه. فقال له بعضنا وهو ينتقل معنا: أقعد يا شيخ فإن العزابة يكفونك. فقال: أو يحملون علي ذنبي؟ فكان يرفع قليلا قليلا جهد طاقته. فقلت له: ارفع إذن أكثر من هذا. فقال: لوكان رأيك يؤخذ لأخذنا به آنفا . وكان أبو عبد الله إذا سئل عن أحد فإن علم به خيرا قاله، وإن علم غيره سكت.»

---

[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 185.
[1] معجم أعلام الإباضية ، ج 4، ص 77.
[2] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 107.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص ص 212-213.
* سورة النجم: الآية 56.

وفاتـه:

توفي رحمه الله سنة أربعين وأربعمائة (440 هـ) ودفن بمقبرة غاره في أجلو وهو موضع معروف بالبركة[4]، ولا يزال قبره معروفا إلى الآن في مسجد بقرية بلدة أعمرو بدائرة تقرت وهو مشهور عند الأهالي باسم سيدي محمد السائح.

2 -أبو الربيع سليمـان بن يخلـف المزاتي: هو الأصولي البارع والفقيه النبيه، نسبته: الوسلاني ،المزاتي،النفطي والقابسي، عرف بكثرة أسفاره بين مواطن الإباضية في ربوع المغرب وكثرة ترحاله طلبا للعلم ونشرا له.[1]

صنفه الدرجيني[2] ضمـن مشايخ الطبقة العاشـرة (450-500 هـ):« ومنهـم أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي رحمه الله، أفنى في الدراسة أيام الشباب وفي حفظ الفقه كتابا بعد كتاب، حتى برز وقعدت عنه أصحابه.»

تعلمـه: أخذ العلم من منبعه الصافي ومعدنه الملي: أبي عبد الله محمد بن بكر وكان غاية في العلم.[3] قرأ على يديه الأصول، كما أخذ عن الشيخ أبي محمد ويسلان بن أبي صالح اليراسني وعـن غيره الفـروع بجربة، وكان وقتئذ رفيـق درب دراسته الشيخ ماكسـن_ابن الخير وتصاحبا على التعلم ومن عادتهما أن يقرأ أبو الربيع الكتاب على أبي محمد ماكسن فإذا قرأ وجها من القرطاس درس أبو الربيع مسائله وردها أبو محمد ماكسن أيضا.[4]

هو غاية في العلوم، أفنى شبابه في القراءة، وبقية عمره في الإقراء فصار من أكابر العزابة وممن جازت عليهم سلسلة نسب الدين. أخذ عنه العلم خلق كثير لاتخاذه حلقة متنقلة بين مواطن الإباضية في السهول والجبال والأودية والجزر ويخرج معه من تلامذته نجباء أمثال الشيخ أبي زكريا فصيل وأبي بكر بن يحي في المسجد الكبير بجربة، ثم يخرج بحلقته إلى جبل نفوسة ثم تمولست ثم قلعة بني علي ثم أسوف ثم وغلانة ثم تماسين ثم وارجلان في عام الزيارة 449 هـ/1057 م، ثم البكرات في بداية 450هـ/1058 م، ثم الجبل حيث منزله بـ

---

[4] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 213.
[1] معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص 444.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 248.
[3] الشماخي: المصدر السابق، ص 395.
[4] معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص ص 444-445.

"تمولست" سنة 462 هـ/ 1069 م، وفي كل بلدة يبقى وتلامذته مدة للتعلم والتعليم يجتمع عليهم أهلها وكثير من طلاب العلم.[5]

تآليفـه:

يقول الدرجيني[1]:« وقيد عنه كل جواب مصيب وتصنيف عجيب.» فمن جملة تآليفه ما ذكره الشماخي[2]:« وله من التآليف: المتحف في الأصول.»

وله أيضا كتاب "السؤالات " وهو يحتوي على أجوبة مفصلة ودقيقة لأكثر من تسعين سؤالا تغطي موضوعات منها: وحدانية الله وإظهار الإيمان والولاية والبراءة والأمر والنهي وقضايا لا يسع جهلها. بالإضافة إلى أصول الدين ومنها إبراز تسعة بنود في المذهب الإباضي.[3]

وكتاب "التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية" وكتاب "في طلب العلم وآداب التعلم" وكتاب في "علم الكلام وفي أصول الفقه" وفصل " في اختصار مسائل ترتيب المعلقات."[4]

وفـاتـه:

يقول الشماخي[5]:« وعن غير واحد من تلاميذه رجعنا من عنده عام واحد وسبعين وأربعمائة، فشيعنا إلى المصلى الذي فوق عيون تونين فوقفنا للوداع. قلنا: أوصنا. قال: إذا وصلتم منازلكم فإياكم أن تستقبلوا الدنيا بوجوهكم لئلا تغركم وعليكم بالألفة والنصيحة والتزاور وحفظ مجالس الذكر وإياكم وأمور الناس وإياكم والتقصير فيمن يرد عليكم من أهل دعوتكم.»

---

[5] معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص 445.
[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 248.
[2] الشماخي: المصدر السابق، ص 395.
[3] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 228.
[4] معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص 446.
[5] الشماخي: المصدر السابق، ص 396.

وكانت وفاته حسب الدرجيني[6]:« عام إحدى وسبعين وأربعمائة، فبلغ خبر وفاته المشايخ ببلاد أريغ أمثال ماكسن ومزين ويوسف بن أبي عبد الله بن بكر وغيرهم فجل عندهم الخطب وسامرهم الرثاء والندب، واجتمع إليهم أعيان تلك النواحي يعزونهم وهيهات، فقد لازموا النحيب والاكتئاب الطويل، حتى قال لهم أبو يعقوب: كفوا عافاكم الله فإن هذا لا يغني عنكم شيئا وعليكم بالتمسك بما أخذتموه عنه وعن غيره من الأشياخ وكونوا لها كإبراهيم بن أبي إبراهيم للأمانة. وذلك أن رجلا أودع الشيخ إبراهيم دينارا وقال له: ادفعه إلى فلان واحذر أن يسقط. فقال له: تسقط هاتان ولا يسقط يا عماه وأشار إلى عينيه.»

3 -أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي:

– لا تذكر المصادر الإباضية القديمة تاريخ مولده ويذكر أعوشت بكير بن سعيد[1] أنه:« ولد في قرية تناولت قرب سدراتة جنوب الجزائر- يعد من أعظم مفكري الإباضية في طرح المشاكل الفلسفية وتحليلها. وهو لا يقل مرتبة عن ابن رشد والغزالي في أصالة تفكيره وعمق نظره.»

صنفه الدرجيني[2] في الطبقة الثانية عشرة (550-600 هـ) إذ يقول: « منهم أبو عمار عبد الكافي، تدارك المذهب قد أقبر فأنشره نشورا، ونوه به وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، فأحي الله به رفاته، وجمع ببركته شتاته، خدم العلم دهرا حتى وعاه وأوعى منه الأوعية، ثم أخذ يفتي به ويعلمه، فسالت منه الأودية، في تصنيف كتاب أو تهذيب جواب أو تدريب متكلم أو إفادة متعلم.»

طلبه للعلم:

تتلمذ أبو عمار في موطنه على مشايخ أجلاء منهم: أبي زكرياء يحي بن أبي زكرياء وأبي سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي ومن رفاقه في التتلمذ أبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم الوارجلاني (ت 570 هـ) صاحب التآليف في علوم المنقول والمعقول وكان رفيق أبي عمار في رحلته إلى الحج.[3]

---

[6] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص ص251-252.
[1] أعوشت بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص 133.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2،ص 306.
[3] معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص 539.

وتذكر المصادر الاباضية أن أبا عمار لما عزم على طلب العلم رأى أن أهم ما يقدمه إصلاح اللسان ثم إصلاح الجنان بعلوم القوانين والبراهين، فهاجر إلى تونس فأقام فيها أعواما يدرس الليل والنهار ولا يحضر ببابه ذكر الأهل والدار، والذي توخاه في قصده تونس شيئان: أحدهما قلة من يشغل خاطره عن ذكر أهله والثاني أراد إن ينقطع عن اللسان البربري بالبعد عمن يخاطبه به، والتدرب على لسان العربية بكثرة مخالطة من يخاطبه به.

وكان أبو عمار موسعا عليه فكانت تأتيه من بلده في كل عام ألف دينار وبطاقة، فيضع البطاقة في موضع ويقسم الدنانير نصفين، فيدفع النصف إلى شيخه، ويصرف النصف في نفقته وكسوته وشراء ما يحتاجه من الكتب.[1]

ولما عاد إلى وارجلان تصدى لإحياء الدين بحلقات العلم، فقصده الطلبة من مختلف مواطن الإباضية بالمغرب وبخاصة جربة ومن تلاميذه: أبي يحي إسماعيل بن يحي وسليمان بن محمد بن إسحاق وسليمان بن يومر.[2]

تآليفه:

أولى أبو عمار جانب التأليف اهتماما خاصا، فترك تراثا فكريا قيما.يقول الدرجيني[3]:« وهو الذي أزرى بموجزه على الماضين وأتعب المعاصرين والآتين، فإنه رتب مقدماته أرتب تقديم وقوم فصوله أحسن تقويم، وقسم الفرق أبين تقسيم بألفاظ عذبة وقصد مستقيم وله تصانيف يشفى بريها هيام النفوس الهيم.»

وكتاب الموجز يقع في جزأين ويتميز بأسلوب أدبي عال ومنهج كلامي متماسك وحسب عمرو خليفة النامي[4]:« يمثل كتاب الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، دراسة مفصلة للنظرة إلى العقائد الكلامية الإسلامية وغير الإسلامية والكتاب مصمم للدفاع عن الآراء الإباضية ورفض ما عداها وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: يتناول آراء الملحدين بالدرجة الأولى، والقسم الثاني من الكتاب مخصص لمناقشة عقيدة أهل القبلة أي المسلمين.»

---

(1) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص ص 306-307.
(2) معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص 540.
(3) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 306.
(4) عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص ص 225-226.

وله أيضا كتاب " شرح الجهالات" وكتاب "الاستطاعة" و"السيرة في نظام العزابة " يعرف بسير أبي عمار[1] وكتاب "مختصر الفرائض".[2]

وله مراسلات مع علماء الإباضية في ميزاب وبلاد غانة. إذ كان مقصد الناس في الفتوى ومراسلات في العقيدة وردت في كتاب السؤالات.

كما أثرت عنه أقوال حكيمة في شؤون الدين والحياة، منها ما ذكره الدرجيني[3] في قوله:« روي أن أبا عمار كان يقول: إذا وقعت الفتنة بين فئتين من المؤمنين فالأحب إلي أن يصطلحوا، فإن لم يفعلوا فالأحب إلي أن لا تغلب فئة فئة، فإن من أحب أن تغلب أحدهما الأخرى فقد دخل في الفتنة ولزمه ما لزم أهل تلك الفتنة، وكأن سيفه يقطر دما. وروى عنه عيسى بن أحمد أنه قال: السلامة أن يكونا في البراءة سواء لا يرجح قلبي إحدى الطائفتين، فإنه متى رجح أثم.»

وفاتـه:

توفي أبو عمار قبل 570 هـ/1174 م[4] ودفن في أعلى جبل بامنديل من ضواحي وارجلان. وقبره لا يزال موجودا يزوره أهل وارجلان كل عام، استذكارا للمعالم التاريخية وإقتداء بالأسلاف الصالحين.

4 -أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني (500-570 هـ):

- ولد بمدينة وارجلان جنوب الجزائر[5]، علم من أشهر علماء الإباضية بالمغرب، ترك بصمات بارزة في التراث الإباضي خصوصا والمكتبة الإسلامية عموما. صنفه الدرجيني[6] ضمن الطبقة الثانية عشرة (550 600 هـ) :« ومنهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم هو بحر

---

(1) معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص 540.
(2) عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 225.
(3) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 312.
(4) معجم أعلام الإباضية ، ج 3، ص 539.
(5) رابح بونار: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981 م، ص 273.
(6) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 312.

العلم الزاخر، المسخر للنفع فترى الفلك فيه مواخر، الرفيع القدر والهمة، الجامع لفضائل كل أمة، المحتوى على علوم جمة.»

طلبه للعلم: نشأ أبو يعقوب في موطنه سدراتة وأخذ مبادئ العلوم على علماء وارجلان ومن شيوخه بها: أبي سليمان أيوب بن إسماعيل الذي رثاه بقصيدة، حيث يقول:

بكت السموات العلا ونجومها حزنـا عليه والفلا والروب

واستوحشت منه المساجد كلها كما خلـت منه وحن النيب[1]

ومن شيوخه أيضا أبي زكريا يحي بن أبي زكريا، و يذكر أنه تتلمذ على يد أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني.

ولما استكمل معلوماته في وطنه ارتحل حسب إبراهيم أعزام[2]:« إلى الأندلس فأقام بجامع قرطبة يزاول العلم والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة وعلم الفلك حتى صار في الكل آية.»

وبالأندلس – كعبة الدنيا- حصل على علوم الدين واللغة بقسميها من معقول ومنقول وامتاز حسب عبد الرحمن الجيلالي[3] :« بين أقرانه بالذكاء والفطنة والفهم حتى صار يقارن بالجاحظ، ثم عاد إلى وطنه لإفادة قومه بما حمله إليهم مما لم يكن عندهم من ثقافة أوعلم.

فمكث بين أهله وقومه وفي بلده ووطنه يعلم ويدرس، وهو دائما في تطلع واشتياق إلى الاستزادة من العلم.» ذكر الدرجيني[4] أنه: « أقام سبعة أعوام ملازما لداره لا ينصرف فكان متى زاره أحد من الزوار وجده إما ينسخ وإما يدرس وإما يقابل وإما يبري الأقلام وإما يطبخ الحبر وإما يسفر كتابا، لا يعدل عن هذا الفن إلى ما سواه إلا إن قام لأداء فريضة.»

رحلته إلى السودان: كان هدف الشيخ من هذه الرحلة طلب الثروة، فقد كان أهل وارجلان من أهم الناس الذين ينشطون في مجال التجارة – كما سبق الإشارة إلى ذلك- وبالتالي كانت رحلاتهم إلى السودان مستمرة ومتواصلة طلبا للذهب والرقيق، وكانت مختلف شرائح المجتمع الوارجلاني تساهم في النشاط التجاري حتى العلماء والدعاة وإن من أسباب نشر الدعوة

(1) أعوشت بكير بن سعيد: أبو يعقوب يوسف الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية، غرداية، الجزائر، 1986 م، ص 39.

(2) إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 185.

(3) الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: أبو يعقوب يوسف الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان، مجلة الأصالة، ع 41، السنة 6، ، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جانفي 1977 م، ص 166.

(4) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 313.

الإسلامية في مجاهل إفريقيا التجارة أولا، وقد انضم أبو يعقوب إلى التجار فقصد السودان طلبا للرزق من جهة، ثم حبا للاستكشاف والمغامرة، متعلقا بالظواهر الاجتماعية والجغرافية لتلك المناطق، ويبدو أن هذه الرحلة لم تكن تجارية بحته بل كانت رحلة علمية أيضا.

وقد أشار أبو يعقوب الوارجلاني[1] في كتابه "الدليل والبرهان" إلى مواضع كثيرة منها:« كانم وهو موضع شرقي بحيرة تشاد، وكوار مجموعة واحات بإقليم كانم سكانها مسلمون بربر تجارتهم الرقيق، وقد أخذت رحلته طريق وارجلان إلى جادوا أكبر مركز تجاري في جبل نفوسة ثم الزويلة ثم كوار وصولا إلى قريب من خط الاستواء كما يقول عن نفسه: وقد وصلت إلى قريب من خط الاستواء وليس بيني وبينه إلا مسيرة شهر، وكاد أن يستوي فيه الليل والنهار أبدا وإنما وصلت إلى قريب منه وأطول يوم السنة إنما يفصل أقصر يوم منه ساعة واحدة والنهار الطويل ثلاثة عشر ساعة والنهار القصير إحدى عشر ساعة ولياليها كذلك.»

وقد جمع من رحلته هذه معارف جديدة عن طبيعة الطقس وطبائع الناس في بلاد السودان. كما حصل على ثروة قد تؤهله لمواصلة مشواره العلمي والتفرغ للتأليف بعدها. يقول في قصيدته الحجازية:

ولن يكسب المال الحلال سوى إمرئ يجوب البلاد نحو غانة صابر[2]

رحلته إلى المشرق: اتجه أبو يعقوب بعد ذلك إلى المشرق ليجمع إلى ما حصله من العلم بالمغرب وغيره ليستفيد ويكتشف منابع العلم بالمشرق، فارتحل إلى بغداد وهي يومئذ كقرطبة أو تفوقها ثقافة وحضارة وعمرانا، فإنها كانت عروس الأقطار الإسلامية وكفاها فخرا أن كانت تمثل عصر الإسلام الذهبي، ثم أدى فريضة الحج ببيت الله الحرام.[3]

آثاره الفكرية: يُعد أبو يعقوب فيلسوف وارجلان الفذ، خلف وراءه عدة مؤلفات وفي ميادين مختلفة. يصفه الدرجيني[1] بقوله:« له في كل جو متنفس ومن كل نار مقتبس، له يد في علم

(1) الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف: الرحلة، تح، يحي بن بهون، غرداية، الجزائر، 2006 م، ص ص 18-19.
(2) الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف: المصدر نفسه، ص 74.
(3) الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف: المصدر نفسه، ص 20.
(1) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 313.

القرآن وفي علم اللسان وفي الحديث والأخبار وفي رواية السنن والآثار وعلم النظر والكلام وعلم الشريعة عباداتها والأحكام وعلم فرائض المواريث ومعرفة رجال الأحاديث ولم يخل من إطلاع على علوم الأقدمين، بل حصل مع ملازمة السنة قطعة من علم الحكماء المنجمين.»

أبـرز مؤلفاته: كتاب "الدليل لأهل العقول" قسمه عمرو خليفة النامي[2] إلى ثلاث أقسام: القسم الأول أورد فيه المؤلف البراهين على صحة مذهبه وناقش أراء الأشعري حول الوعد والوعيد وخلق القرآن. والقسم الثاني: ناقش فيه "مالا يسع جهله في الدين" والقسم الثالث: عبارة عن أجوبة على أسئلة طرحت على المؤلف.»

وعن إبراهيم أعزام[3] أنه:« ترك تفسيرا كبيرا للقرآن في سبعين جزء، وهذا التفسير لم تبق عليه يد الفتن إلا اسمه وله فيما قيل كتاب ممتع في التاريخ فيه كل شاردة وواردة يسمى فتوح المغرب.»

دو□ن أبو يعقوب معلومات عن آراء ومناظرات فقهية في كتابه: « العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف.» ذكر عمرو خليفة النامي[4] أنه:« ثلاث مجلدات، خصص لدراسة أصول الفقه وبعض المسائل الكلامية.»

ومن جملة ما ورد في معجم أعلام الإباضية من مؤلفاته نذكر:

1 - مرج البحرين: وهو كتاب في علم المنطق والفلسفة.

2 - رسالة في تراجم رجال المسند.

3 - أجـوبة فقهيـة.

4 - شرح سير محبوب بن الرحيل في تاريخ الإباضية بالمشرق، وهو شرح مفقود.

5 - ديـوان شعـر: مفقـود أيضا ولم يبـق منه إلا قصيدة في رثـاء شيخـه أيـوب ابن إسماعيل.[1]

كما كان لأبي يعقوب غير ما تقدم من الكتب مؤلفا آخر خدم به الحديث الشريف، ذلك ترتيبه لمسند الربيع بن حبيب، حيث نسقه ورتبه.

---

[2] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص ص 228-229.

[3] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 185.

[4] عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 230.

[1] معجم أعلام الإباضية ، ج 4، ص 1013.

وأورد تادوز ليفتسكي[2] قصيدة لأبي يعقوب تحت عنوان القصيدة الحجازية:« مؤلفة من 360 بيتا، تحتوي على وصف لرحلته من وارجلان إلى مكة.» أودعها فصولا كثيرة بدأ فيها بغزل رقيق ثم رحلته من وارجلان وذكر من صحبهم في ذلك الركب وذكر الطريق منزلة منزلة في سيرهم وذكر شيء من الوعظ والتذكير.[3]

وقد اخترت من جملة أبياتها التي تزيد عن عدد أيام السنة ما يلي: حيث يبدأ القصيدة بغزل رقيق:[4]

عذيري عذيري من ذوات المعاجر ذوات العيون النجل بيض المحاجر
ذوات الشفاه اللعس بالظلم واللما غرائر خرق الصنع سود الغدائر
نواعم لم يعرفن ما بوس عيشة كوانس في الأضلال مثل الجئادر

ثم يبدأ في ذكر التأهب للحج:

فدع عنك ربات الحجال وذكرها وعد إلى ذكر الحجيج المسافر
خرجنا نؤم الشرق من حيز وارجلان بفتيان صدق من وجوه العشائر

وعن المراحل التي عبرها في رحلته يقول:

جزى الله عنا جرمة وبلادها وفزان خيرا شاكرا غير كافر
هم أوسعونا ما استطاعوا بخيرهم وعافية جلت ومن تمر تامر
نزلنا على مصر وفيها نجومها علي وعباس حليفا المفاخر
علي وعباس نسبيا رسولنا سبيلهما في الخير من سعد ظافر

ثم يقول:

وحق لمن قد سار ستة أشهر من الغرب حتى زار أبيض زاهر
وإما انتهينا نحو كعبة ربنا بكينا وجدنا بالدموع البوادر
تسيح على الخدين وبلا وديمة وتنهل مثل اللؤلؤ المتناثر

---

[2] تادوز ليفتسكي: المرجع السابق، ص 130.
[3] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 187.
[4] الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف: المصدر السابق، ص ص 37-68.

وتطوي المراحل كلها بوصوله إلى وارجلان:

فلما انقضى من حجنا ما انقضا لنا فطفنا وودعنا بأسبع صادر
دعانا إلى الأوطان شوق مبرح بهيج حاجات النفوس الذواكر
جزى الله عنا وارجلان خير ما جزى به بلدا عن طالب الخير مائر
فهو جنة الدنيا وأبواب مكة ومعدن تبر غانة بالدنانر
فمن كان يبغي الحج فليأت وارجلان يجد سبلها رحبا وخفرة خافر

وفاته: كانت وفاته في سنة 570 هـ/ 1175 م، وتذكر المصادر الإباضية أنه دفن بمسقط رأسه سدراتة.[1]

المبحث الثامن:

8- الحياة العلمية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين:

- تماشيا مع الأحداث السياسية والنزاعات المذهبية ظهرت حركة علمية نشيطة في المغرب الأوسط عامة وبوارجلان خاصة. وقد شهدت هذه الحركة العلمية أزهى عصورها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (11 12 م) ومن العوامل التي غذت الحركة العلمية بوارجلان ما يلي:

الرحلات العلمية التي ميزت الحضارة الإسلامية عبر عصور مختلفة، والتي كانت ميسرة لجميع الفئات وبين مختلف الأقطار الإسلامية، لغياب العوائق والحواجز ووحدة المسلمين فسهل الاجتماع بالعلماء في المساجد والمدارس.

هذا بالإضافة إلى الرحلات التجارية وقوافل الحج والتي عززت مجتمعة التواصل بين علماء العالم الإسلامي جملة.[1]

[1] معجم أعلام الإباضية، ج4، ص 1010.

[1] مديازة صورية: بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر21-362 هـ /642-972 م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، الجزائر، 1430-1431 هـ/2009-2010 م، ص 118.

فقد كانت وارجلان مركزا تجاريا هاما، فقدم إليها التجار والعلماء وأفرغوا سلعهم إلى جانب علومهم، كما نجم عن تعدد المذاهب وحلقات المناظرة والجدل نشاط واسع في حركتي التعليم والتأليف.

بقيت الإشارة إلى عامل آخر قد يكون مفتاح ازدهار الحياة العلمية ونشاطها بوارجلان هو اهتمام وشغف شيوخ الحلقة وأعيان القبائل بالعلم. فكانت وارجلان منطقة إنجاب وجذب للعلماء في الوقت نفسه.

أ) - المؤسسات التعليمية:

1 -**المساجد**: يرى مولود قاسم نايت بلقاسم[2] أن:« المسجد كان في الأساس مدرسة، كان معهدا فيه تخرج الصحابة في صدر الإسلام وفيه تخرج غيرهم في عهود متتالية، كان جامعا يجمع الأمة لا للصلاة فقط ولكن للعلم أيضا، مشتملا الدروس المسجدية وتحفيظ القرآن للصغار، كما كان المسجد دار قضاء ومجلس حكم ومجلس شورى، فقد كان الأئمة رعاة وعاة، ودعاة سعاة. فالإمام راعيا واعيا وداعيا ساعيا.»

فالمسجد هو المكان الذي تقام فيه الشعائر الدينية، كما أنه مركز قيادة المجتمع خاصة المجتمع الإباضي بعد تحول النظام السياسي من إمامة الظهور إلى إمامة الكتمان (الإمامة الصغرى)، حينما صار المسجد مكان اجتماع العلماء ورجال الفكر وشيوخ القبائل، وازدادت أهمية المساجد بوارجلان حينما اتخذ أبو عبد الله محمد بن بكر (تـ 440 هـ) منها مقرا لهيئة العزابة المشرفة على كل مصالح المسلمين.

حيث أدت المساجد بوارجلان دورا بارزا في الحركة التربوية، فمن خلالها مارس الأئمة والعلماء عملية التوجيه الاجتماعي والتربوي والعلمي لمختلف شرائح المجتمع ومن أبرز المساجد التي ذكرتها كتب السير، مسجد العالم أبي صالح جنون_ابن يمريان ، فمنهم المستفيد منه علما ومنهم المتبرك بمشاهدته والمشارك له فيما يعرض من أمور دنياه ودينه والمقتني خلقا يتحلى به والمستزيد مع معرفة سير السلف فكلهم منقلب بخير وفضل.[1]

---

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: المسجد جامع وجامعة، مجلة الأصالة، ع 46-47،السنة 5، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جوان-جويلية 1977 م، ص ص 3-5.

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 146.

وتعد المساجد أهم المؤسسات التربوية منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وطيلة القرون الأولى للهجرة ليس عند الإباضية فقط بل عند جميع الفرق الإسلامية.

2 - المدرسة:

يقول أبو العباس المقريزي[2]:« والمدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة.»

وبهذا لم يعرف المجتمع الإباضي المدرسة المستقلة أو المتخصصة، سواء كانت فقهية أو حديثية أو طبية والتي تصمم في شكل معماري يتناسب مع وظائفها في التعليم والسكن والأكل والراحة والصلاة على غرار مدارس دمشق وبغداد والقاهرة. ويرى شعباني صلاح الدين[3]:« أن هذا الاسم كان يطلق مجازا على مكان التعليم فالمسجد مدرسة والحلقة مدرسة، والزاوية مدرسة والبيت مدرسة.»

ويذكر علي يحي معمر[4] أنه لشدة حرص الوارجلانيين على التعليم وعلى العبادة:« أن جعلوا مساجد ومدارس متنقلة مع الأحياء التي تعيش على نهج البداوة فكان أرباب الماشية ينصبون أحياءهم متقاربة مع مواطن الخصب ثم يقيمون بناء المسجد والمدرسة، فيؤمه الطلبة للدراسة والمصلون لأداء الفريضة.»

وكانت المواد المدرسة والمناهج الدراسية والنظم الداخلية لهذه المدارس تختلف قوة وضعفا فبعضها يمتاز بالبساطة والسذاجة، وكان الدافع الأساسي إلى إنشائها الحماس الشديد لنصرة المذهب الإباضي ونشر تعاليمه، وبعضها الآخر كان أكثر تنظيما ونجاحا بفضل حملة العلم والذين تلقوا تكوينا خاصا ونظموها على شاكلة حلقة أبي عبيدة مسلم بالبصرة.

وتتمثل أهداف هذه المدارس في دعم المقاومة الفكرية عن طريق الحصول على أكبر قدر من العلماء، لأنهم مادة المذهب وقوته وكذلك عن طريق التأليف والرد على الوسائل الفكرية المتعددة للمخالفين بالحجة والبرهان مما يشعر الإتباع بالاطمئنان ومواجهة المؤسسات التعليمية للمخالفين سواء كانت مساجد أو مدارس وتقليص نفوذهم.[1]

---

[2] المقريزي أبو العباس: إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 2، تح، محمد حلمي ومحمد أحمد، القاهرة،مصر، 1324 هـ، ص 326.

[3] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 65.

[4] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 294.

[1] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 66.

3 -الكتـاب:

كان يطلق عليه اسم "دار القرآن" وكان يمتاز ببنائه البسيط الخالي من أية زخرفة كما كان مفروشا بحصر عادية يجلس عليه الصبيان متربعين حول معلم القرآن.

ويعتبر بحاز إبراهيم[2] الكتاب:« بمثابة اللبنة الأولى لدور التعليم في المغرب العربي وهي أيضا من أشهر أنواع التعليم الابتدائي. يتلقى فيها الصبيان مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن والأحاديث النبوية بطريقة التكرار وراء الشيخ حسب ما يبدو.»

إن انفصال الكتاب عن المسجد وقيامه في نفس الوقت إلى جانبه يعود إلى عاملين أساسيين: أولاهما إن الكتاب كان لتعليم الصبيان الذين مازالوا لم يبلغوا سن الرشد، بحيث يحترزوا من النجاسة.[3]

أما الثاني فراجع إلى طبيعة العلوم التي كانت تدرس في الكتاتيب وهي دينية بحتة مرتبطة به ارتباطا وثيقا كاللغة العربية الوسيلة الوحيدة لقراءة القرآن وحفظه.[4]

ولم يكن معلمو القرآن في الكتاتيب يتلقون أجرة لعدم جواز ذلك في المذهب الإباضي وبالمقابل فقد كان المعلم يتحصل على هبات وصدقات من أولياء التلاميذ، كما كانوا يجمعون له مئونة عـام كامـل مثلما كـان معمولا به في كامل أنحـاء المغرب، وهذا ما ثبـت في رواية الشماخي[5]حينما يقول:« اجتمعت بوارجلان بالمسجد الكبير جماعة وافرة فيها أهل الدعوة، منهم أبو عبد الله محمد بن بكر وابن سودرين وابن زوستن وعبد الله المدوني فسألهم رجل عن مسألة وهي: الأجرة هل تؤخـذ على تعليم القرآن أم لا ؟ فتدافعوا السؤال بينهم.

فقال أبو عبد الله للمدوني: أجب الرجل عن مسألته. فقال: نعم تؤخذ الأجرة على تعليم القرآن، فإن لم تؤخذ عليه فعلى ماذا ؟ أعلى رعي البقر؟ فسكت الفقهاء توقيرا له. مع أنه لم يحسن العبارة تأدبا منهم وفضيلة. قلت: وهذا الجواب غير معروف بالمذهب.»

ويبدو أن التلميذ في الكتاب كان يكتب دروسه على لوح من خشب ربما لندرة الورق في ذلك الحين. ومحوها كلما حفظ الصبي ما عليها.[1]

---

[2] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 276.
[3] مديازة صورية: المرجع السابق، ص 123.
[4] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 277.
[5] الشماخي: المصدر السابق، ص ص 373-374.
[1] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 277.

ومع الأهمية التربوية القصوى لهذه الكتاتيب فإن تجهيزاتها لم تكن تتعدى وسائل تعليمية بسيطة فكانت الألواح والدوى والأقلام هي أهم أدوات الدراسة للصبيان وواضح من هذه الوسائل أنها تتلاءم مع طريقة التلقين التي تعتمد على الكتابة والحفظ والعرض ثم المحو.

إن الانتقال من مستوى إلى مستوى آخر كان يتم عن طريق الإجازة أو ما يعرف أيضا بالتزكية، حيث يقوم الشيخ السابق بتزكية الطالب الناجح عند شيخه الجديد.

المستوى الأول يضم التلاميذ صغار السن ثم الانتقال إلى المستوى الثاني والذي يضم التلاميذ كبار السن. وهذا ما يستشف من رواية الدرجيني[2] حيث يقول:«... ولما احتمل الأدب دفعه أبوه الى المؤدب، فقرأ وحفظ القرآن، ولما اشتد وبلغ الحلم أخذ في طلب العلم.»

أ)- المعلمون: أطلق لفظ المعلم على كل من يمارس عملية التدريس مهما كان مستواه العلمي ومنهم:

1 -المؤدبون: وردت تسميتهم في طبقات الدرجيني وهم معلمون يعملون بالكتاب ويشرفون على تعليم الصبيان. ويشترط فيهم التحكم في مبادئ اللغة العربية وقواعدها وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية.[3]

2 -المعلمون المتخصصون: وهم طلبة العلم الذين تدرجوا في المبادئ الأولية لأنواع العلوم المعروفة آنذاك حتى انتهوا في مرحلة يشهد لهم فيها بأنهم بلغوا درجة من العلم يستحقون من بعد أن يسموا علماء، ويقوموا بالأعمال والوظائف التي يقوم بها العلماء ويشترط فيهم الحصول على إجازات في الفقه والتفسير وعلم الكلام.[1] وبمجرد أن يتموا دراستهم يبدأون بتدريس الطلبة في مختلف مراحل الدراسة، حتى إذا تمكن مركزهم وثبتت صلاحيتهم كلفوا بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد والتوجيه بين الناس في اجتماعاتهم العامة وفي مساجدهم، فتحكموا في هذه العلوم بكثرة الممارسة وصاروا من الذين ترد إليهم المسائل عند الخلاف.

3 - المعلمون المجتهدون: وهؤلاء اشتغلوا بالتدريس والتأليف في آن واحد فكانت لهم آراؤهم واجتهاداتهم الخاصة، وكانت حلقتهم مليئة بطلبة العلم ورغم التفاوت بين هؤلاء المعلمين في

---

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 119.
[3] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 276.
[1] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 74.

المستويات، فقد كان لهم الدور البارز في خدمة المذهب الإباضي ونصرته وضمان استمراريته وذلك من خلال عملهم التكويني للصفوة والتوجيهي للعامة وتأليف الكتب والرسائل لتطوير الفكر الإباضي والدفاع عنه. ومن أمثلة ذلك ما ذكره الدرجيني[2] عن:« تلامذة أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، الذين ساهموا في تأليف كتاب في الأصول.»

ب)- التلاميذ: يعرفهم الدرجيني[3] بقوله:« التلميذ اسم للواحد عند الدخول في الطريق سواء كان طالب فنون أو مقتصرا على الصلاحية فقط، وأصل هذه اللفظة فارسي.»

ويقسم التلاميذ إلى:

1- طلبة تعليم القرآن: يرى عوض خليفات[4] أن هذا الصنف من الطلبة هم:« صغار التلاميذ المبتدئين ويتعلمون بعض مبادئ اللغة العربية و شيئا من الحساب لا يطالبون بارتداء الزي الرسمي الخاص بأهل الحلقة.» وعن أوقات دراستهم وآدابهم يقول الدرجيني[5] أنهم:« يقرأون ألواحهم بين الظهر والعصر حتما، وبعد العصر استحبابا، وصفة هيئتهم حينئذ أن يشتملوا فلا يظهروا من أجسادهم شيئا ويسندوا ألواحهم إلى الأساطين ويقابلونها غير مستندين ولا مكثرين من الالتفات، وبين العشاءين في وسط الساحة غير مستندين، وقد أبيح لهم الاستناد في غير هذين الوقتين إن شاءوا والأفضل للأصغرين ترك الاستناد.»

2 -طلبة العلوم والآداب: يشترط فيمن يلتحق بهذه المرحلة أن يكون قد مر بالمرحلة الأولى السابقة وحفظ القرآن، وكانت سيرته حسنة وسلوكه جيدا وسمعته طيبة. وهؤلاء يقسمون إلى مجموعات حسب ميلهم واستعدادهم ورغباتهم وكذلك حسب درجة ذكائهم، ولذلك فإنهم لا يعتبرون صنفا واحدا ولا ينظر إليهم على أنهم في مرحلة متساوية.[1]

ومن حيث الدرجة العلمية فأقلهم يسمى أصحاب اللويحات، بينما الأذكياء الذين حصلوا على درجة متقدمة من العلوم كانوا يسمون أصحاب الكتب. إذ يقول الدرجيني[2]:« أما طلبة الأدب فإن اتفق أن يكونوا أصحاب لويحات وصغار في السن فينبغي لهم التأسي بطلبة القرآن

---

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 195.
[3] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص 4.
[4] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 69.
[5] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 179.
[1] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 70.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 180.

في ترك الاستناد، وأما أصحاب الكتب فشأنهم الاستناد إلى أركان المسجد والأبواب وحيث يستحسن. ولهم أن يجتمعوا للبحث والمذاكرة والمناظرة ولابد أن يكون لهم وقت معتاد يكون فيه الميعاد للحضور على الأساتيذ ويؤدب من غاب من التلاميذ.»

3 -العجزة: وهم القاصرون عن الاستمرار في تحصيل العلوم لأسباب ذهنية أو جسمية كأن يكونوا غير قادرين على حفظ القرآن الكريم أو يصاب أحدهم بعاهة.ويسمح لهؤلاء بالاستماع للدروس لعلهم يستفيدون من العلم ما ينير لهم طريقهم ويحفظ لهم دينهم. يصف الدرجيني[3] هؤلاء العجزة فيقول:« وأما العاجزون فأنواع فالله حسيبهم فيعاقبهم أو يثيبهم، فمنهم الطرش والعميان والزمنى والهارمون وذووا الأفهام القاصرة. فهذه الأنواع شأنهم الإصغاء والاستماع ليحصلوا الطرق والأخلاق ويظهروا التلهف والاشتياق وعليهم حفظ السيارات والمحافظة على الطرق والأوقات، وإن أجهدوا أنفسهم وزادوا ظفروا ببعض ما أرادوا. فأما الزمنى والعميان فقد نطق القرآن بعذرهم وأما القاصرو الفهم فمنهم القانط التارك للعلوم، ومنهم من اليأس عنده معدوم وقد شاهدت منهم رجالا فلم أذم أكثرهم حالا.»

د) – طرق التعليم:

من جملة طرق التدريس التي اعتمدها المعلمون لتدريس تلامذتهم نذكر ما يلي:

1 -طريقة التلقين والحفظ:

وتعد أشهر الطرق خاصة في مرحلة الكتاب فهذه الطريقة يعتمد على أن يقوم المعلم بإملاء المعلومات على التلاميذ ويقوم هؤلاء بالكتابة على الألواح ثم يحفظون ما كتبوه ويقومون بعرض ما حفظوه على المعلم. فإذا تأكد من جودة حفظهم أذن لهم بغسل الألواح بالماء ليكتبوا عليها المعلومات الجديدة ويواصل التلميذ على هذا المنوال حتى يحفظ مادة العلم المدرس، فيقوم المعلم بامتحانه فإذا نجح حصل على الإجازة.

2 -الحوار والمناقشة:

[3] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص 181.

تعتبر المناقشة من أهم الوسائل لتعلم فن المناظرة ويدل تطبيق هذه الطريقة على علو مستوى التلاميذ وإشرافهم على إنهاء فترة تكوينهم، ويقدم الدرجيني[1] نموذجا لعلماء الإباضية المشهورين بالمناظرة فيقول:« وكان أبو نوح عالما بفنون المناظرات والرد على أصحاب المقالات. فكانت له في المناظرات أخبار مشهورة وأيام في جميل الذكر مذكورة.»

3 -النصائح والمواعظ:

كانت غالبا ما يقدمها الأساتذة لتلاميذهم في مرحلة نهاية الدراسة أو عند عودتهم إلى بلدانهم وأسلوب المواعظ كان مستعملا أكثر في الدروس العامة.

وقد يتعرض التلاميذ إلى العقاب في حالة التقصير، يقول عوض خليفات[2]:« وتختلف العقوبة طبقا لعمر الطالب والمرحلة الدراسية التي ينتظم فيها وتبعا لعدد الغلطات التي يرتكبها، والمعروف أنـه إن كان صغيرا فالزاوية والجلد. وإن كان كبيرا فالخطة والطرد.»

هـ) – أوقـات الاستراحة والعطـل:

حظي طلبة العلم بوارجلان بعناية من قبل المشرفين على تدريسهم، حيث لم يغفل الشيوخ والمعلمون أوقات وأماكن استراحة طلبتهم. وحددوا لذلك شروطا تعود بالنفع على أخلاق الطلبة.

إذ أن الطالب يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه كامل الأوقات. والمصادر الإباضية توضح بجلاء أن الشيوخ كانوا يشددون على عدم ارتياد الأماكن المشبوهة والأسواق العامة ويؤثرون الاستجمام في الأماكن البعيدة عن المناطق المأهولة والآداب التي يجب على كل طالب التحلي بها.

---

[1] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 1، ص 149.

[2] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 73.

فيأذن المعلم لتلاميذه بالانصراف آخر النهار إلى مواضع المياه والأشجار لما فيها من هدوء وراحة بعد يوم ملئ بالعمل والجد. يقول الدرجيني[1]:« ووقت الراحة والتصرف هو آخر النهار، يتصرف إلى المواضع التي لا ينكر التصرف فيها كمواضع المياه ومواضع الأشجار وأمثالها من الأماكن التي تنفرج فيها النفوس وتنفسح فيها الصدور، فإن في ذلك إجماما للخواطر وجلاء للنواظر، فلا بأس في ذلك ما لم تكن هذه الأماكن معروفة بأن يستقر فيها مصادف الشبهات، والإكثار من التصرف في الطرقات والأسواق يُكره وإن دعت ضرورة ففي طريق نافذ ووقت لا يظن به ريبة.»

وقد يصطحب الشيوخ تلاميذهم الكبار المتقدمين في الدراسة في فصل الربيع إلى البوادي والأماكن الأخرى من أجل الترويح على الطلبة.

أما أوقات العطل الرسمية فهي يوم الجمعة من كل أسبوع ويكتفون يوم الخميس بالدروس والمواعظ. كما تتوقف الدراسة أيام العيدين:الفطر والأضحى ويكتفون بأداء الشعائر الدينية والأدعية وزيارة أهل دعوتهم وأيام الأعياد الدينية الإسلامية الأخرى مثل رأس السنة الهجرية والمولد النبوي الشريف والإسراء والمعراج. وفي شهر رمضان يلازم التلاميذ المسجد ليلا ونهارا وبذلك تتعطل الدراسة اليومية المعتادة.[2]

ونافلة القول أن التعليم بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين تميز بطابع الإلزامية لكل فرد مهما كانت قدرته العقلية أو مستواه ويتميز بالمجانية لكون النفقات التعليمية مضمونة والناس يتسابقون في هذا السبيل والشيوخ متعففون عن الأجر فمصادر المال متعددة كالزكاة والحبوس والأوقاف وهذا ما يفسر لنا ذاك الكم الهائل من العلماء الذين تزخر كتب السير بأسمائهم، كما يجعلنا ندرك مدى نجاح النظام التربوي والتعليمي المنتهج آنذاك.

و) – التأليف:

نشطت بوارجلان حركة التأليف خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ولم تقتصر على التأليف الفردي وحسب، بل ظهر نوع جديد من التأليف الجماعي الذي يندرج في إطار التأليف الموسوعي.

---

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 182.

[2] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 78.

1 -التأليف الفـردي:

فبوارجلان اشتهر أبو العباس أحمد الفرسطائي الذي ألف في آخر حياته خمسا وعشرين كتابا منها: "القسمة وأصول الأرضين" في ثمانية أجزاء وهو كناب في الاقتصاد الزراعي، ومنها "ما لا يسع جهله " في التوحيد. و"السيرة في الدماء والجراحات " وكتاب "الديات" وكتاب " تبيين أفعـال العباد" في ثلاثة أجزاء وكناب "الجنازة" وكتاب "الألواح" وهو كتـاب تركه مدونـا في الألواح قبل وفاتـه (504 هـ) والجامع المعروف بـ " أبي مسألة "[1]

2 -التأليف الجماعي:

منها الموسوعة الفقهية المشهورة بـ "ديوان الأشياخ" المتكونة من اثني عشر جزء ساهم في تأليفها سبعة فقهاء في غار أمجاج بجربة سنة 405 هـ/1014 م، نجد من ضمنهم علماء من وارجلان كأبي عمران موسى بن زكريا من تاجديت بأريغ وأبي عمرو النميلي من آجلو وأبي زكريا يحي بن جرناز من تاجديت أيضا.

وتذكر كتب السير أن أبا زكريا يحي هو الذي تولى نسخ الديوان بخط يده، ويعد هذا الديوان من أقدم الموسوعات الفقهية التي ألفت جماعيا.[1]

ومن ضمن هذه الموسوعات أيضا "ديوان العزابة" الذي ألفه ثمانية من علماء الإباضية بأريـغ، وهو يقع في خمس وعشرين كتابا. ومـن هؤلاء العلماء: يوسـف بن عمران من تاجديت وإبراهيم بن مطكوداسن الدجمي مـن أريغ وأبي سليمـان اليرتاجني من وارجلان، وأبي يعقوب يوسف بن سهلون، وأبي العباس أحمد الفرسطائي من وارجلان.[2]

ز) – مجـالات التأليـف:

1- العلـوم النقليـة:

التفسيـر:

يشكل القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي وإليه يرجع إصدار الأحكام. فكان العرب وقد نزل القرآن بلغتهم يرجعون إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تفسير الآيات التي

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 268.
[1] معجم مصطلحات الإباضية، ج 2، ص 777.
[2] معجم مصطلحات الإباضية، ج 2، ص 393.

أشكلت عليهم، وشيئا فشيئا تفرغ بعضهم لهذا واهتم بتفسير الألفاظ والكلمات والمعاني والآيات، فعرفوا بالمفسرين لكتاب الله.

ويرى بحاز إبراهيم[3] أنه:« إذا كان العرب قد احتاجوا إلى من يفسر لهم القرآن، فإن البربر من باب أولى. وعلى ما يبدو، كانت حلقات الوعظ والتدريس ومجالسها لا تخلو من شرح لألفاظ القرآن وتفسير لآياته. خاصة منها الآيات المتعلقة بالأحكام ذات الممارسة اليومية كالصلاة ،الصيام ،الزكاة والحج وغيرها.»

ولذلك ارتبط التفسير عندهم ارتباطا مباشرا بالترجمة ولم ينفصل عنه إلا بعد انتشار اللغة العربية في أوساط البربر، ومع ذلك فقد استمر سكان الجبال وقبائل الصحراء في التحدث بالبربرية وانتشر حينئذ التفسير الشفوي للقرآن ويتم عادة في المساجد وفي

الحلقات العامة والخاصة وكثيرا ما يستعان عليه بالبربرية.[1] ولعل أشهر مفسري القرآن خلال القرن الخامس الهجري العالم أبو يعقوب يوسف الوارجلاني الذي وصفه الدرجيني[2] بقوله:« له في كل جو متنفس ومن كل نار مقتبس وهذا الشيخ له يد في علم القرآن.» حيث ترك تفسيرا للقرآن في سبعين جزءا.[3]

علم الحديث:

لم تشر المصادر التاريخية إلى إنجازات في علم الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، فقد ظل مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي العماني وديوان جابر بن زيد الأزدي ومدونة أبي غانم الخراساني معتمد الإباضية في هذا العلم ومما ورد عن الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب [4] ما ذكره أبو يعقوب يوسف الوارجلاني حيث يقول عنه:« اعلم أن هذا المسند الشريف أصح كتب الحديث رواية وأعلاها سندا وجميع رجاله مشهورون بالعلم والورع والضبط والأمانة والعدالة والصيانة كلهم أئمة في الدين وقادة

[3] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 298.
[1] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 164.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 313.
[3] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 185.
[4] الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح، تح، أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 3.

للمهتدين... فجميع ما تضمنه الكتاب صحيح باتفاق أهل الدعوة وهو أصح كتاب من بعد القرآن العزيز ويليه في الرتبة الصحاح من كتب الحديث.»

كما حظي علم الحديث بمكانة هامة لدى العلماء المالكية، فكانت النظرة إلى عالم الحديث نظرة إجلال واحترام وأشهر كتب الحديث:

1 -صحيح البخاري.

2 -صحيح مسلم.

3 -سنن أبي داوود.

4 -جامع الترمذي.

الفقـه:

هو معرفة الحلال والحرام بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المتكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه.[1]

ويرى رابح بونار[2] أن:« الفقه الإسلامي هو الدستور لسياسة الدولة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي عهد خلفائه الراشدين وروح حياة الأمة، به تدبر المملكة وتصان الحقوق، فكانت مكانته في هذا العهد أعظم مما عليه الحقوق عند الأمم المتمدنة الآن، وكان الفقهاء أصحاب الشورى وبيدهم التدبير وزمام الأمور، وكانت نصوص الشريعة غضة لم تدخلها كثرة التأويلات ولما انقرض عصر الصحابة، أصبح المجتمع الإسلامي منقسما إلى شيعة وخوارج وأهل سنة، حدثت تيارات مختلفة في الفقه تبعا للاختلاف السياسي فهناك فقهاء سنيون وفقهاء خوارج وفقهاء شيعة...»

ففي الفقه الإباضي اعتبر الإمام جابر بن زيد أهم شخصية كونه حلقة وصل بين الصحابة والتابعين وأصبح قاعدة المذهب.[3]

---

[1] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص ص 310-311

[2] رابح بونار: المرجع السابق، ص ص 253-254.

[3] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 171.

أما الفقه المالكي فقد ظل الموطأ الذي ألفه الإمام مالك أداة تقارب بين أصحاب المذاهب وقد جمع فيه الإمام بين الفقه والحديث ورتبه على أبواب الفقه فأحسن ترتيبه وتبويبه وتكلم فيه عن بعض أحوال الفقه.[4]

2 -العلـوم العقليـة:

أ) – المناظـرات (علم الكلام):

أطلق على المشتغلين بهذا العلم اسم المتكلمين الذين كانوا أكثر اهتماما بالعقائد الدينية والذين كـان هدفهم حفـظ عقيدة أهل السنة وحراستها عـن تشويش أهل البدع معتمدين في

ذلك على المنطق اليوناني، الذي اقتبسوه عن اليونان في نهاية القرن الثاني الهجري.[1]

ويرى بحاز إبراهيم[2] أن:« هذه الخلافات كلها كانت تصدر عن الإباضية ذاتها، بحيث أن تلك الفـرق انشقت عن الإباضية الأم التي احتفظت لنفسـها باسم الوهبية نسبـة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن. وقد كانت انشقاقاتها كلها تقريبا لأسباب فقهية في الظاهر وسياسية اجتماعية في الأساس. وكان العامل المشترك بينهم والذي يشكل محور الجدل والخلاف هو مسألة الإمامة.»

وقد كانت المناظرات تعقد بين المتكلمين في المساجد وحتى الساحات العامة وتطور هذا العلم ليصبح وسيلة الفرق للدفاع عن أفكارها وعقائدها وشملت هذه المناظرات مختلف المذاهب كالمذهب الحنفي والمالكي والمعتزلي وقد تنتهي أحيانا إلى نزاعات. يقول الدرجيني[3]:« بلغنا أن رجلا من أهل الدعوة ناظر رجلا نكاريا، فجرت بينهما مكالمة أفضت إلى ملاكمة.»

ب)- الأدب العـربي:

---

[4] رابح بونار: المرجع السابق، ص 254.
[1] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 175.
[2] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 330.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 151.

أطلعتنا كتب السير عن هجرة بعض التلاميذ من وارجلان إلى تونس لنهل العلوم من مواردها الأصلية، حيث اشتهرت القيروان بعلمائها في مختلف الفنون، فكثر إليها الوافدون من شتى الجهات.

ذكر الدرجيني[4] أن:« أبا عمار عبد الكافي لما عزم على طلب العلوم، رأى أن أهم ما يقدمه إصلاح اللسان فهاجر إلى تونس فأقام فيها أعواما يدرس الليل والنهار والذي توخاه في قصده تونس أن ينقطع عن اللسان البربري بالبعد عمن يخاطبه به والتدرب على لسان العربية.»

ولعل من أبرز علماء وارجلان الذين نبغوا في الأدب العربي خاصة الشعر منه أبو يعقوب يوسف الوارجلاني صاحب الرحلة الحجازية وقصيدة يرثي فيها شيخه أبا سليمان أيوب بن إسماعيل يوم مات[1] وهذه أبيات منها:

أيوب ما أيوب، لا أيوب أودى به قدر الردى المجلوب
حكمت عليه يد المنية حكمها قبل الممات ولوحته خطوب
فتكت به أمراضُه وتنحلت أوصاله، لم يشف منه طبيب
قد كان ذكرى للعباد ورحمة للعالمين وإنه لمنيب
بكت السموات العلا ونجومها حزنا عليه والفلا والروب
واستوحشت منه المساجد كلها لما خلت منه وحن النيب
رجل أتاه الله رَبي بسطة في العلم والجسم الكريم لبيب
لله عبد خالص، متخَشع متهلل متهجد متعوب
طاب الثناء به فطاب رثاؤه والمدح والتأبين والتقريب
إن غبت عن أبصارنا وسماعنا فلم تحجبك عن القلوب غيوب

- ويبدو من خلال ما سبق – أن العلوم النقلية شغلت اهتمام العلماء بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(11و12م)، مشتملة على علوم الفقه والتفسير أكثر من غيرها من العلوم. وظهر ذلك جليا من خلال المصادر القديمة وكتب السير التي لم تشر إلا

[4] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 306.
الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص ص 286-287.

إشارات وجيزة إلى إنجازات في فن أدبي وآخر، فكان منسوب العلوم العقلية قليلا إذا ما قرن بالعلوم الأخرى.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

الفصل الثالث

III)– الحياة الاجتماعية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(11 و12م):

المبحث الأول: مدن وقرى وارجلان.

المبحث الثاني: الأسرة وعناصر المجتمع الوارجلاني.

المبحث الثالث: الطبقات الاجتماعية.

المبحث الرابع: العادات والتقاليد.

المبحث الأول:

ا)- مدن وقرى وارجلان:

اقتصرت المصادر التاريخية في ذكرها لقرى وارجلان على العلماء والإشادة بإنجازاتهم العلمية، لكنها أغفلت جانب العمارة إلا اليسير منها، رغم أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران على حد تعبير العلامة ابن خلدون.[1]

أحصى الشيخ إبراهيم أعزام[2]:«مائة وخمسة وعشرين بلدة بوارجلان بسط الله عليهم الأرزاق وأودية من المياه وفي هاته الحوزة ألف وإحدى وخمسون عينا جارية.»

وسنحاول في هذا البحث التطرق إلى أبرز هذه المدن وما جادت به من حضارة وعمران واتساع أحوال أهلها.

1 -آجلو:

تين باماطوس، آجلو الغربي، آجلو الشرقي تكاد هذه الأسماء تشكل مدينة واحدة، حيث تداخلت حسب ذكر الحقائق عنها.[3]

لقد اهتمت المصادر التاريخية بهذه العاصمة الثقافية اهتماما كبيرا، لقد كان فضلها على المنطقة والمناطق المجاورة مثل وارجلان وبادية بني مصعب كبيرا.

وحسب عبد القادر موهوبي[4] فإن:« تينسلي اسم لبلدة قديمة، انتقل اسمها من تينسلي إلى جلالة في القرن السابع الهجري إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري، ثم إلى بليدة عمر ثم إلى بلدة عمر المعروفة حاليا – جنوب مدينة تقرت مسافة عشرين كلم – كانت محطة للعلماء الصالحين وأول من مر بها في القرن الرابع الهجري أبو عبد الله محمد بن بكر وهو من كبار العلماء الإباضيين المدرسين بها.»

---

(1) ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمــة، دار القلم، بيروت، لبنان، 1409 هـ/1989 م، ص 302.
(2) إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 25.
(3) الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 71.
(4) موهوبي عبد القادر: المرجع السابق، ص 40.

وربما نسبت إلى القبيلة يقول أبو زكريا يحي بن أبي بكر[1]:« وعند ذلك انتقل الشيخ أبو عبد الله وتلاميذه إلى بني يسلي، وكانوا يكابدون مؤونة العيش لأنفسهم، واجتهدوا غاية الاجتهاد في عزمهم.»

ويصفها علي يحي معمر[2] فيقول:« مدينة كانت تقع قرب البلدة التي تسمى اليوم "بلدة عمر" اشتهرت بالصلاح حتى تسمت ببلدة الصالحين، وبلغت شهرة في العلم والعمل لم تبلغها أية مدينة أخرى قريبة منها ومعاصرة لها.

بلغت من شهرتها في الصلاح والفضيلة والنظام مبلغا، يسر للخيال أن يضيف إليها بعض الخيوط وللخرافة أن تجد مدخلا بين الحقائق ووصفت بما وصفت به المدينة الفاضلة من حياة قويمة بحياة الفرد والمجتمع، و أصبحت بذلك مأزرا وملجأ لرجل العلم.»

ويبدو أن آجلو كانت مدينة آمنة مستقرة، مما دفع بالعديد من العلماء وغيرهم إلى اللجوء إليها والاحتماء بها. فكان يلجأ إليها كل من يخشى الفتنة، فيفر إليها ليعيش هناك آمنا مطمئنا، في جو كله دين وخلق وعلم وعمل صالح، لا تجد إليه السياسة طريقا ولا البدعة مدخلا ولا مكائد الناس والشيطان مروجا. وكان كثير ممن يعيش في البلاد المضطربة يعد العدة للهجرة إليها ويوصي بنيه بذلك، لأنها في نظرهم وفي الواقع تمثل موطن السلامة في الدين.[3]

آجلو مدينة علم وعبادة:

تعد آجلو مركزا علميا واسع النطاق ومنها امتد نور المعرفة والعلم إلى كثير من البلاد، وتخرج فيها عدد غير قليل من العلماء الإعلام. وكان العباد والزهاد والصلحاء يؤمنوها للعبادة فيقضون فيها أوقاتا ممتعة في منجاة الله ثم يعودون إلى قراهم وأحيائهم.

---

[1] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص ص 174-175.
[2] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 365.
[3] علي يحي معمر: المرجع نفسه، ج 2، ص 364.

ولعل من صيرها كعبة القصاد هو ذلك الطود العالم الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (345-440 هـ) إذ وصفه الدرجيني[1] بقوله:« الطود الذي تضاءلت دونه الأطواد والبحر الذي لا تقاس به الثماد... أسس قواعد السيرة وله في كل فن تآليف كثيرة.»

فبهذه المدينة وضع الشيخ أبوعبد الله محمد بن بكر أسس أهم تنظيم اجتماعي إباضي المسمى "حلقة العزابة " سنة 409 هـ.

ويبدو من رواية الدرجيني[2] أن آجلو كانت مستقر المشايخ إذ يقول: « ذكروا أن رجلا ممن ينسب إلى الديانة كان لابنه عليه دَين. فماطله فدعاه إلى المشايخ بـ "أجلو" وفيهم يحي ابن ويجمن وغيره من جماعة عزابة أجلو، فجبروا الأب على الدفع وحبسوه وجعلوه في الخطة، وأعلموه أنه لا يبرح حتى يقضي دين ابنه أو يسرح الابن سبيله. فسمع بذلك ماكسن ابن الخير، وقدم من تينوال إلى مشايخ أجلو، فقال لهم: علام يحبس الأب في مال ابنه؟ فقال له أبو زكرياء يحي بن ويجمن: قد حكم بذلك أبو عبد الله بن بكر بـ "وغلانة" وحكم بها هنا في "أجلو" ونحن نحكم بها فلا يخرج من تلك الخطة حتى يؤدي ما عليه.»

ومن شيوخ آجلو أبو القاسم يونس بن أبي وزجون الذي هيأ لأبي عبد الله محمد ابن بكر الغار والمدرسة حتى يعقد فيها أول حلقة للعزابة. وأبو العباس أحمد بن محمد ابن بكر المتوفى 504 هـ بآجلو.[3]

ومن جملة علمائها أيضا ذكر علي يحي معمر[4]:« العالم الصالح معاذ بن أبي علي سكن أول أمره في قصر بني وليل الواقع جنوب وادي أريغ ولكنه كان يجشم نفسه مشقة السفر مرة في كل أسبوع، فكان يحضر إلى آجلو مساء كل خميس ويبيت ليلة الجمعة مع العلماء والصالحين، يحيون ليلتهم بأنواع مختلفة من العبادة كالصلاة وتلاوة القرآن ومذاكرة فنون العلم، ويقضي صبيحة اليوم معهم مفيدا ومستفيدا، حتى إذا صلى الظهر وحضر دروس الوعظ التي يلقيها أكابر العلماء هناك ثم صلى العصر انصرف راجعا إلى قريته قصر بني وليل. ولما أرهقه التعب وأضناه السفر ونالت منه المشقة ورأى أن الاستفادة

---

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 197.
[2] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 240.
[3] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 72.
[4] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص ص 365-366.

مقصورة عليه ولا ينال أفراد أسرته الآخرين فكر في الانتقال، وهكذا أخذ معاذ أفراد أسرته، وانتقل إلى آجلو واستقر بها بين أهلها الكرام.»

ويلخص الشماخي[1] صفات ومناقب هذا العالم في قوله: « والشيخ معاذ رجل صالح زاهد، نقي القلب، ذو نية.»

2 -أريــغ:

تعد أريغ وما جاورها مثل وارجلان وأسوف والجريد من المناطق التي شهدت حركة علمية وحضــارة إسلامية متميزة منـذ اعتناقها الدين الإسلامي الحنيف، وامتهانها تجارة الذهب إلى غرب السودان، مما أضفى على المنطقة حُلل الرفاهية والثراء والازدهار.

أصـل التسميـة:

تنسب المنطقة إلى قبيلة بني ريغة، وبنو ريغة يتصل نسبهم ببني مغراوة مثل قبيلة بني يفرن وبني واسين وجدهم الأول الديرت بن جانا أي جاناتن، أي زناتة.[2]

وذهب بعضهم إلى أن ريغ يقصد بها بالبربرية السبخة، فكل من كان منها فهو ريغي وقيل هي بطن من مغـراوة مثل بني سنجاسن والأغواط... ونزل الكثيـر منهم وبني قصور الزاب ووارکلا، فاختطوا قرى كثيرة في واد ينحدر من الغرب إلى الشرق.[3]

وحسب رأي عبد القادر موهوبي[4]:« لا يوجد أثر عمراني لفروع قبيلة مغراوة بنو أريغ لطبيعة بداوتهم التي يعيشون عليها، فهم بدو ومتجولون.»

أريـغ طبيعيـا:

---

[1] الشماخي: المصدر السابق، ص 407.
[2] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 70.
[3] الوسياني: المصدر نفسه، ج 1، ص 71.
[4] موهوبي عبد القادر: المرجع السابق، ص 27.

تمتد مدينة ريغ على طول ضفاف وادٍ يقع في منخفض مستطيل طوله تقريبا 145 كلم وعرضه 20 كلم ويشمل هذا الوادي مدنا وقرى كثيرة، يحده شمالا إقليم الزاب وهو منطقة رمال وواحات.

تنساب مياه وادي أريغ تحت الأرض وتعد مياهه المصدر الذي تسقى به الفلاحة تربته تختلف من منطقة لأخرى وحتى المنتجات مذاقها يتغير من جهة إلى أخرى.[1]

المنطقة عبارة عن سبخة، مناخها صحراوي كبقية الأقاليم الصحراوية قاري جاف وبارد شتاء وحار صيفا. جوه غير منعش لا يساعد على النشاط الكثير صيفا. كما أن معظم المياه التي يستعملها السكان يوميا تعتبر مالحة وغير صالحة لشدة ملوحتها. يقول الدرجيني[2]:« ... فإنه علم ما في بلاد ريغ من رداءة الهواء وقلة طيب الماء.»

ترتفع درجة الحرارة صيفا وتهب على المنطقة رياح رملية في فصلي الربيع والخريف. وإقليم وادي ريغ لا يحتاج إلى أمطار لأن أغلبها يذهب إلى الشطوط ولا يستفاد منها، لهذا يعتمد الفلاحون على العيون والآبار لسقي الفلاحة وبساتين النخيل.

لقد تعرضت المنطقة عبر التاريخ إلى فيضانات كبيرة، أتت على الأخضر واليابس كما أن معظم الأمطار التي كانت تسقط في فصل الخريف تهلك محصول التمر الذي لم ينضج بعد.[3]

سكان أريغ:

إن أغلبية سكان وادي أريغ عصرئذ كانت تعتمد الحل والترحال في الصحراء للبحث عن الأراضي الرعوية والمياه، يقول عبد القادر موهوبي[4] :« مغراوة أوسع بطون زناتة، وزناتة قبيلة تعتمد على الترحال، كانت تجوب إقليم وادي أريغ ووركلا ولم تترك عمرانا أو آثارا إلا بعد القرن الخامس والسادس الهجريين.»

وفي السياق نفسه يقول ابن عميرة محمد[1]:«عدم إشارة الكتاب القدماء إلى غابات النخيل الموجودة بوادي أريغ جنوب بسكرة، وعدم وجود أي أثر لها في المخلفات الرومانية،

---

[1] موهوبي عبد القادر: المرجع نفسه، ص 25.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 184.
[3] موهوبي عبد القادر: المرجع السابق، ص 26.
[4] موهوبي عبد القادر: المرجع نفسه، ص ص31-32.
[1] ابن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 27.

بينما توجد تفاصيل دقيقة، في كتب التاريخ العربية تنطلق بغابات نخيل القرارة كل هذا يدفع إلى الاعتقاد بأن مؤسسي هذه الغابات جاؤوا مهاجرين من الشرق، ومن المؤكد أن الصحراء في شكلها الحالي صحراء الرحالة الكبار من السلالة البيضاء، تكونت تدريجيا خلال القرون الوسطى والحديثة منذ اللحظة التي ظهر فيها الجمل الذي استطاع أن يجعلها سهلة المرور والاستغلال.»

سكنت وادي ريغ طوائف كثيرة من أمازيغ وعرب هلاليين، وهي المنطقة الثانية في الجنوب سكانا بعد وادي مية. اشتغل أهلها الفلاحة والصيد ومرافقة القوافل محاربين وعيونا وغزاة.[2]

وعن أخلاق أهل وسكان ريغ يقول الوسياني[3]:« وقد امتاز أهلها بأخلاقهم الحسنة وترى ذلك جليا في شهادة أبي عبد الله محمد بن بكر (ت: 440 هـ/1048 م)، وكانت سببا في حلوله بينهم، إذ قال بعد أن استخار الله واستشار أصحابه: إن هاهنا ناسا رقاق القلوب، أرجو أن ينتجع فيهم الإسلام ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول، ويكونوا لهذا الخير أهلا، وهم مغراوة ريغ، فما رأيكم في الانتقال إلى جهتهم؟.

قالوا: في رأيك اليمن والبركة، فسروا بذلك سرورا عظيما واغتبطوا أي غبطة.»

علمـاء ريـغ:

نشطت في ريغ الحركة العلمية منذ بداية القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) لينتقل إليها مركز الدعوة في بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) مع قدوم الشيخ عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي. واشتهرت ريغ بحلقاتها العلمية كحلقة أبي زكريا يحي ابن ويجمن الهواري وحلقة تلميذه أبي محمد العاصي وحلقة أبي نوح سعيد المدوني.

- ومن شيوخ ريغ ذكر الوسياني[1]:« أبا محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن ميال اللواتي (432 528 هـ)، حيث نزل من البادية التي كان يرعى الغنم فيها إلى بلاد ريغ وعمره ثماني عشرة سنة والتحق بحلقة يزيد بن يخلف الزواغي، فاستطاع في وقت وجيز بذكائه الحاد وحافظته القوية أن يبز أقرانه ويتفوق عليهم.»

---

[2] حاجي عبد الرحمان: المرجع السابق، ج 1، ص 206.

[3] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 70.

[1] الوسياني: المصدر نفسه، ج 1، ص 127.

ومن مشائخها أيضا الشيخ أبي عبد الله محمد بن داوود (ت: رمضان 555 هـ) أصله من تونين بوادي أريغ، ألف كتابا في السير والتاريخ، قال فيه الدرجيني[2]:« بحر العلم والسماح وعماد أهل التقوى والصلاح.»

واعتبرت ريغ من أهم المراكز التي احتوت على خزائن المخطوطات، فقد ذكرت كتب السير أن إبراهيم بن مطكودسن (471 هـ/1078 م) ترك مكتبة عظيمة عند وفاته بريغ أوصى بها لتلميذه أحمد بن محمد بن أبي بكر.

وبأريغ تم تأليف الموسوعة الفقهية المعروفة بـ « ديوان الأشياخ » مؤلفة من إثني عشر جزءا في سنة 405 هـ/1014 م.

غير أن عوادي الزمن من هجمات بشرية وتغير الطبيعة إلى الجفاف والتصحر جعلاها تدخل في زاوية النسيان ومن ذكر هذه المنطقة فكأنما ذكر الفيافي والقفار لعدم ثباتها أمام بريق العواصم الاسلامية الكبرى والمراكز الحضارية المشهورة.

هذا الواقع يلخصه عبد القادر موهوبي[3] في قوله:« تعرضت ريغ إلى ضربات أهلكت الحرث والنسل وفي كل مرة تتعرض إلى التدمير والخراب إلا وجب عليها دفع ضرائب وغرامات باهضة مكلفة لكاهل سكان ريغ مقابل أمنهم وعيشهم بسلام، اختصر هذه النكبات فيما يلي:

1 -ثورة صاحب الحمار " بن كيداد ".

2 -اجتياح الهلاليين للمنطقة.

3 -هجوم الحماديين سنة 460 هـ. »

3 -تقرت:

نشأتـها: عن نشأة مدينة تقرت يقول حسن الوزان (ليون الإفريقي)[1] :« تقرت مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء، يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في أبواب المدن، وهي مسورة بسور من الطوب والطين، ما عدا من جهة الجبل

---

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 328.

[3] موهوبي عبد القادر: المرجع السابق، ص 40.

[1] حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 135.

فإن صخوره تحميها. وتقع هذه المدينة على بعد نحو خمسمائة ميل جنوب البحر المتوسط و ثلاثمائة ميل من تيكورارين.»

ويتضح من ذلك أن مدينة تقرت مدينة عريقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ (القرن الثالث قبل الميلاد)[2] وقد تحكمت الظروف السياسية عصرئذ في تأسيسها بحيث يتميز هذا الموقع بحصانته من جهة وأهميته من جهة أخرى، ويتجلى ذلك في وفرة الماء مصدر الحياة ومنبعها، وجبل كحصن منيع ضد الغزاة.

وعن موقعها يقول توفيق المدني[3]: « أرض تقرت جنوب قسنطينة، تشمل عدة واحات بديعة، تستمر إلى واد أريغ ووادي سوف ووادي إغرغار. وتقرت هي أجمل هذه الواحات وأبدعـها.»

سكـان تقـرت:

قدر حسن الوزان[4] أنه:« في تقرت نحو ألفين وخمسمائة كانون، دورها مبنية بالآجر المشوي والنيئ حاشا الجامع فإنه وحده مبني بالحجر المنحوت الجميل. وهي عامرة بالصناع والنبلاء الأغنياء الذين يملكون حدائق النخيل، لكن القمح منعدم فيها، ويستورد من قسنطينة في مقابل التمر. ويحب أهل تقرت الغرباء جداً و يستضيفونهم في بيوتهم بالمجان ويقدمون أيضا هدايا هامة إلى الغرباء، ولو كـانوا يظنون أنهم لن يعودوا إليهم أبداً وذلك لفرط كرمهم.

وتوجد حول تقـرت عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة. وكلها خاضعة لأمير تقرت الذي أصبح يجبي منها مائة وثلاثين ألف مثقال.»

ويرى عبد القادر موهوبي[1] أن:« أغلب سكان تقرت إنما وفدوا إلى تلك البلاد إما من وادي ميزاب أومن وارجلان وقد يوجد أفراد من جربة.»

وعلى ضوء ذلك، يبدو أن سكان تقرت كانوا قوماً مياسير، يعيشون في رفاهية بفضل الكد والجد، معتمدين في ذلك على الفلاحـة كمورد اقتصادي أساسي لاسيما زراعة النخيل ومن صفاتهم وأخلاقهم إكرام الضيف وعابر السبيل.

علمـاء تقـرت:

---

[2] الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج1،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1994م، ص 57.
[3] توفيق المدني: المرجع السابق، ص 241.
[4] حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص ص 135-136.
[1] موهوبي عبد القادر: المرجع السابق، ص 38.

- شهدت المنطقة ازدهارا علميا قويا بفضل علمائها البارزين الذين ساهموا في تأسيس حلق العلم أبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن المعلى* الذي أسس حلقة العلم في مدينة تقرت يصنفه الدرجيني[2] ضمن علماء ومشايخ الطبقة الحادية عشرة (500 550 هـ) ويقول عنه:« منهم عبد الرحمن بن معلى - رحمه الله ورضي عنه– ذو المقامات الكريمة والكرامات العظيمة، أول من أسس بمسجد تقورت الحلقة وأنهج طريقها وأحكم عقودها وأوثقها وقيدها ووقتها، وحجر على تلامذتها أزقتها وقسط موازينها، وحقق قوانينها فتخلق كلهم بحميد هذه الأخلاق، وتيممها طلاب الخير من جميع الآفاق، يشاهدون البراهين والعبر يشهدون المنافع الكبر.» وبتأسيس هذه الحلقة، يكون الشيخ عبد الرحمن بن معلى قد أنار الطريق لطلاب العلم وجعل من تقرت قبلة لهم للتزود من منابع العلم الصافية.

ومن مشايخ منطقة تقرت الذين ذكروا في كتب السير، نذكر أبا عبد الله محمد بن الخير ابن أحمد (ق 5 هـ)، أخذ العلم في كدية مغراوة وكـان من تلامذة أبي عبد اللـه محمد ابن بكر وقد اهتم إلى جانب العلم بالفلاحة واستصلح أرضا بـ " تلا عيسى" أوعين الماء كما أنه أم الناس فصلى بهم حتى بلغ به السن مبلغا متقدماً.[3]

4- تاجديت:

تحدث كثير من المؤرخين عن هذه المدينة التي كانت في يوم من الأيام عاصمة من عواصم العلم ومركزا من مراكز الثقافة الإسلامية تشد إليها الرحال.

وكلمة "تاجديت" تعني بالبربرية: الجديدة. توجد هذه المدينة قرب مدينة جامعة ويرجح أن التسمية "تاجديت" كانت تيمنا ومقابلة لكلمة " تاقدمت" تاهرت القديمة.[1]

ويبدو أن الإباضية حينما فروا من بطش العبيديين، أطلقوا هذا الاسم على هذه المدينة لتقوم بالدور البديل لتاهرت وأملا في إعادة إحياء مجدهم بالجنوب.

وحسب على يحي معمر[2] فإن :« تاجديت كانت مدينة كبيرة وكانت لها شهرة عالية في العلم والعمران والنظام العجيب. لما بلغته من ازدهار وتألق أنوار. وقد قصت علينا السير ما يدهش ويبهر.

* عبد الرحمن بن المعلى: يبدو أنه من مشايخ أريغ، كان شيخا عالما تقيا يعتقد أنه المؤسس الأول لحلقة العزابة بمسجد أريغ. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج 3، ص 514.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 281.

[3] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 75.

[1] الوسياني: المصدر نفسه، ج 1، ص 74.

كانت تاجديت خاصة بسكنى العلماء، لذلك فقد كان يبدو عليها الجمال والنظام والنظافة، كانت مساجدها ومدارسها عامرة باستمرار، وكانت تشبه أن تكون مركزاً لمناطق واسعة آهلة بالسكان، يرجعون إليها في أوقات الصلوات وربما كانت أيضا مركزًا تجاريا عامرا بالأسواق.»

ويبدو أن مدينة تاجديت كانت آهلة بالسكان وجاذبة لهم لما تتمتع به من أمن واستقرار ونهضة عمرانية ونظافة أحيائها حيث يقول علي يحي معمر[3]:« وقد اعتاد سكان ضواحيها أن يأتوا إليها راكبين فيربطون دوابهم قريبا من المسجد، فإذا استوت الصفوف وكبرت الجماعة تكبيرة الإحرام، نفرت الدواب بسبب الدوي القوي الذي يحدثه تكبير العدد الضخم من المصلين.»

ولعل رواية الوسياني[4] تؤكد مدى نظافة تاجديت إذ يقول:« أن عاملا لصنهاجة جاز بتاجديت زمان الحلقة، فلما رأى كثرة العزاب يقول: يدنسون وجه الأرض ويقشبونها ويسمدونها ويدمنونها، فدار حواليهم ولم ير شيئا مما تكره العين وما تعافه النفس وما يطسأ منه القلب. فهز في يده كالشهاب فقال: والله ما يخاف الإنسان إلا من هذا – أي السوط – أو من الله. فلم يفعل هذا إلا خوف الله.»

هذه الصورة التي عرضها الوسياني وهذه الملاحظة الدقيقة التي لا حظها العامل الصنهاجي، إنما تدل على شيء واحد هو أن سكان هذه المدينة رغم كثرتهم وضيق مدينتهم، كانوا يتأدبون بأدب الإسلام من المحافظة على النظافة والطهارة ظاهرا وباطنا في أنفسهم وفي موطنهم بحرص واهتمام.

وفي هذا الصدد يقول علي يحي معمر[1] :« إنه لغريب حقا أن تجول في مدينة أو قرية غاصة بالسكان في القرن الخامس الهجري، وتجول في شوارعها وحواليها فلا تقع عينك على قذر تشمئز منه نفسك وينفر منه طبعك.»

علماء تاجديت:

---

[2] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 371.
[3] علي يحي معمر: المرجع نفسه، ج 2، ص 372.
[4] الوسياني: المصدر السابق، ج 2، ص 663.
[1] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 373.

تاجديت مدينة علمية تزخر بالعلماء والطلاب والمعاهد، فقد كان الطلاب فيها يعدون بالمئات ويصنفون إلى أصناف حسب مواهبهم واتجاهاتهم ورغباتهم في التخصص تجد منهم من يستعمل التفكير ويعتمد عليه فيميل إلى كثرة الدراسة وسعة الاطلاع ويتناقش ويتنافس هذا الصنف في عدد من الكتب التي يدرسها كل واحد منهم ومقدار التحصيل الذي بلغ إليه بجده واجتهاده. وتجد منهم من يميل إلى الحفظ والاستظهار ويتنافس ويتناقش هذا الصنف في عدد الكتب التي يحفظونها ويستظهرونها عن ظهر قلب.[2]

ومن علماء تاجديت ذكر الدرجيني[3]:« أبا عمران موسى بن زكريا الذي عرف بعلم الفروع .»

وذكر علي يحي معمر[4] أن:« أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن شاكر الفطناسي المزاتي اجتمع حوله مائة عالم يشار إليهم بالبنان وكانت قبيلته قليلة العدد بها إثنا عشر مسجدا كلها عامرة بالآذان والجماعات والمجالس: أي مجالس العلم.

عاش هذا العالم الكبير في القرن الخامس الهجري، كان من أولئك العلماء الأشداء في دين الله القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعرفون المسايرة في دين الله يقفون مع الحق حيث وقف ويصدعون بآرائهم لا يبالون رضي الناس أم سخطوا، فإذا تبين لهم خطأ في قولهم أو عملهم لم يتمادوا في الضلال، وسارعوا إلى التوبة ورجعوا عن الخطأ إلى الصواب.»

ومن مشائخها أيضا محمد بن عيسى بن إبراهيم الهواري(ق 5 هـ/11 م) والعالمة مغريت بنت يعلو مع أخيها والشيخ بن يعقوب بن تيمال (ق 5 هـ/11 م) الذي أخذ العلم عن الشيخ ورسفلاس بن مهدي.[1]

---

[2] علي يحي معمر: المرجع نفسه، ج 2، ص 372.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 170.
[4] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص ص 373-374.
[1] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 74.

4 ـ سدراتـة:

تعد سدراتة إحدى مدن إقليم وارجلان الشهيرة بحضارتها وتراثها الإسلامي الأصيل تقع حسب مارغريت فان برشام (Marguerite van Berchem)[2] :« على بعد 800 كلم من مدينة الجزائر و14 كلم جنوب واحة ورقلة.»

بينما ترى مادلين روفيلوا[3] أن: « سدراتة تبعد عن وركلا بـ 7 كلم، يحيط بها عرق رملي صغير، وأن آثار هذه المدينة كانت باقية إلى نهاية القرن 19 م.»

تأسيسـها:

غير أن الباحث يقع أمام إشكالية حينما يتعلق الأمر بتاريخ تأسيس هذه المدينة ونسبها حيث يرى بعض المؤرخين أنها تنسب إلى قبيلة سدراتة مثل وارجلان التي تنتسب إلى بني وركلا.

وفي هذا الصدد يقول إبراهيم أعزام[1]:« بلاد سدراتة منسوب إلى شعب من شعوب البربر من بطون زناتة، وهي بلاد كثيرة يسكنها معتنقو المذهب الإباضي قديما.»

ويرى شعباني صلاح الدين[2]أن:« سدراتة اسم لقبيلة بربرية من بطون لواتة ومصطلح سدراتة يطلق على القبيلة النفوسية ومنها عاصم السدراتي* وبهذا فهو اسم للقبيلة التي كانت تستوطن بسكرة رفقة قبيلة مغراوة.»

---

(2) Marguerite van Berchem : Sedrata, un chapitre nouveau de L'histoire de L'art Musulman compagnes de 1951 et 1952, ars orientalis, vol 1, 1954, p 157.

(3) Madeleine Rouvillois Brigol : op.cit, p 16.

(1) إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 5.

(2) شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 43.

* عاصم السدراتي (ت 141 هـ/758 م): من أئمة المغرب ومشاهير علمائه، قيل: أصله من قبيلـة سدراتة _وهو أحد حملة العلم الخمسة الذين سافروا من المغرب للتعلم على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة ومكثوا عنده خمس سنوات من (135 هـ إلى 140 هـ)،أسهم في إقامة إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بطرابلس سنة 140 هـ/757 م. ينظر: معجم أعلام الإباضيـة، ج 3، ص 499 وما بعدها.

والبكري[3] يؤكد ذلك بقوله:« بسكرة كورة فيها مدن كثيرة، وهي مدينة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار وفيها أجناس من التمور وحولها من قبايل البربر سدراتة وبنو مغراوة.»

ويبدو من خلال النصوص التاريخية أن قبيلة سدراتة كانت موزعة على مناطق المغرب الإسلامي حيث يذكر شعباني صلاح الدين [4] أن:« هذه القبيلة ساندت إدريس عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمغرب الأقصى خلال القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي).»

إلا أن المؤرخين اختلفوا حول تاريخ تأسيس مدينة سدراتة، ففي الوقت الذي يرى فيه عبد القادر موهوبي أن[5] : « الإباضية هم من أسسوا مدينة سدراتة» يرى آخرون أنها أسست سنة 42 هـ/662 م.[6]

وتذكر المصادر الإباضية أن مدينـة سدراتة كانت آهلة بالسكان عام 101 هـ/720 م وحتى الباحثة "فان برشام"التي قامت بالحفريات على هذه المدينة تتجه إلى نفس الاستنتاج حيث ذكرت بأن الإباضيين لم يكن لهم الوقت الكافي للتفكير في تأسيس مدينة جديدة بعد سقوط تاهرت والأرجح أنهم استوطنوا المدينة وطوروا بنيانها.[1]

قامت الآنسة مارغريت فان برشام بأبحاث ما بين سنتي 1951م و 1952 م، وأمكن بالصور الفتوغرافية الجوية تحديد موقع مدينة سدراتة كتحديد القصر الرئيسي والمسجد والمنازل القديمة وبعض المعالم الحضارية وتم اكتشاف مسابح وحمامات.[2]

---

[3] البكري: المصدر السابق، ص 52.
[4] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 43.
[5] موهوبي عبد القادر: المرجع السابق، ص 34.
[6] شعباني صلاح الدين: المرجع السابق، ص 44.
[1] Madeleine Rouvillois Brigol : op.cit, p 11.
[2] Marguerite van Berchem : op.cit, p 159.

ومن نتائج الحفريات والأبحاث التي قامت بها " مارغريت فان برشام " (Marguerite van Berchem) تم العثور على مدينة يبلغ طولها حوالي 2 كلم وعرضها 1 كلم، متكونة من عدة قصور وواحة نخيل عظيمة تحيط بالمدينة وسواقي تعود إلى القرن العاشر الميلادي.[3]

ويرى مسعود مزهودي[4] أن:« سدراتة كانت تتكون من ثلاثمائة وخمسة وعشرين قرية وإحدى وخمسون عينا جارية. واكتشفوا أن قنوات المياه المتفرغة في ضواحي المدن ومنها واحة تصل إلى وارجلان كما أظهرت هذه الاكتشافات أن سكان سدراتة كانوا يحيون حياة حضارية تؤكدها الرسوم الزخرفية المستوحاة من طبيعة المنطقة.»

ظهرت آيات الحضارة الإسلامية بسدراتة، حيث أدركت شأوا عظيما في فن العمارة والبناية الإسلامية، فقد عني سكانها بتشييد المنازل وإنشاء الأسوار وغيرها. هذه الصورة الناصعة لحضارة سدراتة يلخصها محمد بلغراد[5] في قوله: « أنشأوا فيها حضارة عظيمة وبنوا قصورا بديعة، وأقاموا فيها بساتين ومزارع. فقد أغنت الفن الإسلامي والتاريخ

العام للفن بكشوف جديدة منها مجموعة من الأحجار والزخارف الفنية الوحيدة في نوعها وأصالتها.»

ازدهرت بسدراتة حضارة رائعة دلت عليها الحفريات التي أجرتها الآنسة مارغريت فان برشام العالمة التي انتدبتها الحكومة الفرنسية للبحث عن الآثار القديمة بالقطر الجزائري على زخرفة ونقوش في غاية من دقة الصنع، مما يدل على أن الفن المعماري قد بلغ في تلك النواحي أوجا بعيدا، وأنها كانت أرقى بكثير من الفن الأندلسي الذي كان مضرب المثل في تلك العصور، وأطبقت شهرته الآفاق.[1]

ويرى سعد زغلول عبد الحميد[2] أنه:« إذا كانت بقايا مدينة سدراتة في إقليم ورجلة، التي صارت عاصمة للخارجية بعد سقوط تاهرت، قبل انتقال الإباضية إلى الزاب. قد كشفت

---

(3) Madeleine Rouvillois Brigol : op.cit, p 18.
(4) مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 19.
(5) محمد بلغراد: المرجع السابق، ص ص 46-47.
(1) علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 378.
(2) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 2، ص 510.

عن وجود أصداء لفخامة المباني العباسية في المدينة الصحراوية، فإن أثر تلك الفخامة العباسية كان ضعيفا على كل حال.»

وبهذا صارت سدراتة صورة ناطقة لتاهرت تحمل طابعها في الحضارة، تميزت بدقة تنظيم شوارعها وشبكة من القنوات مخصصة لسقي المزارع والجنان المحيطة بسدراتة منها واحدة تصل إلى وارجلان.[3]

والفضل في عمارتها يعود إلى وجود المياه المتدفقة وتدل عين الصفا الموجودة بسدراتة على كثرة المياه، ولم تكن هذه العين وحدها النبع الذي يسقي منطقة وارجلان، بل كان حولها أكثر من ألف عين فوارة.[4]

تعرضت مدينة سدراتة إلى العديد من الهجمات وعمليات التدمير والتخريب، بعد أن عاشت في ازدهار طيلة مائة وخمسين عاما حيث تعرضت إلى الهجمة الهلالية[5] ويرى البعض أن خراب هذه المدينة كان على يد يحي بن إسحاق الميورقي المعروف بابن غانية سنة 624 هـ، عند ثورته على الأمير يعقوب المنصور أحد أمراء الموحدين وبقيت البلاد إلى الآن خرابا ولم يبق منها إلا بعض الجدران وأساس البناءات وسواقي الأجنة ومن الآثار الباقية أحد المساجد ومقبرة الشيخ صالح جنون بن يمريان وبقربها قبر الإمام يعقوب آخر أئمة تيهرت. وبعد خراب البلاد تفرق الباقي من ساكنيها إلى وادي ملوية التي هي الحدود بين بلاد وارجلان والبلاد المراكشية والبعض سكن وادي ميزاب والبعض انضم إلى وارجلان.

وأنشد يقول:

إذا ما ضاق عيشك من بلاد ترحل طالبا أرضا سواها.[1]

وبهذا انتهت سدراتة من الأخذ والعطاء وحكم عليها بالفناء خلال القرن السابع الهجري (13 م) على حسب أغلب الروايات.

هذا ويمكن القول أن منطقة وارجلان كانت بها العديد من المدن والقرى المشيدة على ضفاف الأودية كوادي مية واغرغار وريغ، وعرفت بازدهارها العمراني والثقافي خلال

---

[3] محمد الطمار: المرجع السابق، ص 101.

[4] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 48.

[5] V.Largeau : op.cit, p 186.

[1] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 6.

القرنين الخامس والسادس الهجريين.إلا أن صروف الدهر وكثبان الصحراء أتلفت وغطت تلك المعالم وحجبت عنا ملامحها فبقيت أسرارا في جوف الصحراء.

المبحث الثاني :

ا)– الأسرة الوارجلانيـة:

- إن الأسرة في وارجلان تتميز أساسا بتماسك أفرادها والتعاون والتضحية على أساس الشريعة الإسلامية ولهذا نلحظ أن الآباء يبذلون أقصى حد في تربية أبنائهم دينـيا وأخلاقيا واجتماعيا. أما بالنسبة للأبناء فهم بدورهم يقومون برعاية أبائهم من كافة الجوانب. وفي هذا الصدد يقدم الدرجيني[2] صورة صادقة عن العلاقة التي تربط الأب وأبنائه إذ يقول:« كان أبو يعقوب بن سهلون (من علماء الطبقة التاسعة 450 500 هـ) ، كثير الرفق وله ابن يسمى أيوب، وكان إذا أراد أن يأمره بشيء أشار إشارة أو ساقه في حكاية لئلا يغلق عليه الأمر فيخالفه فيعق، وكان متى أشار له بشيء إمتثله، وأتى به على حسب ما يرضيه، ويجيء على وفقـه، حتى ضرب بهمـا المثل في بر الابن للأب والأب للابن فقالوا: الأب كأبي يعقوب والابن كأيوب.» وصدق الله إذ يقول: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.)* وبهذا خضعت الأسرة الوارجلانية إلى سلطة الوالدين، حيث يسهر الأب والأم على تنشئة الأبناء تنشئة إسلامية، وضمن قواعد ومبادئ الشريعة الإسلامية. بالسهر على تعليمهم وتوجيههم التوجيه السليم الذي يخدم الأمة، وقدمت كتب السير نماذج عن هذه الأسر منها أسرة العالم معاذ بن أبي علي.

يقول الشماخي[1]: « أن معاذ كان يسكن بقصر بني ويليل من بلاد قبلة أريغ، وكان من حزمه وطلبه رضى ربه، لا يبيت ليلة الجمعة إلا في آجلو، يحي مع التلامذة ليلته، ثم يشهد مجلس يوم الجمعة، فإذا صلى العصر، انصرف إلى أهله.»

---

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 246.

* سورة الإسراء: الآية 24.

[1] الشماخي: المصدر السابق، ص 406.

وبعد فترة و بعد أن أرهقه التعب وأضناه السفر ونالت منه المشقة يقول علي يحي معمر[2]:« أخذ معاذ أفراد أسرته وانتقل إلى آجلو واستقر بها بين أهلها الكرام، وأتيحت له الفرصة لكي يعيش في تلك المساجد والمجامع العلمية العامرة بالإيمان والمعرفة والعبادة، كما أتيح لولديه إبراهيم وعائشة أن يواصلا دراستهما وأن يحضرا مجالس العلم على فطاحل العلماء ومع أنجب الطلاب وأذكى التلاميذ.»

كانت أسرة معاذ أسرة دين وعلم وفضل حتى ضرب بها المثل فقيل: خير شيوخ آجلو معاذ وخير فتيان آجلو ولده إبراهيم، وخير نساء آجلو عائشة بنت معاذ.[3]

وقد اشتهر معاذ بصفات يحق له بها أن ينال احترام الناس وتقديرهم فقد كان سخي النفس، سليم الصدر، بعيدا عن المزاحمة في أمور الدنيا يحب الخير للجميع.

كانت ابنته عائشة إحدى أشهر نساء آجلو، ولدت في أواسط القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، أخذت العلوم في بلدتها على فطاحل العلماء، وبلغت درجة في العلم يعز على نظائرها بلوغها حيث ختمت القرآن في سن مبكرة، ثم تحولت إلى حلقة أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر (ت 504 هـ)، الذي قالت فيه: رأيت كثيرا من أهل العلم والخير وجالستهم، فلولا أحمد بن أبي عبد الله لمت بالجهالة.[1]

كما تلقت العلم عن الشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي، وكانت لها طريقة فريدة في تلقي العلم بين الرجال، فكانت إذا قعد المجلس جاءت بحصير في يدها فدورته على نفسها وتجلس إلى المجلس وتسأل وتستمع، أخذت عنه علم الكلام وكانت تفتخر به وبدراستها عليه وتعتبر أقواله حجة، فإذا جرى بينها وبين أحد نقاشا في قضية من قضايا علم الكلام كان يكفيها حجة أن تقول: قال تبغورين بن عيسى الملشوطي كذا وكذا، وكان هذا في نظرها أبلغ حجة وأسطع برهان.[2]

كانت عائشة تمثل الأسرة المسلمة المتعلمة المستنيرة التي تشارك الرجل في جميع الميادين الثقافية دون أن تتخلى عن رسالتها كأم ترعى بيتا وترعى أولادا وكزوجة تصون نفسها وبيتها وترعى زوجها في نفسها وفي ماله وفي بيته.

---

[2] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 366.
[3] الشماخي: المصدر السابق، ص 407.
[1] معجم أعلام الإباضية، ج 3، ص 498.
[2] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 368.

هكذا كان دأب عائشة بنت معاذ في التعلم على أيدي فطاحل العلماء في عصرها حتى صارت خير نساء آجلو، كانت تناقش كبار علمـاء الكلام في أدق المسائل منهم أبو محمد عبد الله بن محمد اللنثي وأبو زكريا يحي بن أبي بكر صاحب كتاب السيرة.[3] وبهذا أقامت الحجة على المرأة المسلمة وبرهنت على أن الفتاة إذا شاءت فإنها تستطيع أن تبلغ أقصى مراتب المعرفة مع المحافظة على دينها وأخلاقها وصيانة تامة لأسرتها وبيتها.

المـرأة الوارجلانيـة:

المرأة ربة البيت وهي مرتكز الأسرة وعليها تتجمع، هكذا يصف علي يحي معمر المرأة.[4] والمرأة الوارجلانية نموذج يقتدى به في بناء الأسر نظرا لتنشئتها الإسلامية، واقتضت العادة أنـه ببلوغ الفتاة سن الزواج فأول خاطب يتقدم بخطبتها يرضى به الوالدان إذا توفرت فيه شروط الصلاح والسيرة الحسنة والتمسك بالدين.

وبعد التراضي تتقدم عائلة الخطيب لطلب يد الفتاة من أهلها ويتفقان على شروط عقد الزواج والصداق[1] وما إلى ذلك من صلة.

وكانت المرأة في المغرب الإسلامي لا تستحي في دينها أن تسأل أباها العالم عن مسائل خاصة يعتبر جهلها منقصة في الدين. قال أحد المشائخ لابنته: أزوجك لمن له عليك سبعون حقا. فقالت: أردها إلى ثلاث، إن دعا أجبت، وإن أمر امتثلت وإن نهى تركت.[2]

وقد يلجأ الرجل إلى الزواج ثانية حيث أشارت المصادر التاريخية إلى ذلك، فأبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي كثيرا ما يغشاه الأضياف، وله أربع زوجات في أربع خيمات فإذا نظرت لكل خيمة، رأيت كثرة جلود الشياه منشورة وعليها لفائف القطن من كثرة ما يذبح للأضياف.[3]

أما عن واجبات وأدوار المرأة الوارجلانية، فكانت تقوم بأشغال البيت كالطبخ وغزل الصوف والنسيج وإعداد الألبسة. وحسب علي يحي معمر[4]:« فالمرأة في العهود السابقة

---

[3] معجم أعلام الإباضية، ج 3، ص 499.
[4] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 540.
[1] الشماخي: المصدر السابق، ص 330.
[2] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 379.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 188.
[4] علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 2، ص 457.

كانت مشغولة بمساعدة الأسرة في عمليات الرعي، وقصارى ما تستطيع أن تجيده من الصناعة إنما هي صناعة الفلائج التي تتكون منها الأخبية والبيوت.»

كما تقوم المرأة بتأديب الأولاد وتربيتهم على قيم الشريعة الإسلامية وغرس المبادئ النبيلة في نفوسهم.

أما دورها الثقافي والإصلاحي فكان كبيرا في حياة المجتمع الوارجلاني وقد لاحظنا أنه تفرع عن نظام الحلقة مجلس ديني للنساء، يشرف على إدارة أحوال المرأة الوارجلانية مثل الغاسلات اللواتي يقمن بغسل الأموات من النساء والصبيان، وقد تختار الصالحات من النساء والورعات العالمات بأحوال المرأة الدينية للقيام بهذه المهام، كما يقمن بالإرشاد والوعظ والزيارات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين وهدفهن الحفاظ على الأسرة الوارجلانية وصيانتها.

كما كان للمرأة في المجتمع الوارجلاني دور بارز في الحياة الفكرية يقول بحاز إبراهيم[1]: « وجدناها عالمة ومستفسرة عن مسائل دينها لا تريد أن تجهلها، وكانت كثيرة الاعتناء بالشعائر الدينية.»

والدارس لكتب السير يلاحظ أسماء عديدة لنساء برزن في الفقه والعلم وإسداء النصائح للرجال. كما كن يحضرن مجالس المشائخ ومن الأمثلة عن ذلك ما ورد في سير أبي زكريا يحي بن أبي بكر[2] :« قال الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف: لما فرغنا من العشاء حضرنا مجلس الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، فدنت إليه النسوة وفيهن أم البخت وأختها، وكانت أم البخت تدعي المسائل وقراءة الكتب، فجعل عليه النسوان المجلس في المسائل والمواعظ، حتى طلع الفجر، فقالت أم البخت لأبي الربيع وهي ابنة خاله: لأجل هذه الفوائد طالت غيبتك عنا، يا سليمان.»

وفحوى القول أن المرأة الوارجلانية ساهمت في بناء الأسرة الوارجلانية، فكانت الأم المربية والراعية لزوجها والعالمة المصلحة.

العشيرة:

[1] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 377.
[2] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص ص 175-176.

إن العشيرة تحتل المرتبة الثانية بعد الأسرة في المجتمع الوارجلاني على أساس الدين الإسلامي، يقول الله عز وجل:(فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين، وأنذر عشيرتك الأقربين.)*

وعلى أية حال فإن مدن وقرى وارجلان تتكون من العشائر، وهذه العشيرة يقول أعوشت بكير[3]:« تكون رابطة الجد الأول، وقد تكون الرابطة صداقة قديمة انضمت بعض العائلات إلى تلك العشيرة فانصهرت فيها. إن الأخوة الإسلامية والمحبة في الله والأخلاق المثالية هي الرابطة الأساسية بين العشائر، أما العرق والجنس والدم فهي دعوة جاهلية يحاربها القرآن.»

عناصر المجتمع الوارجلاني:

إن دراسة بنية سكان وارجلان، تدفع بنا إلى الغوص في أعماق تاريخ المنطقة، ومما لا شك فيه أن العناصر البربرية استقرت بهذا المجتمع قبل الفتح الإسلامي ثم انصهرت مع العنصر العربي الفاتح وتعايشت مع بقية العناصر مثل أهل الذمة.

أ) – العنصر البربري:

يقول ابن حوقل[1]:« والبربر السكان بالمغرب فقبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري.»

ويرى علي دبوز[2] أن:« البربر هم الجنس العتيد الذي فاض على الفئة القليلة من السكان الأولين للمغرب، والبربر جنس كثير العدد، قوي الشخصية لا تحصى شعوبه ولا تعد مزاياه، وجعل المغرب وطن البربر.»

وقد تضاربت الآراء حول تسمية البربر، فالبعض يرى أن اليونانيين هم الذين أطلقوا كلمة بربر (Barbaroi) إذ يقول أوليفيه[3]:« البربر عند اليونانيين هم الشعوب التي لا تنطق لغتهم ولا يتقاسمون معهم الديانة.»

---

* سورة الشعراء: الآيتان 213-214.

[3] أعوشت بكير بن سعيد: المرجع السابق، ص 107.

[1] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 100.

[2] دبوز محمد علي: المرجع السابق، ج 1، ص 23.

اعتبر المؤلفون اليونانيون أن سكان تلك البلاد كانوا "نومادس" أي بدوا رحلا، والرومان أطلقوا كلمة "Barbari" جورا وظلما ويقصدون بها الهمجية والتوحش تارة وعلى الشعوب غير الرومانية تارة أخرى. وهو ما ذهب إليه سعد زغلول[4] في قوله:« Barbari يعني الشعوب الجاهلية أو الهمجية أو الخارجة عن نطاق الحضارة الرومانية.ولما كان الرومان قد أطلقوا هذه التسمية على كل الشعوب الجرمانية التي هاجمت إمبراطوريتهم في العصور الوسطى المبكرة كان من الطبيعي أن يدخل شعب المغرب تحت نطاق هذه التسمية.»

غير أن البربر يفضلون كلمة "أمازيغ" أي الرجال الأحرار أو الأشراف وحينما نتصفح المؤلفات العربية نتأكد من صحة ذلك، يقول عبد الرحمن الجيلالي[1]:« على أن هؤلاء البربر وإن اختلف الناس في أصلهم فهم ساميون من أبناء مازيغ بن كنعان، فهم الأمازيغ كما جاء في تصريحهم أمام الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- حينما ذهب إليه الوفد بعد فتح مصر، فانتسبوا إلى مازيغ أنهم أصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب والبحر الأحمر والبحر المحيط ولم يقولوا أنهم بربر.»

نسبهم:

تنسب تسمية البربر حسب البلاذري[2] إلى كلام إفريقيش بن قيس بن صيفي الحميري من ملوك التبابعة:« الذي غلب على إفريقية في الجاهلية فسميت به وهو قتل جرجير ملكها. فقال للبرابرة: ما أكثر بربرة هؤلاء، فسموا البرابرة.» والمقصود من ذلك اختلاط أصواتهم ومنها بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة.[3]

أصل البربر:

---

[3] M.G.olivier : Recherches sur l'origine des berbères, Bone, 1867, p 35.

[4] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص ص 78-79.

[1] الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: المرجع السابق، ج 1، ص 35.

[2] البلاذري، بن يحي بن جابر: فتوح البلدان، ج 1، تح، صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956 م، ص 270.

[3] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 80.

يقول ابن خلدون[4]:« هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفر الأملس ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب...ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل... وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فإن علماء

النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما: برنس ومادغيس. ويلقب مادغيس بالأبتر ولذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس.»

ويضيف قائلا[1]:« وأما إلى من يرجع نسبهم من الأمم، فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا، فقال بعضهم: إنهم من ولد إبراهيم عليه السلام، وقال آخرون: البربر يمنيون. وقال آخرون: أنهم كلهم من قوم جالوت.»

وبعد نقد للروايات يقول ابن خلدون[2]:« والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح. وأن اسم أبيهم مازيغ.»

وبهذا فقد أثبت ابن خلدون رأي من قال إن البربر أبناء كنعان بن حام بن نوح – حسب تقسيمه للشعوب – وأنهم أقارب الفلسطينيين وليسوا منهم.[3]

القبائل البربرية بوارجلان:

1 -قبيلة زناتة:

- وصف ابن خلدون[4] هذا الجيل فقال: « جيل قديم العهد في المغرب، معروف العين والأثر، وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران والإباية عن الانقياد

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 6، ص ص104 105.
[1] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 6، ص ص107-109.
[2] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 6، ص 113.
[3] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 82.
[4] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص 3.

للنصفة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها هي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر.»

أما عن نسبهم فيقول ابن خلدون[5]: « أما نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسابتهم أنهم من ولد شانا* وإليه نسبهم.»

أما عن أصل التسمية يقول ابن خلدون[1]:« إن أصل هذه اللفظة التي هي زناتة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجيل كله وهو جانا بن يحي المذكور في نسبهم وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم المفرد تاء. فقالوا: جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن. ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب، بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل إلى السين يقرب للسمع منها بعض الصفير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاي بالسين. فصارت زانات لفظا مفردا دالا على الجنس.»

ووصف إبراهيم أعزام[2] قبائل زناتة قائلا: « ثم اختصت شعوب زناتة وبطونها برطانة تخالف رطانة إخوانهم، وهم قوم لا يرامون بذل ولا ينالهم من استطال عليهم بسوء.»

ومواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى، حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم. ومنهم بجبل أوراس بقايا سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد وأذعنوا لحكمهم والأكثر منهم بالمغرب الأوسط، حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم. فيقال: وطن زناتة.[3]

---

[5] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 7، ص 4.

* شانا:هو جانا بن يحي بن صولات بن ورصاك بن ضري بن زحيك بن مادغيس بن بربر. ينظر ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 7، ص 4.

[1] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 7، ص 14.

[2] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 16.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص 4.

ويرى عبد الرحمن الجيلالي[4]:« أنهم ينتشرون في نواحي تلمسان وريغة والأغواط والزاب، وكانت مواطنهم الأولى وسط المغرب الأقصى والصحراء المحيطة به من الجنوب، وهم أكثر قبائل البربر حضارة وعمرانا.»

وزناتة في الأصل قبيلة من قبائل البدو وأخذت تظهر ويقوى أمرها في العصر الإسلامي وكانت منازلها الأولى وسط المغرب والصحاري المحيطة به من الجنوب وكان الزناتيون بحكم حياتهم الصحراوية وابتعادهم عن غيرهم من القبائل يعيشون في شبه عزلة ويتحدثون بلغة خاصة بهم، فلما دخل الإسلام كانوا من أول القبائل اعتناقا له.[5]

ويعد علي دبوز[1] وارجلان من زناتة:« من زناتة ورجلة ومن مدنها وارجلان وهي عاصمة الصحراء قبل الإسلام وبعده إلى القرن العاشر الهجري.»

ويتفرع عن زناتة:

أ) - بنو واركلا:

هم بطن من بطون زناتة من ولد فرني بن جانا وإن إخوانهم يزمرتن ومنجصة ونمالتة المعروفون لهذا العهد: منهم بنو وركلا وكانت فئتهم قليلة وكانت مواطنهم قبلة الزاب واختطوا المصر المعروف لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة، في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصوراً متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها فائتلفت وصارت مصراً.[2]

ولقد أعطت القبيلة اسمها لواركلا أو وارجلان، مثلما أعطت قبيلة سدراتة اسمها لمدينة سدراتة وقبيلة نفوسة اسمها لجبل نفوسة.[3]

ب) - بنو مغراوة:

يعتبر عثمان الكعاك[4] أن:« قبائل بني مغراوة من أكبر شعب زناتة وأقواها وأعظمها سلطانا.» وعن نسبهم يقول عبد الرحمن بن خلدون[5] :« هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا

---

[4] الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: المرجع السابق ،ج 1، ص 41.
[5] حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 9.
[1] دبوز محمد علي : المرجع السابق، ج 1، ص 40.
[2] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص ص 61-62.
[3] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 93.
[4] عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م ، ص 163.
[5] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص 50.

أوسع بطون زناتـة وأهل البأس والغلب، ونسبهم إلى مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زكيا ابن ورسيك بن الديرت بن جانا إخوة بني يفرن وبني يرنيان.»

ومن قبائلهم: بني سنجاس وريغة والأغواط وبني ورا. وقد زعم بعض الناس أنهم من بطون زناتة غير مغراوة.[6]

أما عن مواطن استقرارهم يقول سعد زغلول[7]:« ومغراوة في جنوب غرب الجزائر على وادي شلف.»

وعلى النحو ذاته ذهب رابح بونار[1] في قولـه: « كانت قبيلة مغراوة بتلمسـان ونواحيها صاحبة الزعامة في عهد الفتح الإسلامي وقد ظهر منهم صولات بن ورماز الذي أسر وحمل إلى الخليفة عثمان فأسلم على يديه وحظي بولائه ولما قامت الدولة الفاطمية انحازوا إلى الأمويين بالأندلس يوالونهم ويدعون لهم على المنابر.»

وقد يستنتج من رواية رابح بونار أن مغراوة كانت سنية منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين، حيث يؤكد ذلك ابن خلدون[2] في قوله: « ... وأن بني يفرن ومغراوة كانوا سنية.»

– ومما لا يدع مجالا للشك من أن مغراوة استوطنـت وارجلان قـول ابن خلدون[3]:« وسكانها أي واركلا – لهذا العهد من أعقاب بني وركلا وأعقـاب إخوانهم من بني يفـرن ومغـراوة.»

ج) - بنو يفـرن:

يعتبر عثمان الكعاك[4]:« قبائل بني يفرن أقوى قبيلة زناتية.» ويعـود أصل نسبهم حسب ابن خلدون[5] إلى: « يصلتين بن مسـرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديـرت بن جانا، وهم أوسع بطون زناتة، ويفرن في لغة البربر هو القار.» ويتضح من ذلك أنهم إخوة مغراوة.استقر بنو

---

[6] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 7، ص 96.
[7] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 94.
[1] رابح بونار: المرجع السابق، ص 222.
[2] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص 10.
[3] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 7، ص 107.
[4] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 115.
[5] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص 22.

ايفرن الى الغرب من مغراوة في جنوب وهران وفي جنوب تلمسان[6] وكان يزيد النكاري منهم على ما يقال.[7]

ويعد الدرجيني[8] ايفرن من قرى وارجلان إذ يقول:« ونحو ذلك ما ذكر محبوب بن أبي عبد الله السدراتي أن الشيخ أبا عبد الله وصل ايفرن من قرى وارجلان ومعه أصحابه.»

د) - بنو زنداك:

كان يوجد ضمن قبيلة زناتة بنو زنداك، وإليها هاجر أبو يزيد مخلد بن كيداد سنة 325 هـ، وهي فرع من زناتة مغراوة.[1]

هـ) - بنو ورماز:

هي قبيلة زناتية سكنت أريغ وفرع منها سكن وارجلان. إلا أن هذه القبيلة عرفت بالفساد والنهب وقطع الطريق وشن الغارات على عابري السبيل وألحقت بهم أذى كبيراً، وكانت سببا في هجرة أبي عبد الله محمد بن بكر وتلامذته من أريغ إلى إيفرن. يقول الدرجيني[2]:« وذكروا أن بني ورماز طغوا وأكثروا من الفساد وقطع الطريق وأنواع الأذى. فارتحل أبو عبد الله بأهله وعياله ونزل إيفرن من قرى وارجلان، فأقام فيهم عاما، فضاعت أحوال أريغ لفقدهم أبا عبد الله وما كان يصلح من أحوالهم وفسادهم.»

2 -قبيلة سدراتة:

حول نسبهم يقول ابن خلدون[3]:« وفي لواتة* بطون كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيطط بن لوا.» وبهذا فأصل السدراتيين من قبيلة لواتة، ولهم قرابة الأخوة من الأم

---

[6] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص94

[7] رابح بونار: المرجع السابق، ص221

[8] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص189

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص 50.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 206.

[3] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 6، ص 235.

* لواتة: بطن عظيم متسع من بطون البربر، ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك، و لوا اسم أبيهم. ينظر ابن خلدون: المصدر نفسه ، مج 6، ص 234 وما بعدها.

ببني مغراوة وهذا ما ورد في قول سعد زغلول[4]:« وكذلك ما يقال من أن قبيلة سدراتة هي أخت قبيلة مغراوة من الأم. » وموطنهم جنوب وارجلا.[5]

ب) - العرب:

لم تعرف وارجلان وجوداً للعرب قبل الفتح الإسلامي، فلا وجود لأي أثر مادي أو وثيقة مدونة تدل على نوع من أنواع التواجد العربي في منطقة وادي مية قبل الفتح الإسلامي. بل أكثر من هذا لم تعرف المنطقة الوجود المكثف للعرب إلا بعد الاجتياح العارم لقبائل بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

ويرى ابن خلدون[1] أن توافد العرب للمغرب كان في أواسط المائة الخامسة للهجرة ويوضح ذلك بقوله:« لأن العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هنالك فكانت أخبارهم من أخبارها فلذلك استوعبناها وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة.»

بنو هلال وبنو سليم:

يرى عبد العزيز سالم[2] أن:« أصل بني هلال وبني سليم من مضر نجعوا إلى الحجاز فنزل بنو سليم مما يلي المدينة ونزل بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف. وكانوا يطرقون العراق والشام في رحلة الشتاء والصيف فيغيرون على أطراف البلاد ويفسدون العمران. وكانت قبائل بني هلال تضم أحياء من جشم والأثبج وزغبة ورياح وربيعة وعدي.»

زحف الهلاليون على بلاد المغرب بأعداد كبيرة في شكل موجات متتابعة واتصفوا بالعنف والتخريب، كانت أولى هذه الموجات سنة 442 هـ/1050 م اجتازوا نهر النيل بتحريض من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ونزلوا ببرقة، وجدوا أمامهم أراضي خصبة تصلح للرعي فاستقروا بها في أول الامر وأرسلوا إلى من تبقى من قومهم ليلحقوا بهم فتكاثر عددهم حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت، فزحفوا غربا نحو إفريقية والمغرب الأوسط واتجهت مجموعات كبيرة منهم صوب الصحراء، حيث وجدوا بيئة تشبه بيئتهم وبلاد تناسب طبيعتهم البدوية.

---

[4] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 99.
[5] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع نفسه، ج 1، ص 93.
[1] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 6، ص 8.
[2] عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 580.

يقول ابن خلدون[3]:« وأقامت هيب من سليم وأحلافها رواحة وناصرة وغمرة بأرض برقة، وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه.»

ويضيف قائلا[1]:« واقتسمت العرب بلاد إفريقية سنة ست وأربعين؛ فكان لزغبة طرابلس وما يليها ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس إلى الغرب وهم: رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والأثبج والخلط وسفيان.»

والقبائل العربية الأربعة التي وفدت إلى منطقة وادي مية على فترات متباعدة نسبيا من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) هي الشعانبة والمخادمة وأولاد سعيد وبني ثور.[2] وتعود جذور هذه القبائل كلها إلى نسل بني هلال وبني سليم والقبائل العربية البدوية الأخرى التي نزحت إلى بلاد المغرب الأوسط وصحرائها عبر بلاد برقة وطرابلس وإفريقية وبلاد الجريد.

وانصهرت العناصر الوافدة مع السكان الأصليين وفي هذا الصدد يقول ألفرد بل[3]:« ومع ذلك فإن الغالبية العظمى من السكان الأصليين في إفريقيا الشمالية هم مزيج من العرب والبربر، إنهم ثمرة امتزاج وثيق في عصور مختلفة بين عناصر بربرية وعناصر عربية من بطون بني هلال وبني سليم.» وتلقح البربر بالعرب وعناصرهم الجديدة وتلقحت أدمغتهم بالأفكار الجديدة في العلم والأدب.[4]

لا شك أن توافد العنصر العربي كان له تأثير على مختلف الأصعدة. إذ تعتبر هجمة الأعراب من الحوادث الكبرى التي مرت بالجزائر من الجهة الاجتماعية لدخول عناصر جديدة وعقليات جديدة في بلاد كانت بربرية. ومن الوجهة الاقتصادية لخراب العمران البربري ومن الوجهة السياسية للحرب ما بين السلطتين العربية والبربرية على النفوذ.[5]

---

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، مج 6، ص 31.
[1] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 6، ص ص 33-34.
[2] ابن خلدون: المصدر نفسه، مج 6، ص 35.
[3] ألفرد بل: المرجع السابق، ص 214.
[4] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 185.
[5] عثمان الكعاك: المرجع نفسه، ص 197.

كما كان لهم فضل كبير في تعريب البلاد وتخفيف حدة اللهجات العربية في القرى البربرية التي لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية.[1]

لاشك أن العرب أتوا هذه البلاد بمدنية أدبية لا مدينة مادية، أي أن مدنية العرب التي قدموا بها من بلادهم كانت هي المدينة الأخلاقية.[2]

ج) – أهل الذمـة:

كان الوجود اليهودي في بلاد المغرب قديما يرجع إلى ما قبل العصر الروماني، وتزايد عددهم في المغرب بمرور الزمن نتيجة اعتناق البربر اليهودية في نهاية الحكم الروماني.[3]

واعتبر إبراهيم أعزام[4] اليهود من سكان وارجلان حيث يقول:« ومن سكان وارجلان قديما اليهود، فقد كانوا قاطنين بوارجلان وديارهم قديما في السوق العمومي.»

ويتضح من ذلك أن اليهود قد تسللوا إلى كثير من مناطق شمال إفريقيا في وقت مبكر لأغراض كثيرة ومن بينها التجارة خاصة تجارة الذهب وبالأخص من منطقة توات. ولقد اشتهر اليهود بمكايدهم ودسائسهم خاصة مع المسلمين فحاولوا أن يتأقلموا مع كل مجتمع وكل بيئة حلوا بها. فيتعلمون لغتهم ويلبسون لباسهم وتنبه المسلمون لذلك وألزموهم بإضافة ما يميزهم عن المسلمين.

وقد حفظ الدين الإسلامي لمن أبقى على دينه حقوقه، كما أن العلاقات بين المسلمين واليهود ظلت طبيعة بحكم الضرورة والحاجة المتبادلة بين الطرفين.[5]

ويصور عثمان الكعاك[6] معيشة أهل الذمة بين المسلمين في قوله:« فكانت المدن خليطا من مختلف العناصر المؤلفة منها الشعب الجزائري، عدا ما كان بها من النصارى أو اليهود، الذين كانوا يعيشون عيشة الجاليات ويتمتعون بحرية في إجراء أمور دينهم واستقلال ذواتهم

---

[1] عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 587.
[2] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 18.
[3] حمودة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص ص 24-25.
[4] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 83.
[5] مديازة صورية: المرجع السابق، ص 107.
[6] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 185.

وأرزاقهم واحترامها قلما كانوا يحلمون بها في غير البلاد الإسلامية فكانت لهم نظمهم الدينية وكنائسهم وبيعاتهم وعلماؤهم وأرباب الكهنوت منهم يعيشون بالتجارة والصنائع منهم الفعلة في مختلف الحرف والصناعات.»

المبحث الثالث:

ج) - فئات المجتمع الوارجلاني:

يمكن تقسيم المجتمع الوارجلاني خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين إلى فئتين أساسيتين هما:

أ) – فئـة الأعيـان: وتشمل هذه الفئة مشائخ ووجوه وارجلان وكبار التجار والعلماء والقضاة...

ب) - فئـة العوام (العامة): وتشمل أصحاب الحرف والمهن والفلاحين وأصحاب الماشية والعبيـد...

أ) – فئـة الأعيـان:

1 - فئـة المشائـخ والوجـوه:

المشايخ هم رؤساء الجماعات المقيمة في المدينة وقد يطلق عليهم اسم مجلس الأعيان أحيانا.

أما الوجوه هم من نطلق عليهم اليوم كلمة الوجهاء. والوجيه هو الرجل صاحب الرأي السديد الصائب في أي مجتمع، له مكانته في القبيلة أو في المجتمع الذي هو عنصر فيه كأن يكون تاجرا مخلصا أمينا يدين له سائر التجار بالتقدير. له شأن عظيم من بينهم وكلمته مسموعة.[1]

خضعت وارجلان إلى سلطة هؤلاء المشايخ خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين وقد ذكرت كتب السير أسماء العديد من هؤلاء الوجوه والمشايخ منهم: الشيخ أبو عبد الله محمد السدراتي، يقول الدرجيني[2]:« وبلغنا أن أبا عبد الله توجه إلى "وارجلان" فدخل على الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي الذي كـان أهل وارجلان قلدوه أمورهم قبل ذلك، فدخل

[1] بوركبة محمد: المرجع السابق، ص 84.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 188.

عليه وقد كبر وتنحى عن أمورهم ولزم بيته.»

ويعد المشايخ والوجوه أصحاب نفوذ قوي ومكانة سامية في كيان المجتمع الوارجلاني بل يمثلون السلطة العليا بالمدينة، يتم الرجوع إليهم عند الضرورة الملحة وعند المشورة اللازمة والأخذ بآرائهم في المواقف الصعبة وهم محل ثقة وإخلاص.

2 ـ فئـة العلمـاء:

العلماء هم مصابيح الله في الأرض، كرسوا حياتهم لنشر العلوم بين فئات المجتمع الوارجلاني من وعظ وإرشاد وتوجيه، وساهموا مساهمة فعالة في الحركة الأدبية والثقافية بوارجلان وتشجيع الرعية على طلب العلم والعلا. تجد طائفة منهم تعنى بالتدريس وطائفة تتذاكر وتتدارس وطائفة أخرى تصلى. ومن ذلك ما ذكره الشماخي[1] عن أبي الربيع سليمان بن يخلف عن خاله عبود بن منار، أنهم يذكرون عن أبي صالح الياجراني أنه:« يتنقل في ليلة في جميع مساجد وارجلان. قال: فأتبعته ليلة لأحقق ما سمعت، فجعل كل ما أتى مسجداً ركع ما شاء الله. فإذا انصرف قفوت أثره وهو لا يشعر، ثم يأتي آخر فيركع ما شاء الله ثم يخرج وأنا في أثره، حتى أتى بعض المساجد فغلب علي النوم وهو يصلي، ولم أستيقظ إلا وقد خرج، فغلب علي ظني أنه يطوف عليها جميعا.»

– وفي فضل العلم ذكر الدرجيني[2] أن:« أبا عمران المزاتي عاش خلال القرن السادس الهجري – قال مراراً في مجالس كثيرة: تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثمانين مسألة في علم الفروع، وتعلم مسألة واحدة كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتابا من كتب إلى بلد لم يكن فيه ذلك الكتـاب فكأنما حمل ألف حمل دقيق وتصدق بها على أهل ذلك البلد، وهذا في فضل العلم وطلبه.»

وفي فضل العلم وأهله يقول الإمام أفلح بن عبد الوهاب:

العلـم أبقـى لأهل العلـم آثـارا يريـك أشخاصهم روحاً وأبكـاراً.

حي وإن مات ذو علـم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطاراً.

وذو حيـاة علـى جهـل ومنقصة كميت قد ثوى في الرمس إعصارا.

---

[1] الشماخي: المصدر السابق، ص 351.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 233.

لله عصبـة أهـل العلـم، إن لهم فضلا على الناس غيابا وحضاراً.
العلـم علـم، كفى بالعلـم مكرمة والجهـل، كفـى بالجهـل إدباراً.
العلـم عن اسمـه أكرم به شرفا والجهل عن اسمه أعظم به عاراً.[1]

وقد اعتمد علماء وارجلان على الكد والجد لكسب المال الحلال، فمنهم من كان تاجرا ومنهم من كان صاحب مزرعة ومنهم من كان ذا مال واسع. وأحاول أن أقدم نماذج من هؤلاء العلماء القدوة في العلم والعمل.

ذكر الشماخي[2] أن:« أبا محمد ويسلان المزاتي، كان بالمجاهدة مذكوراً وبالعلم الورع مشهوراً وكان في صغره راعي غنم.»

- ومنهم عبد الله بن الأمير صنفه الدرجيني[3] ضمن مشايخ الطبقة التاسعة (450 500 هـ)، إذ يقول أن:« أبا الربيع جاء لزيارة عبد الله، فلم يجده في منزله فعلم، أنه في الأندر فقصده فوجده في جبـة صوف وقد وضع كسـاءه وهو يضم أطراف الأندر. قـال: فلما رآني تنحى إلى كسائه فلبسه فلاقاني، فصافحته ثم أقبل يعتذر، كأنه أساء في وضع الكساء. فقلت له: وهل في ذلك من بأس؟ أليس هو العمل في الحلال؟. فقـال: نعم ولكن أين من يحسـن العمل في الحلال؟ إنما يحسن ذلك أبو صالح. فقلـت وكيف كان عمله؟ قال: كان في أيام الحصاد يحمل الزرع إلى الأندر في الشباك على ناقة، فإذا كان وقت صلاة الضحى أناخ ناقته وحط عنها حملها ثم عقلها، وحل إزاره وأخذ في الصلاة... فهكذا العمل في الحلال، إنما هو ما لم يضر بعمل الآخرة.»

– ومنهم أبو موسى عيسى بن السمح الزواغي، قال عنه الشماخي[4] أنه:« كان عالما يتحرى الصواب ويتحفظ في الجواب. قال: خرجنا من هؤلاء يعني قومه – وتركناهم أصحاب شياه وبقرات، وقرأنا العلم، ورجعنا مثل ما عندهم من شياه وبقرات.»

لقد قامت فئة العلماء بدورها على أحسن وجه من نشر العلوم المختلفة بين أفراد المجتمع الوارجلاني والنهوض بالحركة العلمية والفكريـة وقد حظيت هذه الفئة بمكانة متميزة،

---

[1] عثمان الكعاك: المرجع السابق ،ص 145.
[2] الشماخي: المصدر السابق، ص 349.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 236.
[4] الشماخي: المصدر السابق، ص 344.

استطاعت أن تسجل حضورها في الحياة الوارجلانية بفضل سلطتها العلمية والروحية، وأن تحقق التواصل بين أطراف العالم العربي والإسلامي.

3 - فئـة القضـاة:

القضاء هو الفصل في الخصومات بين الناس وقطع التنازع ويكون بالأدلة الشرعية ويتولى هذا الأمر القاضي حيث يراعي الشريعة الإسلامية في أحكامه، كما يتولى المسائل الخاصة بالزواج والطلاق والمواريث والوصايا وغير ذلك من الأمور التي وردت فيها أحكام شرعية.

- يجلس القاضي للأرملة والضعيف، لا يخاف في الله لومة لائم، يعدل بين الرعية بالحق والقسط اقتداء بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم – ومقر القضاء عادة المسجد.

وعن شروط التقليد التي ينبغي توافرها فيمن يتولى القضاء، يقول عبد الحميد حسين حمودة [1] أن يكون:« القاضي رجلا، عاقلا، حرا، مسلما، عدلا، سليم السمع والبصر، وأن يكون ملما بكافة الأحكام الشرعية أصولها وفروعها وهي معرفته بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتأويل السلف والقياس، عالما، ورعا، نزيها،عفيفا وحليما.»

وعن اختصاص القاضي فكتب الفقه والنظم الإسلامية حددت المهام المسندة إلى القاضي منها ما يلي:

1 - فصل المنازعات وقطع التشاجر والخصومات.

2 - استيفاء الحقوق.

3 - ثبوت الولاية على من كان ممنوع التصرف.

4 - النظر في الأوقاف بحفظ أصولها.

5 - تنفيذ الوصايا على شروط الموصي.

6 - إقامة الحدود على مستحقيها.

7 - تزويج الأيامى بالأكفاء إذ عد من الأولياء.

8 - النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأفنية.

9 - تصفح شهوده.

---

[1] حمودة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص 279.

10 -التسوية في الحكم بين القوي والضعيف.[1]

ومن الإشارات التي وردت في كتب السير عن القضاء والقضاة في وارجلان ذكر أبو زكريا يحي بن أبي بكر[2] أن:« أبا الحسن سأل شيخه في نخلة نبتت في مجرى العامة. هل يحكم فيها القاضي بالشفعة لبعضهم دون بعض.؟ قال الشيخ: لا. فقال له أبو الحسن: إن رجلين اختصما عندي في نخلة على مجرى العامة، فطلبها رجل من تلك العامة بالشفعة ممن اشتراها من صاحبها. فلم أحكم له.»

وجاء ذكر القضاة عن الدرجيني[3] في قوله: « أن يؤذن في كل جهة من الجهات على أيدي القضاة أو عن رأي الجماعات بأن لا يشهد في النكاح خاصة أو في النكاح والطلاق إلا رجال معلومون، لا يعدوهم هذا الشأن، يختارون أهل علم ودين.»

ويقدم الشماخي[4] صورة واضحة عن القضاء بوارجلان فيقول: « وادعى رجل داراً بالشراء بين يدي قاضٍ بوارجلان، فأتى بالبينة فأراد أن يحكم له القاضي، قال: نصف الدار شراء ونصفها ميراث. فتوقف القاضي، فسأل الشيخ أبو محمد ماكسن أبا عبد الله محمد بن بكر عنها، قال: أبطل بينته.»

يستخلص من الروايات السابقة أن فئة القضاة شكلت جزءًا من كيان المجتمع الوارجلاني وساهمت في إشاعة العدل والمساواة بين أفراده. وكان القضاة على نزاهة تامة وإنصاف لا ينازعهم فيه منازع وذمة بريئة من كل شائبة من الشوائب.[5]

4- فئة كبار التجار:

بحكم علاقاتها التجارية مع بلاد السودان، نمت بوارجلان موارد الثروة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(11 و 12 م) وظهر ضمن التراتب الاجتماعي فئة ثرية تعتمد في تميزها على الثراء، فوجد الأغنياء بفضل تعاطي التجارة وتربية الأغنام والدواب.

---

[1] حمودة عبد الحميد حسين: المرجع نفسه، ص ص 279-280.
[2] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 181.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 247.
[4] الشماخي: المصدر السابق، ص 348.
[5] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 126.

وانعكس هذا الثراء على حياة الوارجلانيين، فشيدوا القصور، وشقوا الترع وتوسعت الأسواق، فكانت الأسواق عامرة والتجارة رائجة تباع فيها أصناف الثمار والغلات، ولم تشر المصادر القديمة الى عملية التبادل التجاري في أسواق وارجلان، إلا أننا نجد بعض الإشارات مثل ما ذكر الدرجيني[1] في قوله: «... وكان لرجل نكاري على رجل وهبي دينار واحد دينا.»

ويقول بحاز إبراهيم[2]:« إذ كل الدلائل تشير إلى وجود مسبكة بوارجلان وأن إباضية تلك المدينة كانوا يضربون الذهب المجلوب من السودان باسم بلدهم.»

ونجد من صنف التجار فئة صغار التجار وهم أصحاب الحوانيت المختلفة في المدن وحاجة الناس إلى هؤلاء قليلة، تقل أكثر كلما ابتعدوا عن المدن فهم يعتمدون على ما يحققونه من ربح وفير في تجارتهم البسيطة.[3]

وجدير بالذكر أن تجار وارجلان ونواحيها استغلوا هذا الثراء والمال في عمل الخير والبر والبناء. كبناء المساجد والمرافق ومعونة المعوزين وعابري السبيل والمحتاجين والإنفاق على طلبة العلم.

ب) - فئة العوام (العامة):

1 - فئة الفلاحين:

وتشمل هذه الفئة على:

أ) – فئة المزارعين:

اهتم الوارجلانيون بالزراعة، فشرع الفلاحون في إحياء الأراضي، فعلى يدهم تكونت الزراعة ونشطت، فكانوا يغرسون الأشجار من التين والزيتون والرمان والنخيل، وقد ساعدت الأودية المحيطة بوارجلان في دعم النشاط الزراعي والعمل به، مما دفع بالمزارعين إلى إحياء الأراضي البور وارتبطوا بأراضيهم التي هي منبع معاشهم وأقوات عيالهم. وتحولت القبائل البربرية البشرية إلى قبائل مستقرة داخل المجتمع مرتبطة بالأرض تسكن المدن وأحوازها وتمارس الفلاحة إلى جانب الرعي.[1]

---

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 174.
[2] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 185.
[3] بوركبة محمد: المرجع السابق، ص 116.
[1] بوركبة محمد: المرجع نفسه، ص 114.

ومناخ وارجلان مناخ صحراوي ووسط هذا المنـاخ انتشرت الواحات وحسب النصوص التاريخية، فإن وارجلان وما جاورها كانت غنية بغاباتها ذات النخل الكثير، وقد عرفت مع المناطق المجاورة لها أنواعاً من التمر الجيد حيث وصف ياقوت الحموي[2] وارجلان بأنها:« كورة بين إفريقية وبـلاد الجريد، ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات...»

وأصحاب زراعة التشجير أهل استقرار بالضرورة لحاجة الشجر إلى العناية به طول العام، ولأنه لا يؤتى ثماره الطيبة إلا بعد فترة من الصبر والانتظار قد تطول إلى أعوام.[3]

والنصوص للاستدلال عن وجود النخيل قديما لا تعد وتحصى، وكذا الآثار من جرار كبيرة وجدت في دور سدراتة، كانت تجمع فيها محاصيل التمر وكذا أخشاب النخل التي كانت تستعمل في بناء المنازل وغير ذلك.

أولى فلاحو وارجلان اهتماما خاصا بزراعة النخيل، فالتمر يعد الغذاء الأساسي وهو أحسن ما يقدم للضيوف وإلى جانب أشجار النخيل كانت توجد أشجار الزيتون، والإشارات من خلال النصوص تبين ذلك، فقد ذكر الدرجيني[4] أن:« امرأة أتت أبا زكريا تسأله شيئا من الزيت فأخذ أبو زكريا إناء ليملأه لها زيتا، ففض خاتم خابية من خوابيه، ونظر وفكر فيما وسع الله عليه من الرزق ووهب له من الخير، ففاضت عيناه بكاء.»

ومن المزروعات الأخرى اهتم الفلاحون بزراعة الحنطة، وقد سبق الإشارة إلى أن بلاد السودان كانت تجلبها من بلاد ورقلان، أما بقية المزروعات فتشمل التين، الرمان المشمش،الليمون والبرتقال.[1] بالإضافة إلى تربية النحل لإنتاج العسل.

وهناك علاقة تكاملية بين سكان الواحات وبدو الصحراء، يقول سعد زغلول عبد الحميد[2] أن:« حياة سكان الواحات تعتمد إلى حد كبير على بدو الصحراء، إذ يحتاجون إلى التبادل التجاري معهم، فأهل البادية يأتون إلى الواحة من أجل الري والسقيـا، وكذلـك لأخذ مؤونتهم من التمر أو نقله إلى الأقاليم التي ينفق فيها. فالتمر كما نعلم أهم غلة في الواحات فإلى جانب كثرة النخيل نلاحظ أن إنتاجه مضمون إلى حد كبير، إذ لا يعتمد على وفرة المياه أو قلتها، كما أنه لا يتطلب مجهوداً كبيراً في العناية به والدفـاع عنه ضد الحيوانات والآفات...»

---

[2] ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 427.
[3] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 100.
[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 165.
[1] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 160.
[2] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص102.

وعليه فإن فئة المزارعين تعد فئة محورية بداخل المجتمع الوارجلاني لما تزود به المجتمع من ثروات وغلات زراعية، ضف إلى ذلك إخراج زكاة محصولهم الزراعي، مما يكفل حاجة المعوزين واليتامى وغيرهم.

ب) - فئـة أصحاب الماشيـة:

هي فئة تعتمد في حياتها على قدرة حيواناتها وماشيتها. وتشمل الثـروة الحيوانية الغنم والجمال بصفة خاصة لحاجة الناس إلى لحومها وأصوافها وأوبارها وجلودها وألبانها.

وينتشر رعاة الغنم في كل المغرب من أدناه إلى أقصاه والرعاة في هذه الأقاليم لم يعرفوا الحدود السياسية ... والمغرب الأوسط هو بلد الرعي بصفة خاصة ومنهم رعاة الجمال* ومساكنهم على حافة الصحراء حيث يقل الماء ولكن حيث توجد أنـواع من النباتـات الخشنة الصالحـة لرعي الإبل، ويعتمـد رعاة الجمـال في معاشهم على الإبـل،

يشـربون ألبانها ويأكلون لحومها المقددة، كما يتغذون بتمور الواحات وبفضل جمالهم يجوبون الصحراء من أدناها إلى أقصاها طولا وعرضا.[1]

ومن المهم الإشارة إلى أن القرن الخامس الهجري (11 م) له أهمية خاصة في تاريخ عالم الإسلام من حيث كان قرن سيادة البدو الرحالة سواء في المشرق أو في المغرب.[2]

وأما الصحراء بالمغرب الأوسط فهي مجال القبائل البدوية المتنقلة وراء ملكيتها ومن إشارات بعض الدراسات والمصادر نذكر انتقـال بعض القبائل والأفراد إلى جهات شتى قصد الرعي، فقبائل مزاتة وسدراتة كانت تصعد إبان الربيع إلى أحواز مدينة تيهرت لانتجاع الكلأ.[3]

* لقد كان وجود الجمل في المغرب موضوع جدل بين العلماء، وذلك بعد العثور على النقوش القديمة في صخور صحراء الجزائر التي تبين أنها كانت عامرة في عصر ما قبل التاريخ بحيوانات متوحشة ومنها الفيل والزراف. أما الجمل فلم يكن من بين هذه الحيوانات. ولقد اتضح أن أول ذكر للجمل في المغرب يبدأ مع مطلع التاريخ المسيحي وثبت أنه أتى من المشرق وبدأ استخدامه على نطاق واسع ابتداء من القرن الثالث المسيحي. ينظر سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 105.

[1] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع نفسه، ج 1، ص ص 103-104.

[2] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع نفسه،ج 4، ص 43.

[3] ابن عميرة محمد: المرجع السابق، ص 121.

– ومن ذلك ما ذكره الدرجيني[4] عن اهتمام علماء وارجلان بتربية الماشية مثل الشيخ عبد الله محمد بن بكر شيخ حلقة العزابة ومؤسسها – أنه:« كان يتتبع مواطن الكلأ والماء إلى أن يصل بادية بني مصعب، والشيخ أبا محمد بن مانوج (عاش خلال القرن الخامس الهجري) كان له راع فقدم عليه وسأله عن حال الغنم. فقال الراعي: هي صالحة الحال وإن وهب الله لها العافية إلى قابل فستستكمل مائة. فقال أبو محمد: لا أحب أن تكون مائة، كما لا أحب أن أكون يهوديا. وهذا إخبار عن قناعة العلماء وقلة تعلقهم بعلائق الدنيا.»

وقد استفاد أصحاب الماشية بوارجلان من مياه الأودية المتجهة صوب وارجلان كوادي ميزاب ووادي النسا، مما جعل هذه المناطق بلاد خصب كثيرة النخل والبساتين وبلاد الزرع والضرع والمياه.[5]

ويستخلص مما سبق أن أصحاب الماشية احتفظوا بمهنة الرعي لتامين معاشهم وإكرام ضيوفهم واعتنوا بالجمال لحاجتهم إليها للأسفار البعيدة سواء إلى السودان للتجارة أو إلى البقاع المقدسة قصد الحج.

2 - أهل الحرف:

ومن فئات المجتمع الوارجلاني فئة أهل الحرف ورغم أن المصادر التاريخية لم تشر إلى ذلك إلا أن ذلك لا ينفي وجودها. فقد وجدت فئة صناع الآلات الزراعية البسيطة من أجل الفلاحة كصناع المحاريث والمناجل والفؤوس لاحتياج المزارعين لهم، بالإضافة إلى صناع الجلود والدباغين معتمدين في صناعتهم على جلود الماشية لصناعة مختلف الضروريات كالنعال والسروج والأغطية والأفرشة.[1]

ووجود مثل هذه الحرف بوارجلان لا شك أنه وجدت لها أسواق صغيرة كسوق النحاسة والأقمشة والأسلحة وغيرها.

---

[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 222.

[5] الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان، 1975 م، ص 600.

[1] بوركبة محمد: المرجع السابق، ص 115.

ويبدو أن أسواق وارجلان عرفت وسيطا تجاريا، عرف باسم الدلال. والدلال شخص يتوسط بين البائع والمشتري ويحاول التوفيق بينهما حيث يقوم بالتدليل على البضاعة ويصف البضاعة وجودتها.[2]

حيث ينادي على السلع في السوق، وكان الباعة يرون في السلعة التي يروج لها الدلال أقل ثمنا من تلك المعروضة في الحوانيت وأرخص سعرا، فيميلون إلى شرائها واقتنائها.

3 - فئـة العبيـد:

الرق كما عرفـه الإسلام هو عجز حكمي يصيب من يقع أسيرا في حرب مشروعة ومن هنا يختلف الرق في شريعة الإسلام مصدرا ومفهوما عن قوانين وشرائع الشعوب الأخرى غير أن الرق لم يبق في الحدود التي رسمها الإسلام خاصة بعد توقف حركات الفتوحات في العصر العباسي فأصبح الرق المجلوب هو المصدر الرئيسي للرق.[3]

والعبد إنسان محروم من الأهلية ومملوك لإنسان غيره أي سيده، يتصرف به كتصرف ملكه أو ماله، فله أن يستخدمه و يؤجره ويرهنه و يبيعه و يهبه كيف يشاء.[1]

شكلت فئة العبيد ظاهرة انتشرت عبر كامل العالم القديم ولم يستثنى منها أي شعب بما في ذلك المجتمعات العربية، حيث انتقلت فئة العبيد من بلاد السودان إلى الديار الإسلامية بحكم العلاقة الوطيدة بين المغرب والسودان. هذه العلاقة التي تعود جذورها إلى ما قبل العصر الفينيقي والقرطاجي، كما استمر هذا الأمر في العصر الروماني.[2]

مصـادر جلـب العبيـد:

حسب رواية الناصري[3] يشكل السودان وبلاد لملم المصدر الرئيسي للعبيد حيث يقول:« إن وراء النيل من السودان يقال لهم لملم وهم كفار ويكتوون في وجوههم، وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم فيجلبونهم إلى المغرب وهم عامة رقيقهم.»

وطرق جلبهم متعددة منها:

أ) - الشـراء:

---

(2) حمودة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص 223.

(3) نايت العيفة: دولة بني مدرار سجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1410-1411 هـ/1990-1991 م، ص 155.

(1) بوركبة محمد: المرجع السابق، ص 117.

(2) حمودة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص 20.

(3) الناصري: المصدر السابق، ج 5، ص 133.

كان تجار المغرب يرحلون إلى بلاد السودان لشراء الرقيق الأسود ومن أمثلة ذلك ما ذكره الوسياني[4] عن كيداد والد أبي يزيد مخلد حيث قال: « كان يختلف في التجارة إلى بلاد السودان فاشترى من تادمكت أمة تسمى سبيكة فحملت منه وولدت له أبا يزيد وهو أعرج في لسانه شامة...»

ب) - الخطف:

كان الخطف أحد الروافد لجلب السودانيين للمغرب وأشار إلى ذلك الناصري[5] في قوله أنهم:« يغير بعضهم على بعض ويخطف بعضهم أبنـاء بعض ويبيعونهم عدوانا.»

واعتبر سعد زغلول عبد الحميد[1] أن:« اختطاف الذراري والنساء آفة الصحراء والبدو عامة وفي كل مكان وخاصة على حدود السودان مورد العبيد، الذهب الأسود في تلك العصور.»

ج) – السرقة:

كانت السرقة من أساليب جلب الرقيق، فكان التجار يفدون إلى بلاد السودان ويقومون بسرقة أبنائها.[2]

شكلت غانة وبلاد كانم وبلاد النوبة والحبشة مصادر السودانيين، يقول عبد الحميد حسين حمودة[3]:« كانت غانة أهم مورد للرقيق إلى بلاد المغرب ويجلب من بلاد النوبة العبيد السود، وأنهم في أحسن صورة وأتم ما يكون من الحسن والجمال وأطيب رائحة.»

واعتبرت وارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين سوقا رائجة لتجارة العبيد فكانت حلقة وصل بين بلاد السودان وشمال المغرب وذكرت كتب السير أن أثرياء وعلماء وارجلان اتخذوا عبيدا لهم، وقد أشار إلى ذلك أبو زكريا يحي بن أبي بكر[4] في قولـه:« وبلغنا أن الشيخ عبد الله محمد بن بكر أرسل محبوب بن الشيخ وأبا بكر بن محمد ليشتريا له خادما، فاشترياها له، فلما علم صاحب الخادم لمن يشترياها. نزع لهما من الثمن خمسة دنانير...»

---

[4] الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 115.
[5] الناصري: المصدر السابق، ج 5، ص 133.
[1] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 4، ص ص 136-137.
[2] حمودة عبد الحميد حسين: المرجع السابق، ص 22.
[3] حمودة عبد الحميد حسين: المرجع نفسه، ص 23.
[4] أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 182.

ورواية الشماخي[5] تبرز أن العبيد كانوا بأعداد كبيرة بوارجلان حيث يقول: « أن أبا نوح سعيد بن زنغيل رجع إلى وارجلان بعد موت أبي صالح جنون بن يمريان فتغيرت عليه وتنكرت، فجمع وجوه أصحابها فقال: ظهر فيكم نكاح السر، فلا ينكر الزنا على أحد إلا قال: تزوجت سراً. وتطلقون عبيدكم في أموال الناس، فيأخذون الجريد والليف والكرانيف، فتكادون أن تسرقوا.»

وظائف العبيد:

كان العبيد يسهرون على خدمة الشخصيات الثرية في قصورهم ومنازلهم ويسهرون على راحتهم وخدمة الدور والضياع بالإضافة إلى أعمال داخل المدينة من حرف متنوعة ونحو ذلك.[1]

وذكر بحاز إبراهيم[2] أن:« العبيد كانوا يتخذون في خدمة الأرض ولم تكن استعمالاتهم مقتصرة فقط على القصور والمنازل وإنما يمكن أن نتصور أن أغلبيتهم كانوا من العاملين في المزارع والبساتين.»

ومما يوحي باستعمال العبيد في هذه المهام بعض الإشارات التي نجدها عند الدرجيني[3] في قوله:« وعزم أبو الربيع سليمان بن موسى على أن يحفر عينا، فأعانه إخوانه بخدمة عبيدهم فلما حضره العبيد وشرعوا في الخدمة جعلوا يتغنون، ويقولون ما يقول أمثالهم فقال لهم: اطلعوا من عيني، فإن كانت لا تحفر إلا بمعصية الله فلا حفرت.»

وعلى هذا النحو فكلما اتسعت حياة الناس زادت حاجاتهم إلى الخدم ومجال عملهم قد تجاوز الخدمة في البيوت إلى العمل في الضياع، والظاهر أن وتيرة الحياة اليومية المتصاعدة جعلت من غير الممكن العيش من دون هذه الفئة أو التخلي عنها.[4]

---

[5] الشماخي: المصدر السابق، ص 329.
[1] بوركبة محمد: المرجع السابق، ص 118.
[2] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 155.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج2 ، ص 265.
[4] مديازة صورية: المرجع السابق ، ص 110.

المبحث الرابع:

د) – العادات والتقاليد:

1- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

لم تقدم المصادر القديمة وكتب السير معلومات وافية عن هذا الاحتفال، وعادة الاحتفال بالمولد النبوي ترجع إلى أوائل القرن الرابع الهجري حيث ذكر آدم متز[1] أنه:« صار يحتفل بمولد النبي حوالي عام 300 هـ، وفي ذلك العيد كانت العادة جارية بقراءة السيرة النبوية، مع إيثار الكلام عن قصة الإسراء والمعراج، فكان ذلك عونا كبيرا على تكوين السيرة النبوية.»

يقضى الناس ليلة المولد كلها ساهرين ذاكرين الله مصلين على نبيه؛ فقد درج المالكية على الاجتماع في هذه الليلة وقراءة قصيدتي البردة والهمزية للإمام البوصيري. ويقضون ليلتهم في الذكر والدعاء والتهليل والتكبير.

2 - الاحتفال برأس السنة الهجرية:

اعتاد أهل وارجلان الاحتفال ببداية الشهور الهجرية خاصة بداية السنة الهجرية. في هذا الصدد يقول آدم متز[2]:« أما رأس السنة الهجرية، فإنه لما كان متنقلا دائما ليس له موعد ثابت لم يصر عيدا من الأعياد الشعبية، وكان الناس يتهادون فيه أيضا.»

ويقتصر الاحتفال بالسنة الهجرية على تهنئة العامة بعضهم بعضا، مع دعاء كل منهم للآخر بالخير والبركة.

3 - الاحتفال بليلة النصف من شعبان:

---

[1] آدم متز: المرجع السابق،ج2، ص 718.

[2] آدم متز: المرجع نفسه،ج2، ص 716.

ومن العادات الدينية الاحتفال بليلة النصف من شعبان، حيث يبادر الناس إلى أعمال البر والإحسان، ويصلون جماعات جماعات، وربما توقد الشموع وتضاء المصابيح ويحيون هذه الليلة بالذكر والدعاء.

4 -الاحتفـال بشهـر رمضـان:

أما شهر رمضان فله احتفالاته وعاداته الخاصة، يقول آدم متز[1]:« وكان شهر رمضان هو الشهر الذي يتجلى فيه منتهى الكرم عند المسلمين.»

يتفرغ الأئمة في هذا الشهر لإقامة صلاة التراويح في مختلف المساجد حيث أشار إلى ذلك الدرجيني[2] في قوله:« لما مات أبو مسور بن يوجين اليراسني، وكان ابنه زكريا حينئذ يصلي في المحراب بالناس قيام رمضان...»

ويفرد للعشر الأواخر من رمضان نوع خاص من العبادة، حيث يختم في كل ليلة وتر القرآن ابتداء من ليلة إحدى وعشرين. ومن الأمور الجارية مجرى العادة حسب إبراهيم أعزام[3]:« ما وقع بين الإباضية والمالكية، حيث كان الحياء والوقار والالتحام أقوى، أن إمام المالكية يجيء ليلة سبعة وعشرين من رمضان ويقرأ مع طلبة العزابة جزء النمل...

ومن ذلك أيضا أن طلبة الإباضية يقرأون القرآن تماما ليلة سبعة وعشرين من رمضان واحدا بعد واحد.»

5 - الاحتفـال بعيدي الفطـر والأضحـى:

أما احتفالهم بعيدي الفطر والأضحى فتتجلى فيهما مظاهر الفرح والسرور بين أفراد المجتمع الوارجلاني كبيره وصغيره، غنيه وفقيره، وتتوطد العلاقات الأسرية وتسود المحبة والتكافل الاجتماعي. يقول آدم متز[4] :« أما العيدان الدينيان عند المسلمين فهما عيد الفطر وعيد الأضحى، كان يحتفل بهما بالأبهة الإسلامية احتفالا رسميا، ويبلغان منتهى الروعة والأبهة في البلاد التي يكون الشعور الإسلامي فيها أقوى.»

---

[1] آدم متز: المرجع نفسه،ج2، ص 718.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 167.
[3] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 66.
[4] آدم متز: المرجع السابق،ج2، ص 716.

ففي صباح العيدين يحرص الجميع على أداء الصلاة، وعقب انتهائها يسارع الناس إلى تهنئة بعضهم بعضا. ويقدم إبراهيم أعزام[5] صورة عن التعايش المذهبي بين الإباضية والمالكية فيقول:« وكذلك يوم العيد حين تخرج الإباضية من مسجدهم بعد صلاة العيد يقفون صفا واحدا على حايط المسجد، فيأتي إمام المالكية وطلبته ويعيدون عليهم، ثم يفترقون في غبطة وسرور.»

ثم يتم تبادل الزيارات العائلية في جو يسوده التسامح والدعوة بالمغفرة والرحمة ويتبادل الجميع الهدايا والعطايا.ومن حميد عاداتهم أيضا اعتناؤهم بالأيتام ومساعدتهم والتكفل بهم خلال المناسبات الدينية.

ثم يتوجه الناس إلى المقابر داعين للأموات بالرحمة والمغفرة، وتجدر الإشارة هنا إلى عادة حميدة حول الجنازات يلخصها الدرجيني[1] في قوله: « إن أهل وارجلان إذا مات أحد من فضلائهم في أي قرية من قراهم، بعثوا إلى جميع أهل القرى ليحضر فضلاؤهم جنازته، فكانت هذه عادتهم، فلا يعجلون بدفن من يموت عندهم حتى يشهدوا جنازته جماعتهم.»

وقد طرحت مسألة صيام العيد، حيث ذكر الدرجيني[2] أن:« رجلا نكاريا سأل الشيخ أبا صالح: أيجوز صوم العيد.؟ فقال: لا. قال: فلم تصومون يوم الجمعة وقد علمتم أنه عيد؟ قال: أرأيت إن كان في رمضان. فلم يجد جوابا.»

6 -أعياد جني التمر:

ومن عادات الوارجلانيين الاحتفاء بموسم جني التمر وقد حفظت كتب السير صوراً من ذلك. يقول الشماخي[3]:« وذكر أبو طاهر أنه اشترى جملا فعلفه حتى سمن فنحره أيام التمر.» فكانت غلة التمر تقسم على المحتاجين والمعوزين لسد حاجاتهم ويكرمون به ضيوفهم أيضا.

7- دق الطبل:

---

[5] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 66.
[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 264.
[2] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 178.
[3] الشماخي: المصدر السابق، ص 333.

ومـن العادات المنسوبة إلى أهل وارجلان ضرب الطبل.يقـول إبراهيم أعزام[4]:« وأقوى من هذا أنه يوجد ببني واكين الطبل الكبير المجلوب من بلاد سدراتة عند خرابها وهذا الطبل معـد لتنبيه الأهالي عند إغارة العدو على البلاد أو عند حدوث شيء من المزعجات أو المفرحات وهو من النحاس الأحمر ويغلف بجلد البعيـر وله صوت قوي يسمع من بعيد ومقره إلى الآن عند أولاد الطبولة القادمين من بلاد سدراتة ومثل هذا كان في تيهرت وجبل نفوسة.»

وبما أن الطبل معد للمزعجات والمفرحات، فربما قد يستعمل في شهر رمضان لإيقاظ الناس إلى السحور أيضا. وقد استعمله التجار الوارجلانيون في سفرهم إلى بلاد التبر حيث ذكر جودت عبد الكريم يوسف[1] أن:« التجـار يستصحبون الإدلاء والسماسرة من غانة ويتجهون إلى بلاد التبر ولهم خط لا يتجاوزه أحد منهم. فإذا وصلوا إليه ضربوا طبولا تسمع على بعد ليعلم السود بوصولهم.»

ب) - الأزمـات والآفـات الاجتماعيـة:

من الأزمات والآفات التي شهدها المجتمع الوارجلاني خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (11و12 م):

1 -الأمـراض والأوبئـة وما يتصـل بها:

أشارت كتب السير إلى انتشار الأوبئة بوارجلان ومن ذلك ما ذكره الدرجيني[2] في قوله:« ذكر أبو سليمان داود أن الوباء وقع في آجلو سنة من السنين، فأضر بأهلها في جناتهم وآذاهم أذى كثيرا، واقتضى نظرهم أن يجتمعوا ويصوموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة،ولما صلوا صلاة العصر يوم الجمعة خرجوا إلى محراب المقبرة وهو موضع معروف بالبركة واستجابة الدعاء واجتمعوا عنده وقرأوا وتطوعوا بالمعروف وعادتهم أن يحضروه ويدعوا، ثم حضرت صلاة المغرب وصلى بهم إمامهم يونس بن أبي الحسن، فلما صلى دعا الله أن يرفع عنهم الوباء ولم يصبحوا حتى لم يجدوا له أثرا.»

---

[4] إبراهيم أعزام: المصدر السابق، مخ، ورقة 8-9.
[1] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 276.
[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 263.

وقد ينجر عن هذه الأمراض والأوبئة وفيات وانتشار المجاعات، وقد أشار إلى ذلك الشماخي[3] في قوله: « وعن أبي طاهر وقعت مجاعة بوارجلان، وكان الشيخ ينفق على الفقراء، فنفذ ما في البيت من التمر.»

ومن جملة الأمراض التي انتشرت بوارجلان مرض الجُذام، جاء على لسان الدرجيني[1] أن:« أبا سليمان أيوب بن إسماعيل – من علماء الطبقة الحادية عشرة 500-550 هـ ، قد ابتلاه الله ببعض ما ابتلى به أولياؤه، فعم جسده الجذام ولازمه أشد لزام، ولازم المضجع لا حركة له.»

ومن ذلك أيضا تأثير الجراد على الزراعة بإتلاف محصولها، فقد ذكر الشماخي[2] أنه:« نزل بضيعة الشيخ ينكول بن عيسى المزاتي الجراد وكان يتلفها.»

2 -مظاهر الانحراف السلوكي والأخلاقي:

أ) - ظاهرة اللصوصية والسلب والنهب:

تمثل هذه الظاهرة إحدى السلوكيات المنحرفة في المجتمع الوارجلاني وتشمل سرقة أموال الأغنياء والمواشي والعبيد والإماء وقطع الطريق على الحجاج وما إلى ذلك يقول الدرجيني[3]:« ذكر أبو الربيع الوسياني قال: أغارت غارة لبني توجين على رأس وادي أريغ فساقت غنمهم، فاتبعتهم عدة من المشايخ منهم: ماكسن وأبو العباس الوليلي وعيسى ابن يرصوكسن وعبد الله الدمري، فلم يلتحقوا بهم إلا عند أحيائهم فلبثوا مدة يستردون، حتى استردوا الغنم بجملتها... وغارت غارة لبعض العرب على وارجلان فساقوا عدة من الإماء.»

وأضاف قائلا[4]:« أن أبا سليمان أيوب بن إسماعيل كان في رفقة كبيرة، فلما صاروا بين وارجلان وأريغ، أغارت عليهم خيل كثيرة فبادر أبو سليمان إلى دفن الأموال واستباح الأعراب جميع ما في الرفقة من قليل وكثير وجليل وحقير وأسروا الرجال.»

ب) - انتشار مظاهر الفساد والفتن:

---

[3] الشماخي: المصدر السابق، ص 332.
[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 285.
[2] الشماخي: المصدر السابق، ص 364.
[3] الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 257.
[4] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 285.

عرف المجتمع الوارجلاني انتشاراً لمظاهر الفساد وكثرة الفتن ويظهر ذلك من خلال الروايـات التي ذكرتها كتب السير، حيث يروي الدرجيني[5] أن: « محمد بن سليمان زار أبا عبد الله محمد إذ هو بإيفرن ورغب في المسير إليه. فقال له: تصل إلى وارجلان فترى الناس ويرونك ويتبركوا بك. فقال: مالي ولقوم عمدوا إلى مكتل عظيم فجعلوا فيه القدور والشقف والملاحف وخلطوا ما لا ينبغي أن يخلط . قال الشاعر:

لا تخلطـن خبيثـة بطيبـة واخلع ثيابك منها وانج عرياناً. »

وقال أيضا[1]:« حكي عن إسماعيل البصير بن ملال المزاتي أنه زار أهل الدعوة فاجتاز على بلاد أريغ وعلى كدية بني غمرة وهم قوم ظلمة فتاكون، أهل فساد وغارات وفي المنزل قوم صالحون، فرغبوا إليه بأن يبيت عندهم ضيفا تلك الليلة. فقال: لا يحل المبيت عند قوم أظهروا المظالم، وأعلنوا المناكر. فإذا قيل لهم: انقادوا إلى الحق لا ينقادون ولا يذعنون.»

ومن جملة الفتن التي عرفها المجتمع الوارجلاني وأخطرها الفتنة في الدين والصراع بين المذاهب الفقهية، ومن ذلك ذكر الدرجيني[2] أنه:« وقعت فتنة ببـلاد أريغ سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وهي فتنة خيران وتاغمرت وهي أول فتنة وقعت بين وهبية أريغ، فلم يكن لأبي يعقوب يوسف بن الشيخ مقام، فهرب إلى وارجلان، فكان بتماواط وهرب أبو صالح من وغلانة، فقضى الله بوفاة أبي يعقوب بتماواط.»

ومن ذلك أيضا الصراع بين المالكية والوهبية (الإباضية)، يقول الدرجيني[3]: « كان تلامذة أبي الربيع سليمان بن يخلف من أهل سوف وأريغ وورجلان وقسطيلية والزاب حلقوا على أبي محمد في تين زراتين، وكانت الفتنة حينئذ بين بني تاكسينت: وهبيتهم ومالكيتهم، والوهبية منهم قبيلة يقال لها بنو يريتن والمالكية من عداهم من قبائل بني تاكسينت فكانت بينهم الفتنة.»

ويستخلص مما سبق أن المجتمع الوارجلاني مثلما شهد الازدهار العلمي والثقافي عرف سلوكيات منحرفة من فساد ولصوصية ولعل أخطرها تلك الصراعات المذهبية والدينية، وتلك سنة الله في الكون أن يتعايش الخير والشر، الجور والعدل، الوفاء والخيانة إلى

---

[5] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 207.
[1] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 234.
[2] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 269.
[3] الدرجيني: المصدر نفسه، ج 2، ص 302.

أن يرث الله الأرض ومـن عليها. مصداقا لقول الله عز وجل: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون.)*

* سورة الأنبياء: الآية 35.

الخاتمة

لعل من أهم النتائج المستخلصة من دراسة تاريخ وارجلان الاجتماعي والثقافي ما يلي:

فعلى الصعيد الطبيعي شكلت وارجلان عاصمة لبلاد كثيرة في الصحراء الكبرى من بلاد المغرب، حيث تعددت قراها ومدنها حتى فاقت المائة وخمس وعشرين بلدة وامتد ترابها حتى بلاد السودان. كما كانت وارجلان مركزا هاما ببلاد المغرب الأوسط، ولا يقصد بوارجلان اسم المدينة فقط، بل كذلك اسم المنطقة المحيطة بها واسماً لإقليم كبير تعددت أسماؤه: وركلا – ورقلان – ورجلة ...

تحدى الإنسان الوارجلاني قساوة المناخ والطبيعة، فأحيى موات الصحراء وحول الصحراء الجرداء المحرقة إلى جنات فيحاء، وحفر الآبار وشق الترع ومدّ السواقي تحت الأرض وفوقها وشيد العمران، ولأدل على ذلك من بقايا حضارة سدراتة العريقة.

أدى تنوع البيئة الطبيعية لوارجلان إلى تنوع مصادر الحياة: مياه، زراعة، رعي، وبداية الاستقرار وتحسن المستوى المعيشي.

فكان لا مناص من أن يكون لهذا الوسط الجغرافي أثره في التاريخ السياسي والاجتماعي لوارجلان ونواحيها.

أما على الصعيد السياسي فاهم ما يستخلص منه:

المكانة التي حظيت بها وارجلان عند الاباضية، حيث تظهر أهمية هذه المدينة في احتضانها لهم بعد ضغط حكام الدولة العبيدية، فاتجه الإباضية إلى جميع الجهات وكان اتجاههم الأبرز نحو الجنوب الشرقي حيث انجذب دعاة المذهب الإباضي إليها وتكتلوا بالواحات لتمتعها بالأمن والاستقرار، ورغبة منهم في اتخاذها قاعدة لنشاطهم ومحاولاتهم لإحياء أمجادهم بعد سقوط تاهرت. وتمكن الإباضية من المحافظة على كيانهم بعد سقوط الدولة الرستمية فتنقلوا من إمامة الظهور إلى إمامة الكتمان.

وقد تمتعت وارجلان بنوع من الاستقلالية، فلم تكن تابعة لأية سلطة، فالسلطة العليا لجمهور العزابـة فهي الهيئة العليا في البلاد ولها النفوذ الروحي على العامة، وظلت كذلك حتى تغلب عليها المنصور الحمادي، ففر الاباضية في أعقاب ذلك إلى ديار بني مصعب ما بين سنتي 481 و498هـ.

كما أن الفتن والمؤامرات التي عرفتها وارجلان شكلت عائقا أمام تحقيق إنجازات حضارية.

وفي المجال الاقتصادي فإن وارجلان تعد المحور الأساس لهذه المنطقة الشاسعة الممتدة عبر وادي مية، فهي تمثل احدى حلقات الوصل التجارية الهامة، فارتبطت بشبكة من الطرق و المراكز التجارية المختلفة كبلاد السودان، فحملت القوافل من وإلى وارجلان منتجات ضرورية وكمالية متنوعة، كما اعتبرت باباً لمعدن التبر أو ميناء صحراوي تتجمع فيه البضائع ثم تصدر إلى مناطق مختلفة.

وانعكست نتائج هذا النشاط على الداخل والخارج حيث ساهم الوارجلانيون في عمارة طرق المواصلات، بإنشاء محطات الاستراحة للقوافل و اهتموا بحفر الآبار وتزويد المسافرين بالمؤونة نظراً لطول المراحل.

ولعل أهم النتائج الإيجابية للتجار الوارجلانيين هي المساهمة في نشر الاسلام بين أهالي بلاد السودان، حيث رافق القوافل التجارية أعداد من العلماء والدعاة فجلبوا منافع مادية وغرسوا منافع روحية. إلا أن التجارة التي جلبت الأرباح الطائلة لوارجلان ونواحيها جلبت لها العداء أيضا، عبر حملات عدائية استولت على أهم طرق التجارة وعلى مصادر الذهب.

أما في المجال الاجتماعي فإن سكان وارجلان الأصليون بربر من قبيلة زناتة، وكان الزناتيون في بداية أمرهم رحل واختلطوا بمن سبقهم من بربر في مناطق مختلفة في شمال إفريقيا ولكن أغلبهم استقر في الواحات الصحراوية، وتخلوا عن حياة الترحال جزئيا أو كليا، حيث سكنت القبائل الزناتية قبل حلول العرب مناطق عديدة من صحراء المغرب الأوسط مثل الأغواط، وادي أريغ، وادي سوف ووارجلان.

ومن فروع زناتة قبائل بني وركلا حيث استقروا ببلاد وارجلان بعد الحروب التي شنها العرب الفاتحون ضد السكان الأصليين ومن اسم القبيلة استمدت وارجلان اسمها.

إن وقوع وارجلان على الطريق التجاري الذي يربط المغرب الأوسط ببلاد السودان ساهم في ازدياد الهجرة إليها، مما أدى إلى اتساعها فكثرت المساكن وشيدت المباني واتسعت الأسواق.

ولعل أبرز الوافدين جموع بني هلال وبني سليم، فكون العرب منذ القرن الخامس الهجري (11 م) عنصرا جديدا في سكان وارجلان خاصة وسيكونون على علاقات مستمرة مع البربر يساكنوهم ويمتزجون بهم شيئا فشيئا، وكانت نتيجة هذا الاتصال المستمر، هذا المزيج بين عرب بني هلال وبني سليم من ناحية و البربر من ناحية أخرى- من الناحية اللغوية- هي تعريب البربر.

وبهذا عرف المجتمع الوارجلاني خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين تركيبة اجتماعية متنوعة الأعراق، تنافرت في بعض الأحيان وتمازجت وتزاوجت أحيانا أخرى، فأدى هذا التنوع العرقي إلى تنوع وثراء من حيث العادات والتقاليد وتعدد أنماط المعيشة داخل المجتمع الوارجلاني.

سادت المجتمع الوارجلاني عادات وتقاليد لم تخرج في سياقها عن مبادئ الشريعة الإسلامية، إلا أن المجتمع لم يخلو من سلبيات حيث انتشرت الآفات الاجتماعية والأخلاقية بفعل الفتن والحروب والانحراف عن مبادئ الدين الحنيف أو نتيجة للفقر أو سوء التربية كاللصوصية وغيرها.

على المستوى الثقافي تأثرت وارجلان بالحضارة الإسلامية منذ عصر الفتوح وتشبث أهلها بالدين الإسلامي وتعاليمه واحترام العلماء وتقديرهم، وقد نبغ فيها كثير من رجال العلم والإصلاح أبرزهم: عبد الله محمد بن بكر، وأبي عمار عبد الكافي وأبي يعقوب يوسف الوارجلاني وغيرهم كثير ممن حفظت كتب التاريخ والتراجم أسماؤهم.

وعلى ضوء ذلك تميزت الحياة الفكرية بوارجلان بما يلي:

- انتشار العلم والتعليم في شتى ربوع إقليم وارجلان ليشمل مدن أريغ، سدراتة، تاجديت وغيرها.

- اهتمام أغلب علماء هذه الفترة – القرنين الخامس والسادس الهجريين – بالعلوم الدينية (علوم القرآن والحديث) وتخصيص معظم إنتاجهم لها.
- مساهمة وارجلان في بعث حضارة الرستميين في صورة جديدة، فنشطت الحركة العلمية وشيدت القصور وأسهمت مجالس العلم وحلقات الدرس في تغذية روح حب العلم.
- سعي البربر إلى تعلم اللغة العربية، فدأبوا على تعلمها وتعليمها، فكان الكثير من طلبة العلم يشدون الرحال إلى البلاد العربية، حيث يغلب اللسان العربي لصقل ألسنتهم وتعلم العربية لغة القرآن الكريم.
- تعدد المذاهب الفقهية واتساع حلقات المناظرة، مما أدى إلى نشاط واسع تمثل في حركة التأليف.
- انتشار المذهب المالكي بفضل حركة المرابطين خلال القرن الخامس الهجري، حيث لا يزال سائداً إلى اليوم.

ولعل أهم الانجازات الثقافية خلال هذه الحقبة هو وضع نظام حلقة العزابة، حيث تشرف هذه الهيئة على كل ما له علاقة بحياة الأمة من وعظ وإرشاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وقمع للعصاة والمتمردين على الشريعة والمجتمع.

ضف إلى ذلك مساهمة وارجلان في إيصال الإسلام إلى بلاد السودان مثل غانة وغيرها، فقد كانت ترد على علمائها رسائل في مسائل الدين، وبفضل جهود دعاتها وتجارها توغل الإسلام إلى غرب إفريقيا.

الملاحق

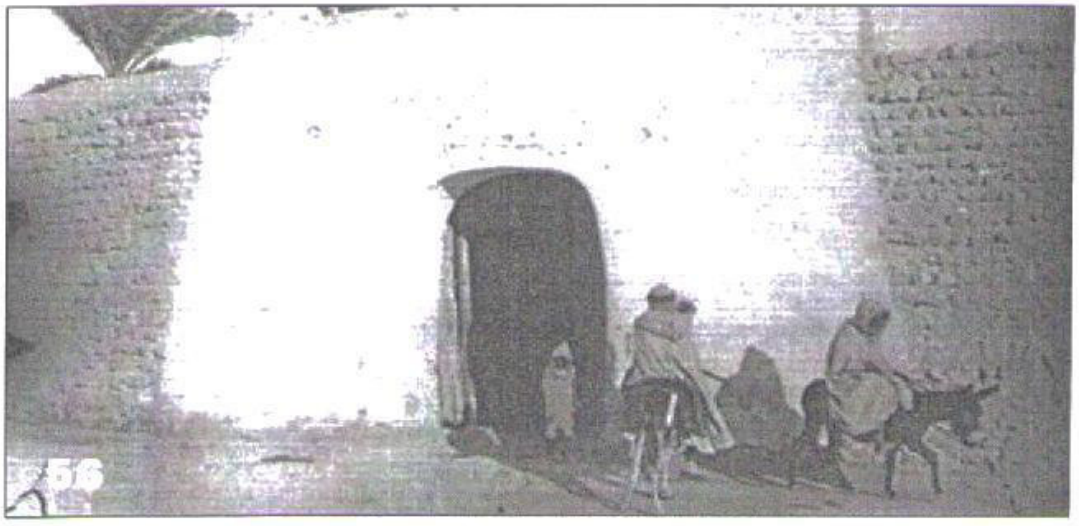

بوابات وأسوار قصر ورقلة

المرجع مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ص34

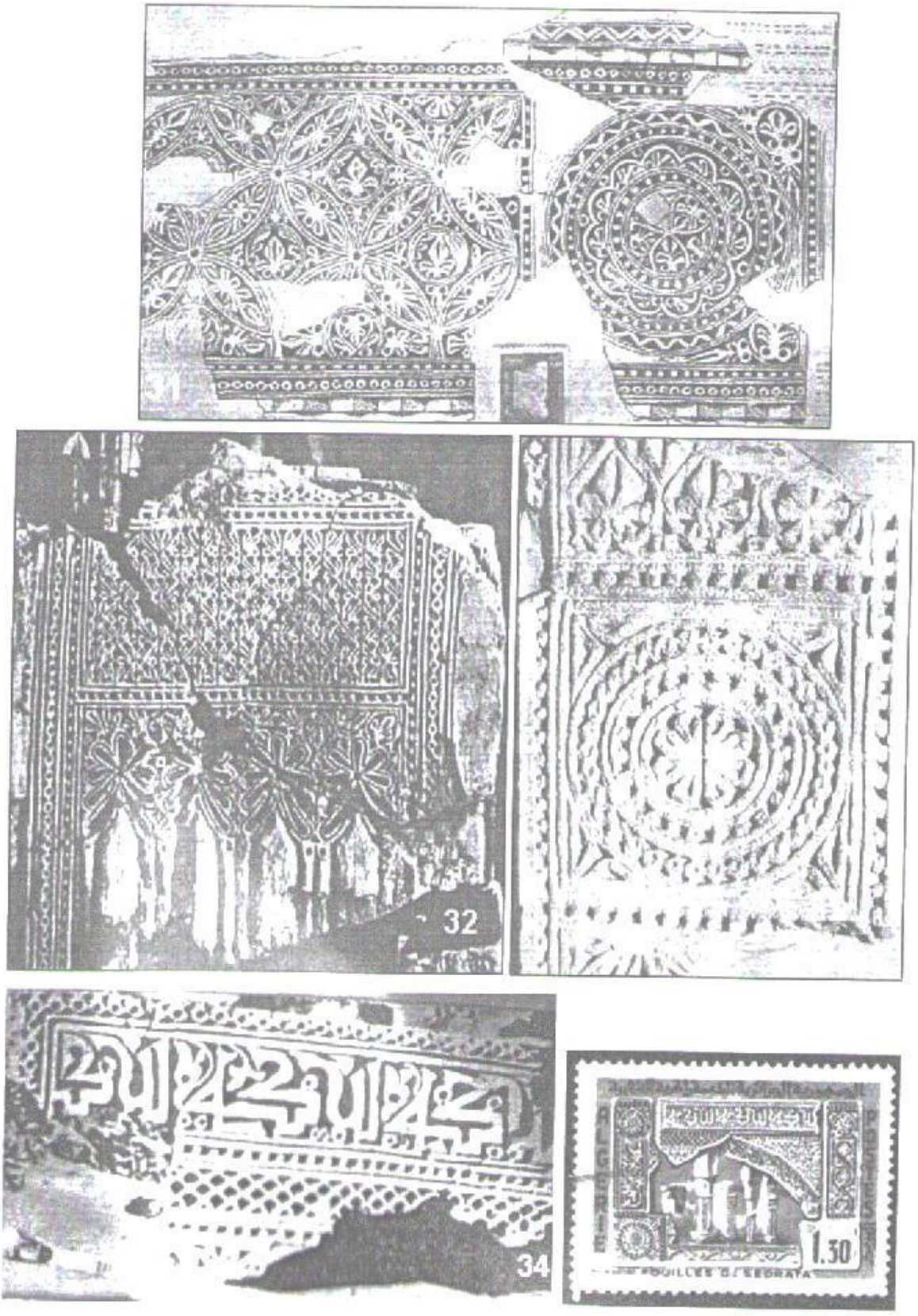

بعض الزخارف من سدراتة

المرجع مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ص22

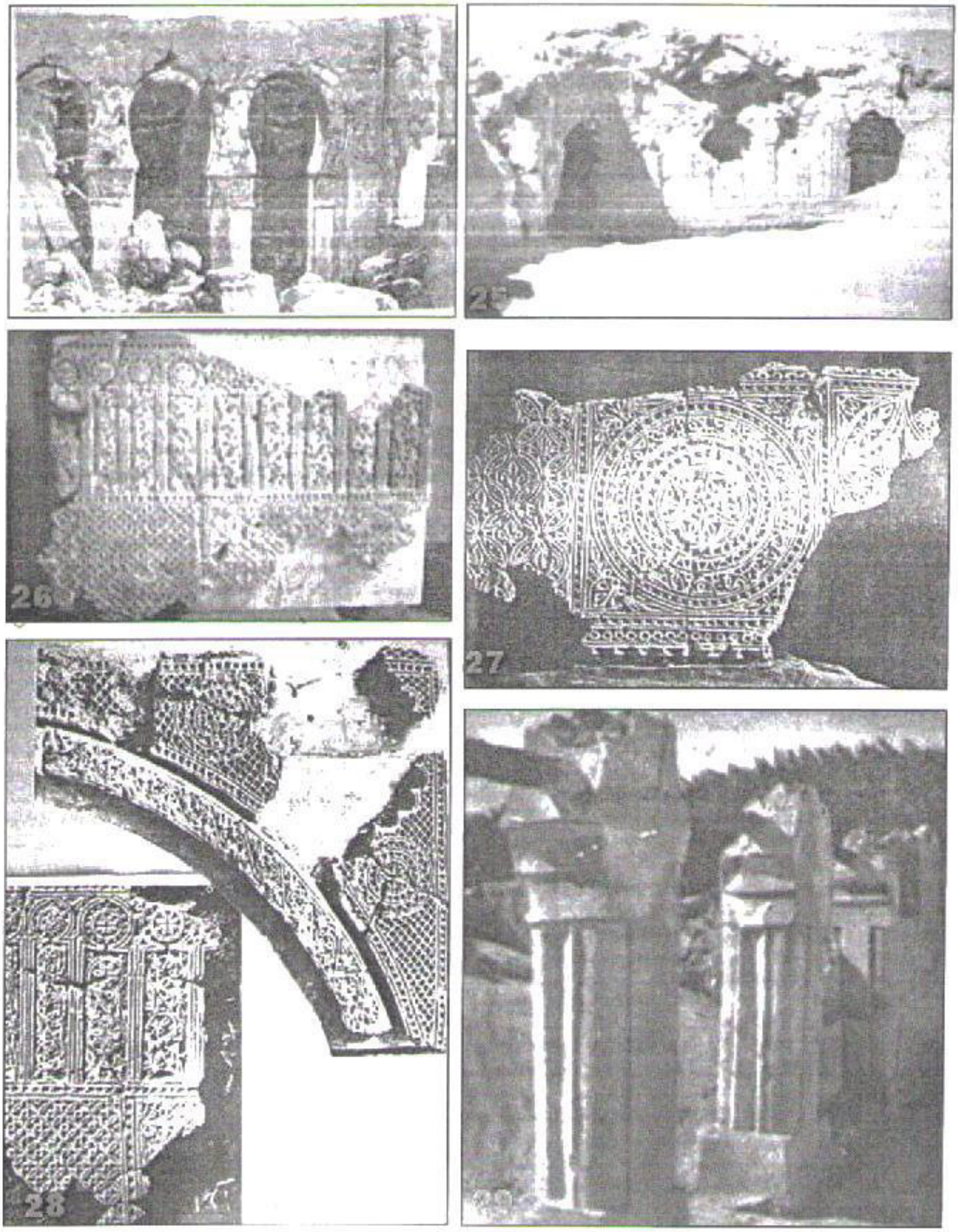

بعض الزخارف من سدراتة

المرجع مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،ص22

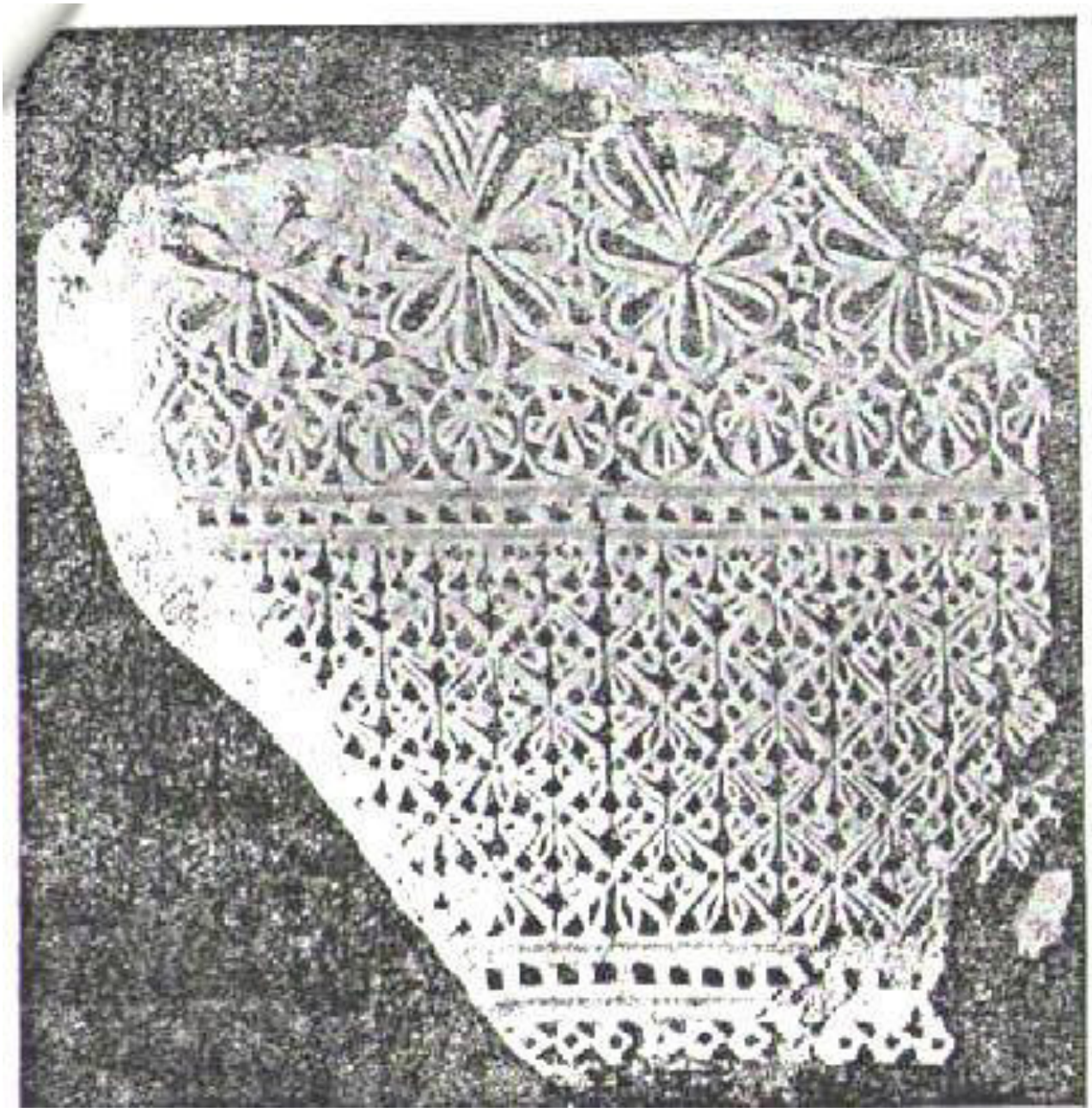

نقوش من الجبس من أثار سدراتة

المرجع محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص 547.

موجات الكثبان الرملية الصغيرة – جنوب ورجلة (الجزائر)

المرجع سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج4، ص 49

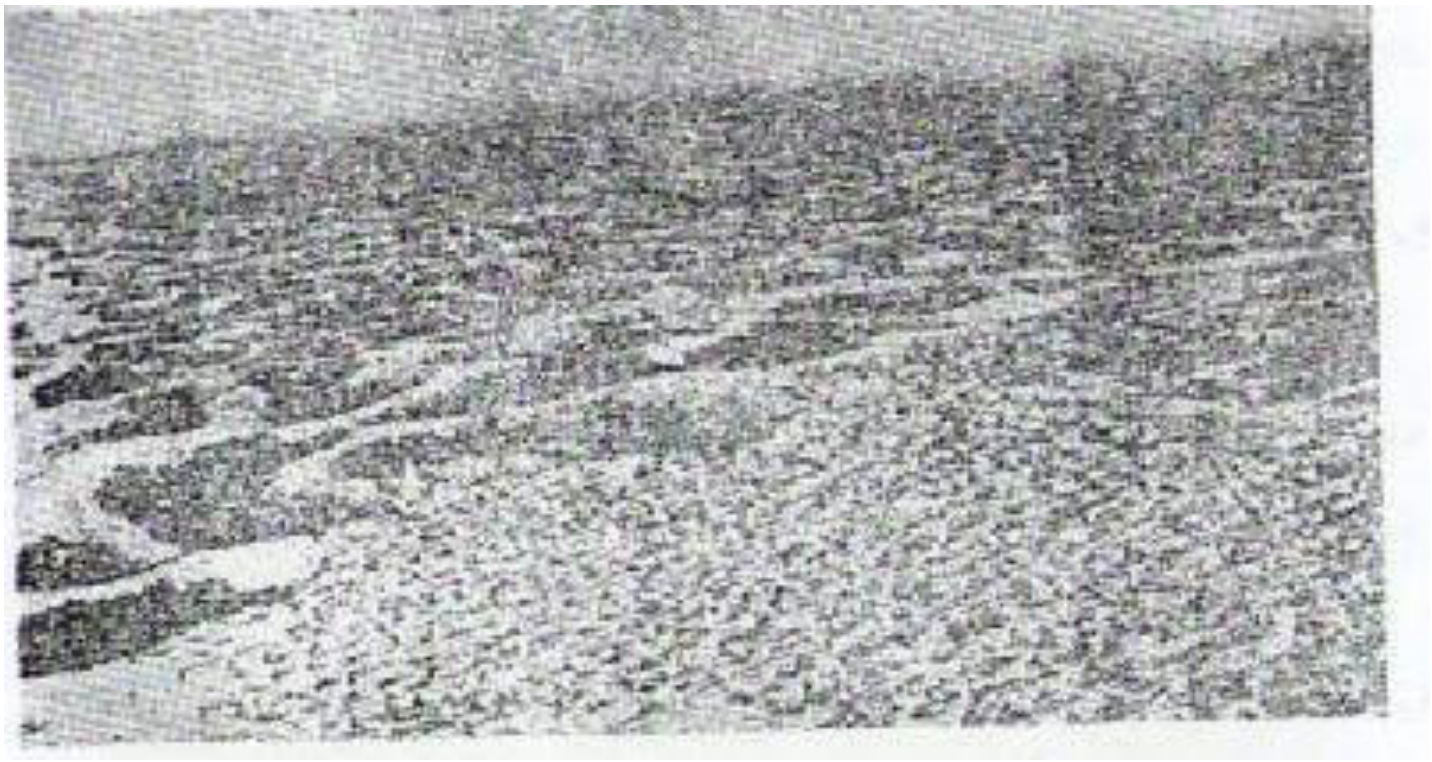

وادي سوف (الجزائر) – المدينة في المقدمة وغابات النخيل بين كثبان الرمل

المرجع سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي،ج4 ، ص 87

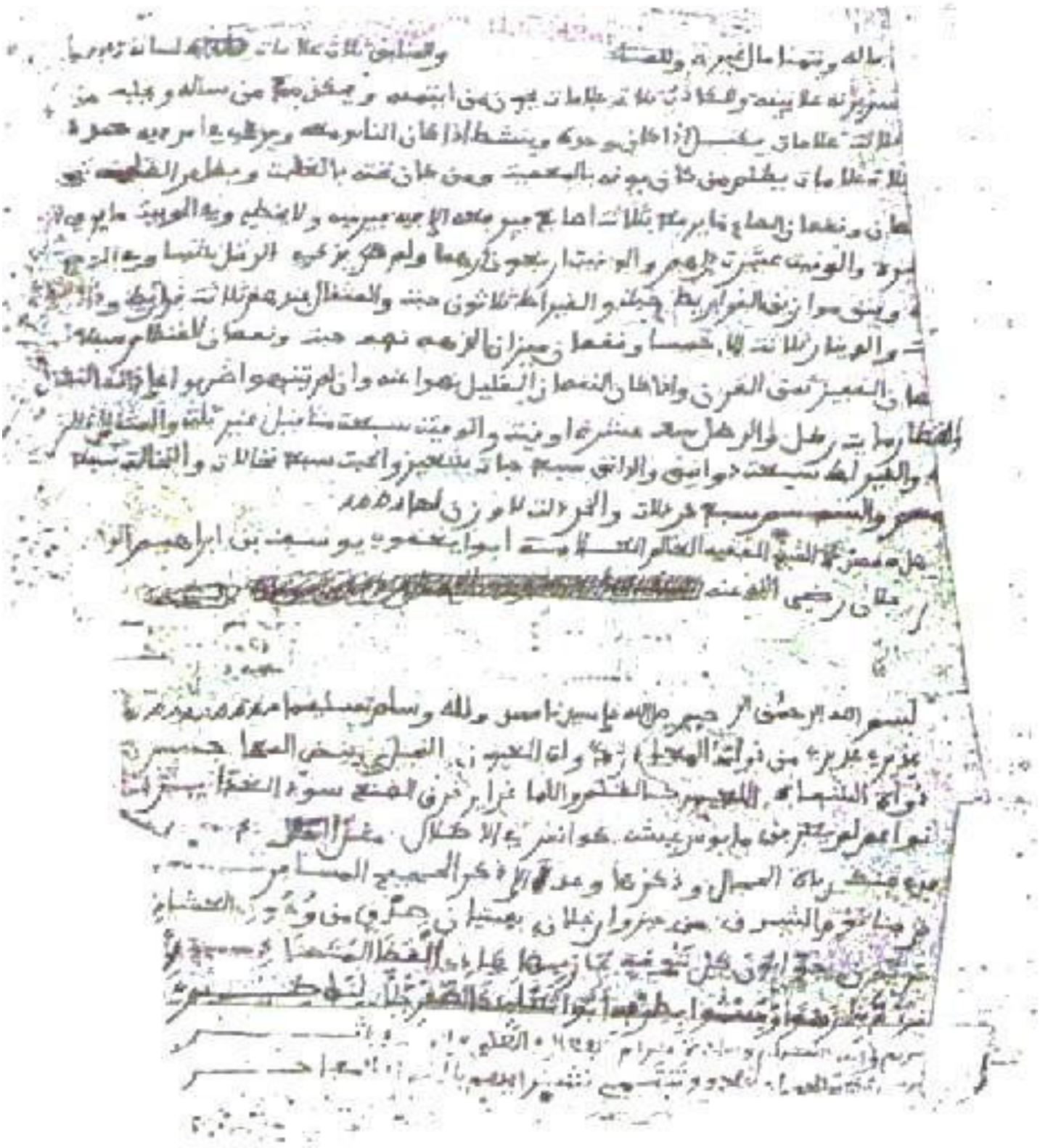

الورقة الأولى من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة الأم – أ –

المرجع أبو يعقوب يوسف الوارجلاني:الرحلة، ص 94.

الورقة الثانية من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة – أ –

المرجع أبو يعقوب يوسف الوارجلاني:الرحلة، ص95.

الورقة الأخيرة من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة الأم – أ –

المرجع أبو يعقوب يوسف الوارجلاني:الرحلة، ص96.

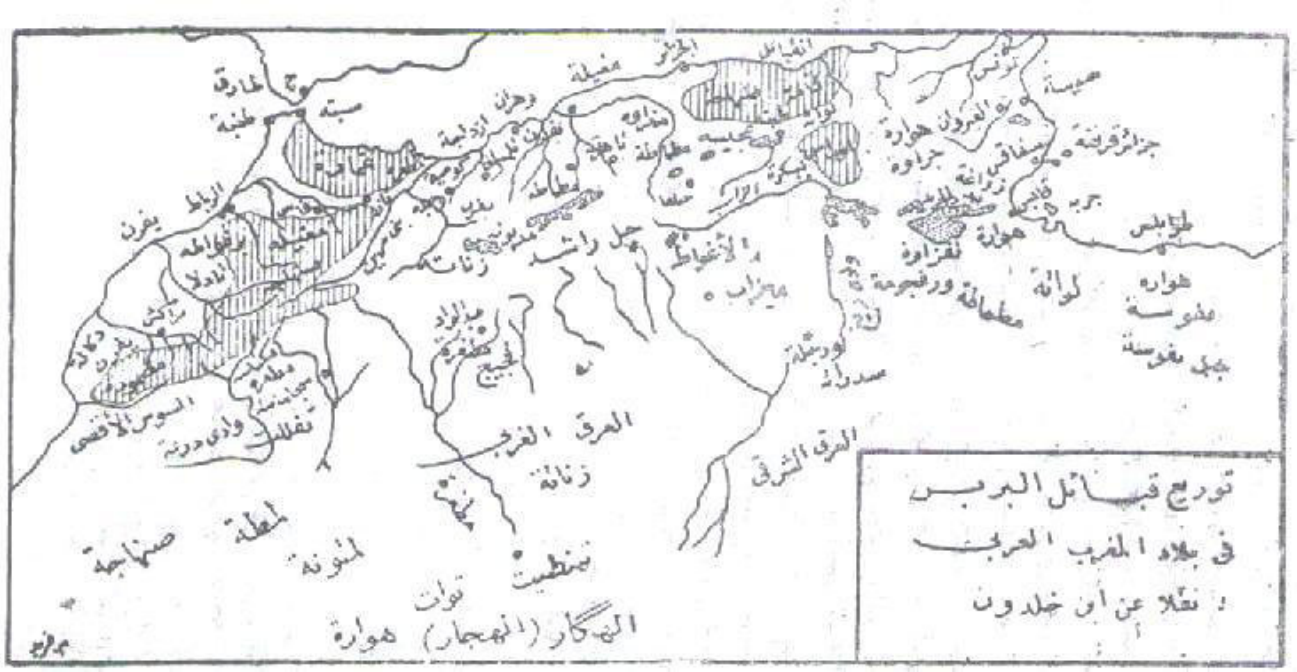

مواطن البربر بأفريقية والمغرب

المرجع سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص 92.

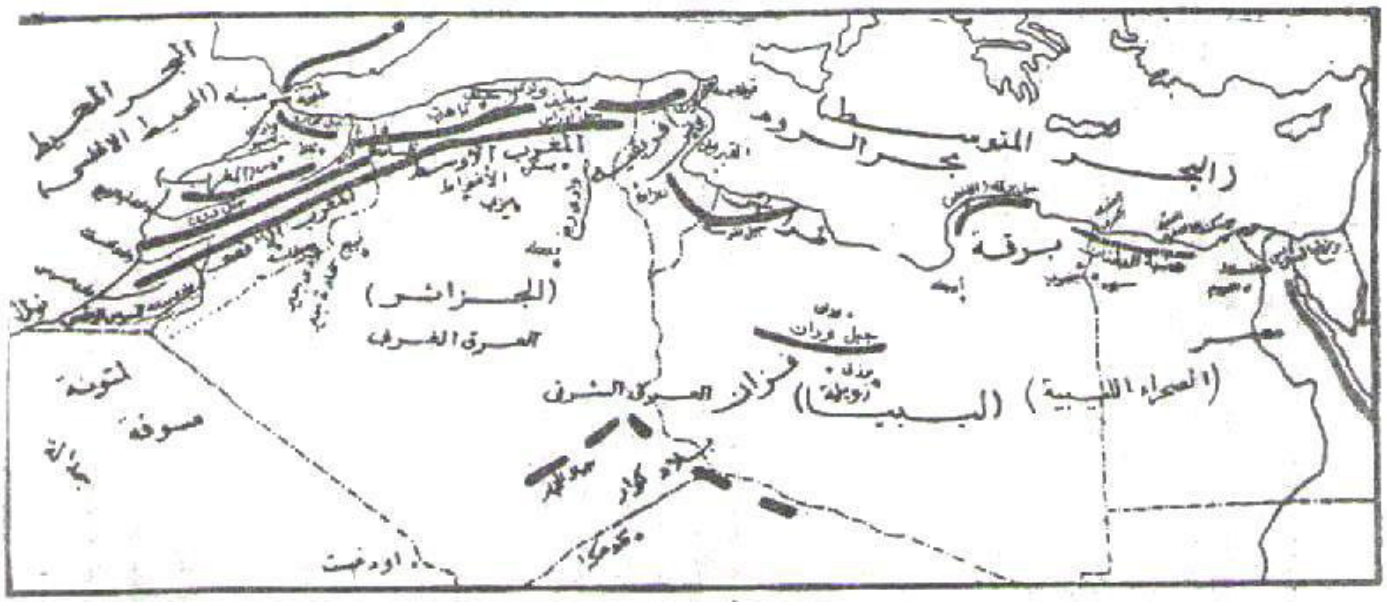

بلاد المغرب (ومصر) – الشكل الطبيعي والأقاليم المختلفة

المرجع سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص 76

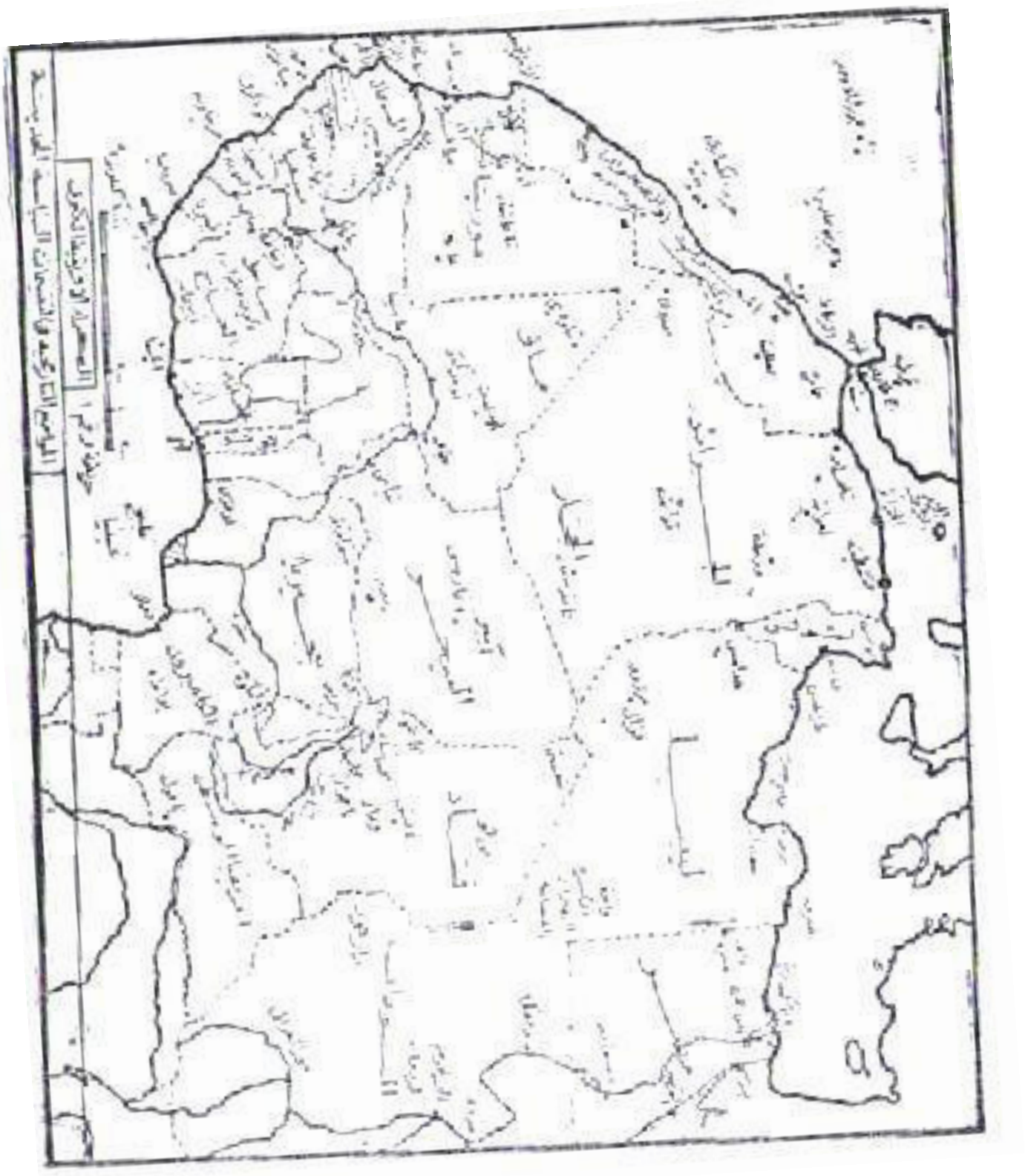

الصحراء الأفريقية الكبرى - المواقع التاريخية في التقسيمات السياسية الحديثة

المرجع سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج4، ص 47

مصادر البحث ومراجعه

مصادر البحث ومراجعه

أ. المصادر:

القرآن الكريم

1. ابن أبي دينار،أبو عبد الله بن محمد بن أبي قاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، تونس،(د.ت).
2. الإدريسي الشريف: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبع ليدن، بريل، 1864م
3. أعزام ابراهيم:غصن البان في تاريخ وارجلان، مخ،جمعية التراث،غرداية،الجزائر.
4. البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد افريقية وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد، (د.ت).
5. البلاذري بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان،ج1، تح: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956م.
6. الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1975م.
7. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، ط2، ليدن، بريل، 1938م.
8. ابن جميع، أبو حفص عمرو: عقيدة التوحيد، ط3، تح: عمر بن أحمد بازين، غرداية، الجزائر، 1424هـ/2003م.
9. الجيطالي، أبو طاهر اسماعيل بن موسى: قناطر الخيرات، ط1، غرداية، الجزائر، 1419هـ/1998م.
10. ابن خلدون عبد الرحمان: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6 و7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1968م.
11. الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشايخ بالمغرب، ج1و2، تح: ابراهيم محمد طلاي، الجزائر، 1974م.
12. الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح، تح: أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).

13. أبو زكريا يحيى بن أبي بكر: سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر،1399هـ/1997م.

14. الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب السير، تح: محمد حسن، تونس، 1995م.

15. ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م.

16. ابن عذارى المراكشي، أبو عبد الله محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، ط3، تح: ج، س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

17. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998م.

18. ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء اسماعيل: تفسير القرآن،ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م.

19. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2، تح: محمد حلمي ومحمد أحمد، القاهرة، 1342هـ.

20. أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي: الملل والنحل، تح: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م.

21. الناصري، أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج5، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،المغرب، 1954م.

22. الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم: الرحلة، تح: يحي بن بهون، غرداية، الجزائر، 2006م.

- الدليل والبرهان،ج2، ط2، تح: سالم بن حمد الحارثي، مسقط، عمان، 1427هـ/2006م.

23. الوزان حسن (المعروف بليون الإفريقي): وصف إفريقيا،ج2، ط2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

24. الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان:سير الوسياني،ج1، ط1، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، مسقط، عمان، 1430هـ/2009م.

25. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح: البلدان، مطبعة ليدن، بريل، 1860م.

ب. فهرس المراجع:

1. أبو صوة محمد أحمد: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، فاليتا، مالطا، 1977م.

2. آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ج2، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، تونس، 1405هـ/1986م.

3. اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

4. أعوشت بكير بن سعيد: وادي ميزاب في ظل الحضارة الاسلامية، دينيا، تاريخيا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1991م.

- أبو يعقوب يوسف الوارجلاني والمدارس الكلامية الاسلامية، غرداية، الجزائر، 1986م.

5. ألفرد بل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.

6. بحاز إبراهيم بن بكير: الدولة الرستمية (160-296هـ/177-909م)، الجزائر، (د.ت).

7. الباروني، سليمان بن عبد الله: الأزهار الرياضة في أئمة وملوك الاباضية، ط3، تح: أحمد كروم وآخرون، دار البعث، 1423هـ/ 2002م.

8. بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها، أعيانها،ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

9. بونار رابح: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

10. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).

11. حاجي عبد الرحمان: ورقلة تاريخ وحضارة، ج1، الجزائر، 2011م.

12. الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية 160-296هـ، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/1987م.

13. حمودة عبد الحميد حسين: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي منذ الفتح الاسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2007م.

14. حواله يوسف بن أحمد: الحياة العلمية في افريقية، المغرب الأدنى منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ)، ج2، ط1، مكة، السعودية، 1421هـ/2000م.

15. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: تاريخ الجزائر العام،ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

16. خليفات عوض: النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في افريقية في مرحلة الكتمان، عمان، 1982م.

17. دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير،ج3، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ/1963م.

18. الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م، ط1، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

19. زغلول عبد الحميد سعد: تاريخ المغرب العربي،ج1، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، 1995م.

20. حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.

21. حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في افريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م.

22. سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب الاسلامي، الاسكندرية، مصر، 2008م.

23. السيد محمود: تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2000م.

24. شارل أندري جوليان: تاريخ افريقية الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي إلى سنة 1830م،ج2، ط3، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، أوت 1985م.

25. العدواني محمد الطاهر: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

26. العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط1، بيروت، لبنان، 2007م.

27. عواجي غالب بن علي: فرق معاصرة تنسب الى الإسلام، ج1، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 1422هـ/2001م.

28. الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، 2003م.

29. لفيتسكي تادوز: المؤرخون الإباضيون في افريقية الشمالية، ط1، تر: ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الاسلام، بيروت، لبنان، 2000م.

30. لقبال موسى: تاريخ المغرب الاسلامي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2002م.

31. الطمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

32. مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر:مصطفى أبو حنيف أحمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر،1991م.

33. مؤنس حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د.ت).

34. المدني، أحمد توفيق: كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

35. مرمول محمد صالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، الجزائر، 1983م.

36. معمر علي يحي: الاباضية في موكب التاريخ، ج2، تح: أحمد عمر أوبكة، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، (د.ت).

37. موهوبي عبد القادر: ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة، دار البصائر، الجزائر، 2011م.

38. ناصر محمد: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، الجزائر، 1410هـ/1989م.

39. النامي عمرو خليفة: دراسات عن الاباضية، ط1، تح: ميخائيل خوري وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2001م.

ج. الرسائـل الجامعية:

1. أسماوي صالح: نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1406-1407هـ/1986-1987م.

2. بوركبة محمد: الحياة الاجتماعية على عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/ 777 - 909م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران،الجزائر،1420-1421هـ/1999-2000م.

3. شعباني صلاح الدين: التربية والتعليم عند الاباضية بالمغرب الاسلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9-11هـ)، رسالة ماجستير، الجزائر، 2003-2004 م.

4. مديازة صورية: بلاد الزاب من الفتح الاسلامي الى غاية انتقال الفاطميين الى مصر (21-362هـ/642-972م)، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، الجزائر، 1430-1431هـ/2009-2010 م.

5. نايت العيفة: دولـة بني مدرار سجلماسة ودور تجـارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1410-1411هـ/1990-1991م.

د. الدوريـات والملتقيـات:

1. إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، ملتقى وارجلان الحادي عشر للفكر الإسلامي، مج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 06-15 فبراير 1997م.

2. بعيو مصطفى عبد الله: دور الشمال الافريقي في الحضارة والفكر الاسلاميين، مجلة الاصالة، ع24، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، أفريل1975م.

3.بلغراد محمد: الحركة الاباضية في تاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، ع41، السنة6، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، محرم 1397هـ/ جانفي1977م.

4. دهينة عطا الله: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن السادس الى القرن الثامن الهجري ودور تلمسان في هذا الميدان، مجلة الأصالة، ع26، السنة4، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1395هـ/1975م.

5. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: أبو يعقوب يوسف الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان، مجلة الاصالة، ع41، السنة6، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جانفي 1977م.

6. زبادية عبد القادر: ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن 16م، مجلة الأصالة، ع53، السنة السابعة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، محرم 1398هـ/جانفي 1978م.

7. فيغيرا ماريا خيسوس: محمد وعبد الرحمان بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، ع45، السنة 5، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ماي 1975م.

8.القاضي وداد: ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، ع45، السنة5، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر 1395هـ/1975م.

9. لقبال موسى: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مجلة الأصالة، ع41، السنة6، مطبعة البعث، قسنطينةّ، الجزائر، محرم 1397هـ/1977م.

10.مزهودي مسعود: تأسيس وارجلان وسدراتة من خلال الروايات التاريخية، مجلة سدراتة، الأيام الدراسية الأولى حول سدراتة، 23-26أفريل 1997م.

11. مولود قاسم نايت بلقاسم: المسجد جامع وجامعة، مجلة الأصالة، ع46-47، مطبعة البعث، قسنطينةّ، الجزائر، جوان- جويلية1977م.

12. النامي عمرو خليفة: ملامح عن الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري، ملتقى وارجلان الحادي عشر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 06-15 فبراير1977م.

13. نوغاليس سلفادور غوميث: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الاباضية، مجلة الأصالة، ع 46-47، السنة 5، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جوان-جويلية 1977م.

14. بن يوسف سليمان داود: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الاسلامية وتركيزها، ملتقى وارجلان الحادي عشر للفكر الاسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 06-15 فبراير 1977م.

هـ .فهرس المعاجم:

1. بحاز ابراهيم بن بكير وآخرون: معجم أعلام الاباضية، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1420هـ/1999م.

2. الحموي، ياقوت شهاب الدين: معجم البلدان،ج5، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

3. مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الاباضية،ج5، ط1، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م.

4. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب،ج2، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م.

و.المراجع باللغة الأجنبية:

1 G. Aumassip : Néolithique sans poterie de – l'oued Mya, SNED,Alger, 1972.

2. M. Van. Berchem: Sedrata un chapitre nouveau de l'histoire de l'art Musulman compagnes de 1951 et 1952, ars orientalis , Vol1, 1954.

3. M. R. Brigol: Le pays de ouargla, Sahara, Algérien, Paris, 1975.

4. Daumas: moeurs et coutumes de l'Algerie tell, Kabylie, Sahara, Librairie de l'hachette, Paris, 1853.

- Le Sahara Algerien, Paris, 1845.

5. V. Largeau: le pays de rirha, ouargla, Paris, 1879.

6. A. Marie: Contribution a l'etude de la vie sociale et economique de l communauté Ibadite du M'zab Algerie, paris, fevrier 1980.

7. M.G.olivier: Recherches sur l'origine des berberes, Bonne, 1867.

8. G. Trumellet: Les Français dans le desert, Paris, 1863.

ز.الرسائل باللغة الأجنبية:

1. W. Didier: Recherches sur quelques grandes mosquées du M'ZAB et du sahel central, thèse 3eme cycle, paris, Sorbonne, 1990-1991.

2. N. Benkari: La formation des villes du M'ZAB recture d'une architecture Ibadite, thèse 3eme cycle, Grenoble, 1996.

3. T. Lewicki: état nord africain de Tahert et ses relations avec le soudan occidental à la fin du 8 et 9 siècle, cahiers d'études africains, vol 2, cahier 8, Paris, 1962.

فهرس الأعلام

ـأـ

- ابراهيم عليه السلام 126
- ابراهيم بن أبي ابراهيم 80
- ابراهيم بن مطكوداسن 97- 110
- ابراهيم بن معاذ 120
- ادريس عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي أبي طالب 116
- اسماعيل البصير بن ملال المزاتي 152
- الأشعري 85
- افريقش بن قيس الحميري 125
- أفلح بن عبد الوهاب 17-135
- الأصمعي 50
- أم البخت 123

ـبـ

- البخاري (الامام) 98
- برنس 126
- أبو بكر بني محمد 145
- أبو بكر بن يحي 57-78
- أبو بكر الزواغي 21
- أبو بكر الصديق (الخليفة) 22
- البوصيري (الإمام) 147

ـتـ

- تبغورين بن عيسى الملشوطي 121
- الترمذي (الإمام) 98
- أبو تميم 55

ـج ـ

- جابر بن زيد الأزدي 23-30-98-99
- الجاحظ 83
- جانا بن يحي 127
- جالوت 126
- جرجير 125

ـح ـ

- أبو حاتم الملزوزي 24
- الحجاج 30
- أبو حنيفة النعمان 32

ـخ ـ

- أبو خرز يغلا بن زلتاف 25-57-58-75
-أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري :12-22-24-31

ـد ـ

- أبو داوود 98
- دوسرا بنت أبي حاتم 16-18

ـر ـ

- أبو الربيع 73-77
- الربيع بن الحبيب 86-98
- أبو الربيع سليمان بن شاكر الفطناسي 114
- أبو الربيع سليمان بن موسى 146
- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي 78-92-123-135-152
- أبو الربيع الوسياني 151
- ابن رشد 80

_ز_

- ابن الزبير 29
- أبو زكريا فصيل بن أبي مسور 57-58-74-78
- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر77-121
- أبو زكريا يحيى بن جرناز 96-97
- أبو زكريا يحيى بن أبي زكريا 80-83
- أبو زكريا يحيى بن ويجمن 106-109
- ابن زوستن 90
- أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى 59

_س_

- سبيكة 144
- سلمة بن سعد الحضرمي 30-31
- أبو سليمان أيوب بن اسماعيل 73-80-83-86-100
- أبو سليمان داوود 150
- سليمان بن محمد بن اسحاق 81
- سليمان بن يومر 81
- أبو سليمان اليرتاجني 97
- ابن سودرين 90

_ش_

- شانا 126

_ص_

- أبو صالح جنون بن يمريان 19-20-55-57-88-119-145
- أبو صالح الياجراني 43-135

- ابن الصغير 32
- صولات بن وماز 129

ـع ـ

- عائشة بنت معاذ 120-121
- عاصم السدراتي 116
- عباس 86
- أبو العباس أحمد بن بكر 72-96-97-106-110-121
- أبو العباس الوليلي 151
- عبد الرحمان بن رستم 31-32
- عبد الرحمان بن معلى 112
- عبد الله بن أباض 29-30
- عبد الله بن الأمير 136
- عبد الله الدمري 151
- عبد الله المدوني 90
- عبد الله محمد بن بكر 26-38-52-57-58-59-64-65-68-73-75-76-77-78-88-90-104-105-106-109-112-123-130-134-142-145-152
- أبو عبد الله محمد بن داوود 110
- أبو عبد الله محمد بن الخير بن أحمد 112
- أبو عبد الله محمد السدراتي 26-134
- أبو عبد الله محمد بن سليمان 72
- أبو عبد الله الشيعي 16-17-19
- عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم 100
- عبود بن منار 135
- أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة 23-30-31-54-89

- عثمان (الخليفة) 129
- علي (رضي الله عنه) 86
- علي بن يخلف 46
- أبو عمار عبد الكافي 71-80-81-82-83-100
- أبو عمران بن زكريا 96
- أبو عمران المزاتي 135
- أبو عمران موسى بن زكريا 57-74-114
- عمر بن الخطاب (الخليفة) 22-125
- أبو عمر النميلي 96
- عيسى بن أحمد 82
- عيسى بن يرصوكسن 151

_غ_

- أبو غانم الخرساني 98
- الغزالي 80

_ف_

- فرني بن جانا 05-128

_ق_

- أبو قاسم 57-58
- أبو القاسم يونس بن أبي وزجون 106

_ك_

- كنعان بن حام بن نوح 126

_م_

- مادغيس 126
- مازيغ بن كنعان 125-126

- ماكسن بن الخير 78-79-106-151
- مالك بن أنس 35-99
- محبوب بن الرحيل 85
- محبوب بن الشيخ 145
- محمد بن الأشعث 32
- محمد بن سليمان 151
- محمد بن عيسى بن ابراهيم الهواري 115
- محمد العاصي 109
- أبو محمد بن مانوج 142
- أبو محمد وسيلان بن أبي صالح اليراسني 78
- أبو محمد ويسلان المزاتي 136
- مسلم (الإمام) 98
- أبو مسعود 32
- أبو مسور بن يدجين اليراسني 148
- معاذ بن أبي علي 106-107-120
- معاوية 29
- المعز بن باديس 35
- المعز لدين الله الفاطمي 54-131
- المعيز بن فضالة المارعني 55
- مغراو بن يصليتن بن مسرا 128
- مغريت بنت يعلو 115

_ ن_

- أبو نوح سعيد بن زنغيل 55-57-58-74-75-94-145
- أبو نوح سعيد المدوني 109

- أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي 122

_و_

- ورسفلاس بن مهدي 115

_ي_

- أبو يحيى إسماعيل بن يحي 81
- يحي بن إسحاق الميورقي (ابن غانية) 118
- يحي بن جعفر 77
- أبو يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) 54-75-110-130-144
- يزيد بن يخلف الزواغي 116
- يصليتن بن مسرا 129
- ابن يعقوب بن تيمال 115
- يعقوب المنصور 118
- أبو يعقوب يوسف بن الشيخ 152
- يعقوب بن يوسف بن محمد بن أفلح 18-19-26-119
- أبو يعقوب يوسف الوارجلاني 80-82-83-84-85-86-98-100
- اليقظان 16
- ينكول بن عيسى المزاتي 151
- يوسف بن محمد بن أفلح 18
- يوسف بن عمران 97
- يونس بن أبي الحسن 150

فهرس الأماكن والبلدان

- أ-

آجلو 37-77-96-104-105-106-107-120-121-150

أريغ (وادي) 7-9-13-15-25-38-58-59-74-75-76-79-96-97-106-107-108-109-110-111-119-120-130-151-152

أغرغار (وادي) 9-36-111-119

الأغواط 107-127

إفريقيا 6-14-15-84

افريقية 3-12-32-35-36-55-57-125-127-131-132-140

أكدز 5-41

الأندلس 45-83-129

أودغست 41-42

أوراس (جبل) 127

أوروبا 14-45

إيسلي 74

ايفرن 130-152

- ب-

باجة 132

بادية بني مصعب 76-104-142

باغاي 25-54

بامنديل (جبل) 82

البحر الأحمر 125

البحر المحيط 125

بسكرة 5-109-116-128

البصرة 29-31-56-89

بغداد 84-89

البكرات 78

بليدة أعمر 74-75-77-104-105

- ت-

تاجديت 57-96-97-113-114

تادمكت 41-42-43

تاهرت 12-13-14-15-16-17-18-19-20-22-26-29-33-36

تسابيت 42

تشاد (بحيرة) 84

تقرت 59-75-77-104-111-112

تقيوس 57

تلا عيسى 112

تلمسان 13-127-129

تمارية 07

تماسين 78

تماواط 152

تمبكتو 40

تمولست 78

توات 40-133

تورغا 32

تونس 5-80-81-100-132

تونين 79-110

تيكورارين 111

تين باماطوس 104
تين زراتين 152
تينوال 106
تينيسلي 104-76-75-58

-ج-

جادوا 84
جامعة 113
جاو 43-42-41
جربة 112-96-81-78-76-74
جرمة 86
الجزائر 132-128 118-115-80-75-59-19-3
الجريد (بلاد) 140-132-40-36-3
جلالة 104

-ح-

الحبشة 145
الحجاز 131
الحامة 74

- د-

دمشق 89

- ز-

الزاب (بلاد) 152-128-127-118-108-107-44-25-13-7-5-4
زغاوة (بلاد) 44
الزويلة 84

- س-

الساورة 42

سجلماسة 44-42-40

سدراتة 4-7-9-13-14-19-56-80-83-87-115-116-117-118-
119-128-130-140-149-150

السودان (بلاد) 5-8-14-39-40-41-42-43-44-45-46-73-83-84-107-
139-141-143-144-145

السوس الأقصى 127

سوف (وادي) 55-75-78-107-111-152

- ش-

الشام 22-131

الشلف (وادي) 128

الشمال الافريقي 35-37-44 65- 74-132-133

- ص-

الصحراء الغربية 42

- ط-

الطائف 131

طرابلس 22-24-31-76-132

- ع-

العراق 131

عين الصفا 09

عين الماء 112

- غ-

غار أمجاج 96-118

غانة (بلاد) 40-41-42-44-45-46-82-84-87-144-145-150
غدامس 40-127
غرب افريقيا 46
غزوان (جبل) 131

- ف-

فجوهة 03
فرسطاء 73-74
فزان 86

- ق-

القاهرة 89
قرارة 109
قرطبة 83-84
قسطيلية 74-76-152
قسنطينة 5-111
قلعة بني علي 78
قورارة 42
القيروان 19-31-43-57-74-100

- ك-

كانم 84-145
كدية بني غمرة 152
كدية كريمة 20
كدية مغراوة 112
الكعبة 87
كوار 84

الكوفة 33

كوكو 46

- ل-

لماية 76

ليبيا 73

لملم (بلاد) 46-144

- م-

مالي 14-46

المدينة المنورة 22

مستغانم 33

المسيلة 13

ملوية (وادي) 119

المشرق 31-84-85-142

المغرب 5-12-14-22-29-31-33-34-38-40-42-43-45-75-78-
81-84-85-90-124-125-126-127-128-131-133-
141-142-144-145

المغرب الأدنى 32

المغرب الإسلامي 34-39-41-46-47-73-76-116-122

المغرب الأقصى 41-116-127

المغرب الأوسط 32-34-35-40-56-87-127-131-132-141-142

المغرب العربي 90

مصر 86

مكة 23-41-86

مية (وادي) 9-14-33-36-109-119-130-132

ميزاب (وادي) 4-7-75-76-82-112-119-142

- ن-

نجد 29

النسا (وادي) 9-36-142

نفوسة (جبل) 31-73-75-76-78-84-128-150

النقوصة 05

النوبة (بلاد) 145

نوميديا 05

النيل (نهر) 42-131-144

- و-

وارجلا 130

ورجلة 12-16-40-118-128

وارجلان 3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-18-19-20-
25-26-27-28-34-36-37-40-41-42-43-44-46-53-
54-56-57-59-71-73-75-76-78-80-81-82-83-84-
85-86-87-88-90-96-97-100-101-103-104-107-
112-115-118-119-126-128-129-130-133-134-
135-136-138-139-140-142-143-145-147-149-
150-151-152

وارقلا 03

واركلا 3-107-108-115-128-129

وارکلی 04

واركلان 04

ورقلان 13-40-41-44-141

ورقلة 3-5-6-8-14-15-18-19-43-46-115
وركلة 5-41
وغلانة 73-74-76-78-106-152
وهران 33
ونقارة (بلاد) 40-45

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

إهداء .....

المقدمة .....

الفصل الأول

منطقة وارجلان: الموقع والتطور 01

إشكالية التسمية 03

نشأة وارجلان التاريخية 05

الجغرافية الطبيعية لوارجلان 07

الحياة السياسية 12

العلاقات المذهبية 28

الحياة الاقتصادية: ا- الزراعة 36

ب- الرعي وتربية الماشية 37

ج- التجـارة 39

الفصل الثاني

الحياة الثقافية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(11-12م) 48

نشأة حلقة العزابة..... 50

أعضاء حلقة العزابة ووظائفهم 60

آداب أعضاء حلقة العزابة..... 66

لبـــاس العزابـة..... 68

مهام مجلس العزابة..... 69

ميزانية حلقة العزابة..... 72

العلـم والعلمـــاء 73

الحياة العلمية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين..... 87

الفصل الثالث

102
الحياة الاجتماعية بوارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين
مدن وقرى وارجلان 104
الأسرة الوارجلانية..... 119
عناصر المجتمع الوارجلاني 124
فئات المجتمع الوارجلاني 134
العــادات والتقاليـد..... 147
الخاتمة 154
الملاحق 159
المصادر والمراجع..... 172
فهرس الأعلام..... 183
فهرس الأماكن والبلدان 192
فهرس المحتويات..... 201

ملخص الرسالة الموسومة بعنوان:

الحياة الاجتماعية والثقافية بوارجلان خلال القرنين5-6 هـ/11-12 م.

تدور أحداث موضوع الرسالة حول الحياة الاجتماعية والثقافية بوارجلان خلال القرنين 5-6 هـ /11-12 م حيث خصص الفصل الأول لدراسة التسميات التي أطلقت على وارجلان،ثم تطرقت الى نشأة وارجلان التاريخية ثم تناولت الدراسة الحياة السياسية من تاريخها.

أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة الحياة الثقافية بوارجلان خلال القرنين 5-6 هـ /11-12 مثل حلقة العزابة ومشايخ المنطقة خلال الفترة المدروسة.

وفي الفصل الأخير تم معالجة الحياة الاجتماعية بالوقوف على عناصر المجتمع الوارجلاني وفئاته الاجتماعية.